مقام العقل
فى الإسلام
د. محمد عمارة
نهضة مصر

مقام العقل في الإسلام

تأليف

دكتور
محمد عمارة

اسم الكتاب: مقام العقل فى الإسلام

المؤلف: د. محمد عمارة

إشراف عام: داليا محمد إبراهيم

تاريخ النشر: الطبعة الأولى - فبراير 2008.

رقم الإيداع: 2007 / 26368

الترقيم الدولى: ISBN 977-14-4208-2

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة
ت: 33466434-(02)33472864-(02) فاكس: 33462576-(02) ص.ب: 21 إمبابة
البريد الإلكترونى للإدارة العامة للنشر: publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: 38330287-(02) 38330289-(02) - فاكس: 38330296-(02)
البريد الإلكترونى للمطابع: press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسى: 18 ش كامل صدقى - الفجالة - القاهرة - ص.ب: 96 الفجالة - القاهرة
ت: 25909827-(02) 25908895-(02) - فاكس: 25903395-(02)

مركز خدمة العملاء: 25909827-(02)
البريد الإلكترونى لخدمة العملاء:
customerservice@nahdetmisr.com
البريد الإلكترونى لإدارة البيع: sales@nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدى)
ت: 5462090-(03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 11 شارع المستشفى الدولى التخصصى - متفرع من شارع عبد السلام عارف - مدينة السلام
ت: 2221866-(050)

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com

جميع الحقوق محفوظة © لشركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

لا يجوز طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أى جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابى صريح من الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن المشهد المعاصر، إزاء «العقل والعقلانية» - محليًا.. وعالميًا - يشهد بتعدد المواقف -وأحيانًا تناقضها- إزاء العقل والعقلانية، سواء في الموقف المبدئي.. أو في المقصود والمراد من هذه المصطلحات..

وإذا شئنا تصنيفًا إجماليًا للمواقف والمذاهب المعاصرة إزاء «العقل والعقلانية».. فإننا واجدون:

١- تيارًا نصوصيًا يقف أصحابه عند ظواهر النصوص، ويتنكرون للنظر العقلي.. بل ويخلطون بين «العقل» وبين «الهوى»!.. كما لا يميزون بين مفاهيم «العقل والعقلانية» لدى مختلف المذاهب والفلسفات والديانات والحضارات..

٢- تيارًا باطنيًا: يدّعي التصوف.. لكنه أقرب إلى «الغنوصية- الباطنية» التي اعتمدت على «الحدس» دون العقل والنقل والتجارب الحسية.. ولذلك تنكر هذا التيار الباطني للعقل والعقلانية، كما اعتمد -في التعامل مع النصوص الشرعية- على التأويل العبثي، الذي لا ينضبط بضوابط اللغة وثوابت الاعتقاد والمحكم من النصوص..

٣- تيارًا حداثيًا غربيًا: له امتدادات متغربة في واقعنا العربي والإسلامي.. ذهب إلى تأليه العقل، فجعل شعاره: «لا سلطان على العقل إلا للعقل وحده»!

وبذلك أضفى على سلطان العقل وقدراته طابع «الإطلاق»: مخالفًا بذلك دعوته إلى «النسبية» -التي أراد لها أن تشمل الوحي والدين!

ولقد قاد هذا «الغرور العقلاني» هذا التيار التغريبي إلى مخاصمة النص الديني الإسلامي، وافتعال معركة وهمية بين «العقل» «والنقل»، وذلك تقليدًا لما

عرفته المسيرة الحضارية الغربية، دون إدراك للتمايز الدينى والحضارى الإسلامى، الذى جاء «النقل» فيه معجزة عقلية.. والذى تقرر لغته العربية أن المقابل لـ«العقل» ليس «النقل» وإنما هو «الجنون»!

٤- تيار ما بعد الحداثة: الذى يحاول التمدد على أنقاض الحداثة الغربية، داعيًا إلى تفكيك منظوماتها ومسلماتها الكبرى حول «العقل» و«العلم» و«التقدم».. والذى لا يقدم للإنسان سوى «العدمية» و«الفوضية» -ذات المنطلقات التلمودية!!- التى تصيب الإنسان بالشك العبثى فى كل شىء.. ومن ثم تحرمه من أى لون من ألوان «الأمل» و«الطمأنينة» و«اليقين»!

٥- أما التيار الخامس: الذى تتميز مواقفه إزاء «العقل والعقلانية» فهو تيار الوسطية الإسلامية، الذى يقيم عقلانيته على كتابى «الوحى» و«الوجود».. على نور الشرع ونور العقل، لتكون عقلانيته هذه عقلانية مؤمنة متوازنة، العقل فيها هو الأساس، والدين فيها هو البناء على هذا الأساس المتين من الفقه والوعى بالشرع الذى نزل به الروح الأمين على قلب الصادق الأمين -عليه الصلاة والسلام-.

* * *

وفى هذا الكتاب -الذى نقدم بين يديه-:

١- دراسة عن العقل والعقلانية فى الإسلام.. وتراثه.. وخارج إطار الإسلام.

٢- ونصوص تراثية -قديمة وحديثة- تمثل نماذج لديوان العقلانية فى تراث الإسلام.. إنه إسهام يحاول إبراز معالم هذه القضية، التى تمثل المدخل الأساسى والشرط الأول لحسن التعامل مع الدين والدنيا.. ومن ثم المنهاج العلمى الذى نجدد به ديننا الإسلامى لتتجدد به دنيا المسلمين..

والله نسأل أن ينفع بهذا الكتاب.. وأن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه.. إنه -سبحانه- خير مسئول وأكرم مجيب.

القاهرة فى غرة المحرم سنة ١٤٢٨ هـ.

٢٠ يناير سنة ٢٠٠٧م.

د. محمد عمارة

القسم الأول

١- العقل.. ماذا يعنى؟..

٢- حال العقل والعقلانية عند ظهور الإسلام..

٣- التبلور المبكر للعقلانية الإسلامية..

٤- مكانة العقل والعقلانية فى تراث الإسلام..

٥- تراجع العقلانية الإسلامية....

٦- عقلانية الإحياء الإسلامى الحديث..

١ العقل : ماذا يعنى؟

على حين اتجهت الفلسفة الغربية -فى طورها اليونانى- إلى اعتبار العقل «جوهرًا مجردًا عن المادة، قائمًا بنفسه»..

واتجهت فلسفة الحداثة الغربية -التى هى إحياء للفلسفة الإغريقية اليونانية- إلى اعتبار «الوعى» نشاطًا ماديًا، هو انعكاس «للدماغ»، الذى حسبته «العقل»، ومن ثم جعلت «العقل.. والتعقل» مادة.. وذلك حتى لا يكون هناك شىء فى الإدراك والمعرفة غير الحس والمحسوس والحواس.. وقال «هكسلى -توماس هـ- [١٨٢٥- ١٨٩٥م].

«يبدو أن الوعى متصل بآليات الجسم كنتيجة ثانوية لعمل الجسم لا أكثر، وأنه ليس له أى قدرة كانت على تعطيل عمل الجسم، مثلما يلازم صفير البخار حركة القاطرة دون تأثير على آليتها».

وقال -أيضًا- فى سياق الادعاء بهذه «المادية الميكانيكية»:

«إن الأفكار التى أعبر عنها بالنطق، وأفكارك فيما يتعلق بها إنما هى عبارة عن تغيرات جزئية»..

وبهذا التوجه المادى، فى تعريف العقل والتعقل، وصلت هذه الفلسفة الغربية -فى قسمتها الرئيسية- إلى «الدهرية» القائلة بـ«فناء التفكير والإرادة مع فناء الدماغ»(١).

على حين نحت الفلسفة الغربية -قديمًا وحديثًا فى قسمتها الرئيسية- هذا النحو المادى فى تعريف العقل والتعقل والعقلانية.. لأن الطور الإغريقى لهذه الفلسفة كان العقل فيه بلا نقل ولا وحى سماوى.. ولأن طورها الحديث كان العقل

(١) روبرت م. أغروس، جورج ن. ستانسيو [العلم فى منظوره الجديد] ص٢٦، ٢٥. ترجمة: كمال خلايلى - طبعة الكويت- عالم المعرفة سنة ١٩٨٩م

فيه ثورة على اللاهوت الكنسي اللاعقلاني. فلقد كان اتجاه الإسلام والمسلمين في تعريف العقل والتعقل والعقلانية مغايرًا ومتميزًا..

فالعقلانية الإسلامية نابعة من الدين.. وليست غريبة عن الدين، ولا هي ثورة عليه..

والكتاب المؤسس لهذه العقلانية الإسلامية هو القرآن الكريم -الكتاب المؤسس للدين والأمة والدولة والحضارة في تاريخ الإسلام-.. ورسالة العقل والعقلانية هي الانتصار للإسلام، وليست الثورة على هذا الإسلام..

بسبب من هذا التمايز والامتياز للعقلانية الإسلامية عن العقلانية الغربية تميز التعريف الإسلامي للعقل.. فقال جمهور علماء الإسلام -من المتكلمين والفقهاء-:

«إن العقل ملكة وغريزة ونور وفهم وبصيرة، وهبها الله -سبحانه وتعالى- للإنسان..

ولذلك، فهو ليس عضوًا ولا حاسة من الحواس.. أي أن وجوده في الأذهان لا الأعيان.. وهو المستوى الأعلى -في الإدراك- لما فوق الحواس..».

ولأن القرآن الكريم قد استخدم مصطلح «القلب» للتعبير عن «العقل»، كان اتجاه جمهور علماء الإسلام إلى أن العقل محله القلب، لا بمعنى العضلة الصنوبرية، وإنما بمعنى «جوهر الإنسان».. مستدلين بالقرآن الكريم: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦].

إنه: «نور معنوي في باطن الإنسان، يبصر به القلب- [أي النفس الإنسانية]- المطلوب، أي ما غاب عن الحواس بتأمله وتفكره بتوفيق الله تعالى بعد انتهاء درك الحواس، ولهذا قيل: بداية العقول نهاية المحسوسات(١).. وهو نور في القلب، يعرف الحق والباطل(٢).. والمعقول هو ما تعقله بقلبك(٣).. وهو نور الغريزة، مع التجارب يزيد، ويقوى بالعلم والحلم..»(٤).

(١) أبو البقاء الكفوي [الكليات] تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري - طبعة دمشق سنة ١٩٨١م.
(٢) الجرجاني [التعريفات] طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م.
(٣) ابن منظور [لسان العرب] طبعة دار المعارف، القاهرة - سنة ١٩٨١م.
(٤) الحارث المحاسبي [طبقات الشافعية] -والنقل عن: حسين القوتلي- مقدمة تحقيق [العقل وفهم القرآن] للحارث المحاسبي، ص١٤٧، طبعة بيروت- الثانية سنة ١٣٩٨هـ سنة ١٩٧٨م.

هكذا تميز التعريف الإسلامي للعقل والعقلانية -فعل التعقل- منذ انبثاق النور القرآني، الذي جعل العقل نورًا من أنوار الله يزامل هذا الدين الحنيف، ويمثل بالنسبة له أداة الفهم وقاعدة التأسيس.

وبسبب من هذا التأسيس الديني للعقل والعقلانية في الفلسفة الإسلامية والحضارة الإسلامية، كانت مهمة العقلانية الإسلامية هي الدفاع عن الإيمان الإسلامي بالمنطق العقلاني، الداعم للوحي الإلهي والنقل الإسلامي، فشاعت في مصادر الفلسفة الإسلامية والفكر الإسلامي عبارات من مثل:

«ما عُرف الله إلا بالعقل ولا أطيع إلا بالعلم».

وحتى الصوفية المسلمون «فإنهم بالعقل رغبوا ورهبوا وزهدوا وانتقلوا إلى الرشد وعلوا به في الدرجات.. ولكل شيء جوهر، وجوهر الإنسان عقله، وجوهر عقله توفيق الله.. وكل زاهد زهده على قدر معرفته، ومعرفته على قدر عقله، وعقله على قدر قوة إيمانه..»(١).

ولهذا التميز الإسلامي، في تعريف العقل ووظيفة العقلانية، تميزت وظيفة الحكمة والفلسفة في الإسلام عنها في الحضارة الغربية..

ففي الغرب، كانت الفلسفة في الحقبة اليونانية بديلاً عن الوحي والدين السماوي.. بينما كانت في الحقبة الحديثة -منذ النهضة الأوروبية- ثورة على اللاهوت والدين..

أما في النسق الفكري والحضاري الإسلامي، فإن الصواب صوابان:

١- صواب النبوة والرسالة، الذي جاء به نبأ السماء العظيم..

٢- وصواب العقلانية، الذي تبدعه الحكمة الإنسانية والعقل الإنساني..

وللتأكيد على هذه الحقيقة من حقائق تميز العقلانية الإسلامية، شاعت في مصادر التراث الإسلامي الصياغات الفكرية التي تقول:

«إن الله -عز وجل- في خلقه رسولين:

(١) الحارث المحاسبي [الوصايا] ص٨٦ . و[رسالة المسترشدين] ص٤٥- والنقل عن المرجع السابق، ص١٣٥، ٩٦.

أحدهما: من الباطن، وهو العقل

والثاني: من الظاهر، وهو الرسول

ولا سبيل لأحد إلى الانتفاع بالرسول الظاهر ما لم يتقدمه الانتفاع بالباطن فالباطن يعرف صحة دعوى الظاهر، ولولاه لما كانت تتم الصحة بقوله ولهذا حال الله من يشك في وحدانيته وصحة نبوة أنبيائه على العقل فأمره بالتفرغ له في معرفة صحتها

فالعقل قائد والدين مادة ولو لم يكن العقل لم يكن الدين ولو لم يكن الدين لأصبح العقل حائرا واحتمل عهما كما قال الله تعالى: ﴿ ... ﴾ [النور: ٣٥]

هكذا تميز تعريف العقل، وتميزت وظيفة العقلانية في النسق الفكري والفلسفي لحضارة الإسلام

* * *

■ وغير التعبير عن هذه الغريزة والملكة النورانية بلفظ العقل الذي ورد في القرآن الكريم في تسع وأربعين آية غير القرآن الكريم عنها بعدد آخر من المصطلحات منها

١- القلب الذي هو الطبقة ربانية لها بالقلب الجسماني تعلق وتثبت الطبقة هي حقيقة الإنسان، وبها يعبر عن العقل ﴿ ... ﴾ [٣١] أي عقل كما يقول القرآن [٣٨٠ - ٤٥٨هـ = ٩٩٠ - ١٠٦٦م]

وفي التعبير عن العقل بمصطلح القلب جاءت الآيات القرآنية في مائة واثنين وثلاثين موضعا، وهذا الجمع القرآني بين مصطلحي العقل والقلب في التعبير عن هذه الملكة والغريزة إشارة إلى جمع الإسلام في فلسفته وثقافته بين تقوى القلوب وعقل العقول على النحو الذي يبرئ الفكر الإسلامي من الفصام بين الخبراء الذين لا قلوب لهم ولا فقهاء الذين لا عقول لهم ... [٣١] ... [٣٩]

[illegible] ص ٢٠٧ [illegible] الطبعة الأولى [illegible] ١٩٨٧م

أما الذين يقرءون القرآن دون أن تعقله قلوبهم [illegible] «لا يجاوز تراقيهم»[1] فإنهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، كما يقول رسول الله ﷺ رواه البخاري ومسلم.

٢- واللب: ولب كل شيء ولبابه نفسه وحقيقته وخالصه وخياره، واللب العقل، ولب الرجل: ما جعل في قلبه من العقل[2]، واللب هو العقل سمي بذلك لأنه يمثل جوهر الإنسان وحقيقته[3].

ولقد ورد التعبير عن العقل بمصطلح اللب في القرآن الكريم في ست عشرة آية من آيات القرآن الكريم.

٣- والنهى: جمع نهية وهو العقل، وقد سمي العقل بذلك لأنه ينهى عن القبيح[4]، ولأنه ينتهي إلى ما أمر به ولا يعدي أمره[5].

ولقد ورد التعبير بالنهى عن العقل في اثنين من آيات القرآن الكريم.

٤- والفكر والتفكر: أي التأمل وترتيب الأمور المعلومة لتؤدي إلى المجهولة، وتصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب، وسراج في القلب الذي يرى به خيره وشره ومنافعه ومضاره، ومصباح الاعتبار ومفتاح الاختبار، ومزرعة الحقيقة ومشرعة الشريعة»[6].

ولقد ورد التعبير بالفكر والتفكر عن العقل في القرآن الكريم في ثمانية عشر موضعا.

٥- والفقه الذي هو التوصل إلى علم الغائب عن علم الشاهد.

ولقد وردت مادته في القرآن الكريم - تعبيرا عن العقل والتعقل - في عشرين موضعا.

١- [illegible]
٢- [illegible]
٣- [illegible] ١٩.
٤- [illegible]
٥- [illegible]
٦- التعريفات
٧- [illegible]

٦- والتدبر «بمعنى التأمل والتعقل والنظر والتفكير في أدبار الأمور وعواقبها»[1]

ولقد ورد هذا المصطلح تعبيراً عن العقل والتعقل في القرآن الكريم في أربع آيات

٧- والاعتبار «بمعنى الاستدلال بالشيء على الشيء، والتدبر والنظر والقياس والاعتبار»[2]

ولقد ورد التعبير بهذا المصطلح عن العقل والتعقل في القرآن الكريم في سبع آيات

٨- والحكمة «التي هي الصواب في غير نبوة، ومعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، وكل ما يتحقق فيه الصواب من القول والعمل، وإحكام الأشياء وإتقانها»[3]

ولقد ورد التعبير بالحكمة عن الصواب العقلاني بالقرآن الكريم في تسع عشرة آية من آيات القرآن

* * *

فإذا أضفنا إلى هذه الآيات القرآنية التي تحدثت صراحة وبالنص عن العقل ومترادفاته وهي التي بلغت مائتين وسبعة وستين آية [٢٦٧] مثل الآيات القرآنية التي تستخدم المنطق العقلاني في المحاورة والمخاطبة والاستدلال والإقناع وفي تجليد حجج الخصوم والشاذون [illegible] تذكر مصطلحات العقلانية بألفاظها [illegible]

﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ [الأنبياء: ٢٢]

﴿أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم﴾ [يس: ٨١]

﴿أليس الله بكاف عبده﴾ [الزمر: ٣٦]

١- المصدر [illegible]

٢- المصدر [illegible]

٣- المصدر [illegible]

«وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ٧٨ قل يحييها الذي أنشأها وهو بكل خلق عليم» [يس: ٧٨] وغيرها وغيرها الكثير والكثير من الآيات

وإذا أضفنا إلى هذه وتلك مائة آية قرآنية تصف الذات الإلهية بصفة «الحكيم» فهو سبحانه وتعالى

«العزيز الحكيم» [النساء: ٩]

و«العليم الحكيم» [يوسف: ١٠٠]

و«الحكيم الخبير» [...]

و«أحكم الحاكمين» [هود: ٤٥] وإذا علمنا أننا نحن المؤمنين مطالبون بالتخلق بأخلاق الله، والتعلق بما هو ممكن وميسور من صفات كمالاته

إذا علمنا أننا نركب مقام العقل والعقلانية في الإسلام وخاصة من خلال الكتاب المؤسس للدين والأمة والدولة والحضارة القرآن الكريم

وإذا أضفنا إلى ذلك كله مئات الأحاديث النبوية التي جاءت في قبس العقل ومكانته والتي إن ضعفها المحدثون الذين عندنا عليهم صنعة الرواية لا الدراية والذين لم يكونوا أولياء ولا أحباء للنظر العقلي فإنها هذه الأحاديث المصدقة لما جاء عن العقل والعقلانية في القرآن الكريم

أي أنها صحيحة دراية أو معنى ومفهوما رغم ما على بعض رواتها من ملاحظات

إذا أضفنا هذه الأحاديث إلى ما جاء عن العقل والعقلانية في محكم التنزيل القرآني نركب هذا المقام السامي والمتألق للعقل والعقلانية في الإسلام وفلسفته وحضارته وكيف تفرد الإسلام بهذا التميز والامتياز الذي لا نظير له في أي نسق فكري آخر دينيا كان أو نشرد هذا النسق الفكري

حال العقل والعقلانية عند ظهور الإسلام

عندما بزغ فجر الإسلام في العقد الثاني من القرن السابع الميلادي كان اللاهوت الكنسي للنصرانية الغربية قد أدخل العقلانية اليونانية في دائرة المحاق، ودخل بالدولة الرومانية والحضارة الأوروبية في عصورها الوسطى والمظلمة.

لقد تمكنت العنوصية الباطنية من إفساد هذا اللاهوت بعقائد التشبيه والتجسيد والحلول والاتحاد التي أخرجته عن التوحيد الذي جاء به المسيح عليه السلام.

وكانت الثقافة الهيلينية التي أحلها الاستعمار الروماني في الشرق بصنعتها العنوصية وشوائبها اليهودية عاملا آخر من عوامل التشويه والتشويش التي ملأت المسيحية بالأسرار والألغاز، التي غدت مستعصية على الفهم بالنسبة لرجال اللاهوت، فضلا عن العامة والجمهور.

ولقد دفعت الخلافات الحادة والعميقة بين كنائس النصرانية حول طبيعة الرب إلى صراعات وألوان من الاتهامات بالهرطقة، وضروب من الاضطهادات ما زالت الكنائس الشرقية تؤرخ بها وتضرب بها الأمثال حتى هذه الأيام.

وكانت الانقسامات والاضطهادات أبواب الفساد الذي دب في القيادات الكنسية والجهل الذي خيم على كثير من رجالات اللاهوت، الأمر الذي أدخل اللاهوت النصراني في أزمة حادة جعلته عدوا للعقلانية والعقل، وداعيا إلى حصر العلم في الانجيل الذي لا يعدو كونه مجموعة من الوصايا الصوفية ذات الأسلوب المجازي والوعظي، ومن ثم انفتحت في الحضارة المسيحية الغربية معركة شهيرة وطويلة ومريرة بين العلم والعقلانية وبين الدين.

لقد غدت شائعة في ذلك اللاهوت شعارات ومسلمات تقول:

«اعتقد وانت اعمى»[1]

و «اغمض عينيك ثم ابتغي»

وقال القديس «اغسطين» [٣٥٤- ٤٣٠م]

«اومن بهذا لانه محال او غير معقول»

وقال القديس الفيلسوف «نعم الفيلسوف» «انسيم» [١٠٣٣- ١١٠٩م]

«يجب ان تعتقد ولا بد ان تعرض على قلبك بدون نظر ثم تجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت فليس الايمان في حاجة الى نظر عقل»[1]

وعبر عن هذا الخصام الذي ساد العلاقة بين اللاهوت الكنسي وبين العقل والعقلانية احد القساوسة [illegible] وهبت عطاء [illegible]

ان التجسيد قضية فيها تناقض مع العقل والمنطق والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية ولكنك تصدق وتؤمن ان هذا ممكن حتى ولو لم يكن معقولا»[2]

ولقد كان هذا الواقع البائس للعقل والعقلانية في اللاهوت الكنسي الغربي والذي فرضه الاستعمار الروماني على الكنائس الشرقية [illegible] دخلت بالحضارة الاوروبية عصورها الوسطى والمظلمة في الوقت الذي ظهرت فيه أنوار الاسلام واشرقت عقلانيته المؤسسة من بيئة الجزيرة العربية

لقد حاصرت الخرافات المسيحية تراث العقلانية المؤسسة [illegible] وسميت مخطوطات هذه العقلانية في الصدر [illegible] التي [illegible] والافقار ووضعت في سراديب الكنائس والكاتدرائيات

وما بقي من هذا التراث العقلاني اليوناني في مكتبات الاسكندرية [illegible] الاخير [illegible] التي [illegible] التصرانية المصرية بدعوى [illegible] حتى لقد قاد [illegible]

---

(١) الامام محمد عبده [الاعمال الكاملة] ٣٠ ص٢٧٩ [illegible] ١٩٩٣م

(٢) [illegible]

المصرية نيو فلاطس [٣٨٥ ٤١٢م] حتى احرق بكت هذه المدرسة وسحر وقتل تلاميذه

وتحدثت عن مدرسة الاسكندرية ومصير مكتبتها وبعض العلماء فيها وصدت هذه الأحداث مكتبات المعابد بتهم السحر والتمرد والحرق بفيلسوف الأفلاطونية الحديثة وعالمة بحث وتدريس إبانيه [٣٧٠ ٤١٥م] وبذلك فصلا عن تحصيل تعليمي وبحث تالاشر

وبقدر ما في هذه الروايات من حقائق تاريخية فإنها تعكس بوضوح سيادة اللاهوت العقلاني والأصطهادات التي أوقعتها الكنيسة بالعلم والعلماء وتحريمها وتجريمها البحث والتحري في الطبيعة والعلوم الكونية وعلى رأسها علم الفلك والطبيعة والرياضيات لأن مملكة المسيح خارج هذا «العالم- السفلي» الذي هو شر بحت كما تقول أوروبا المسيحية لم تعرف أول فلكي «كوبرنيكوس» [١٤٧٣- ١٥٤٣م] إلا في القرن السادس عشر أي بعد أكثر من ثلاثة عشر قرنا من عمر أوروبا المسيحية اللاهوتي اللاعقلاني وحتى الكتاب الذي كتبه «كوبرنيكوس [دوران الأفلاك] صدرت الكنيسة فيما بعد حرق أغلب نسخه إلا في القرن الثامن عشر للميلاد! فماذا كم عن العلماء الذين سعوا إلى تحرير مثل «جاليليو» [١٥٦٤ ١٦٤٢م] وغيره

هكذا هو حال العقل والعقلانية في العالم المسيحي يوم سقوط سلطان العقلانية الإسلامية حتى لقد قارن اللاهوتي الإيطالي «الأب مراتشي» Marracci [١٦١٢ ١٧٠٠م] بين تعقيدات اللاهوت الكنسي وتعارضه وأسراره الوثنية وبين بساطة العقلانية الإسلامية ووضوحها وقد كتب يقول:

«لو قارن إنسان بين أسرار الديانة المسيحية المتسطة التي فاقت طاقة الذكاء البشري، أو التي هي -على الأقل- من الصعوبة بمكان، إن لم تكن مستحيلة [العقيدة المسيحية]- وبين عقيدة القرآن لانصرف عن الأولى في الحال وأسرع إلى الثانية في ترحيب وقبول..

---

١ لأسقف يوحنا النقيوسي نيقيوس بطريرك مصر بين سنتي [٦٣٣ ٦٤٠م] ترجمة عن النص القبطي الذي حققه وترجمه إلى الفرنسية الأستاذ هـ. زوتنبرج H. Zotenberg ونشره في باريس سنة ١٨٧٩م ص ٤١٤ ٤٢٩ وانظر أيضا طبعة القاهرة ١٩٦٠م

وقد أدرك المنصفون من علماء الغرب الذين قارنوا بين عقلانية الإسلام وبين لاعقلانية اللاهوت الكنسي -عند ظهور الإسلام- أن هذه العقلانية الإسلامية هي التي حولت الشرق -تحويلا سلميًا- من قلب العالم المسيحي إلى قلب العالم الإسلامي في زمن قياسي -في سرعته لا نظير له في تاريخ التحولات الدينية الكبرى!

■فكتب البروفسور «جوارد مونتيه» [١٨٥٦-١٩٣٧م] - وهو مستشرق فرنسي، ترجم القرآن إلى الفرنسية- يقول:

«إن الإسلام في جوهره، دين عقلي يتوسع مع الزمن، بكلمة من توجيهات الاشتقاقية والتركيبية، في تعريف الأسلوب العقلي Rationalisme الذي يقيم المعتقد الديني على أساس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق. ينصح على الإسلام بدوام الانطباق مع الدين محمد كل العلامات التي تدل على أنه مجموعة من المعتقدات قامت على أساس المنطق والعقل، لا على أساس الوحي، لأخره في الإسلام يستقر في نفس المقدس على أساس تدريب العقل، ويمنطق ويتحصن كل تعاليم العقيدة التي جاء بها القرآن. وبسط هذه التعاليم ووضوحها يهيئ على وجه التحقيق من دور القوى الفعالة في الدين، وفي سياسة الدعوة إلى الإسلام.

لقد لاحظ كثيرا من غير المسلمين بصراحة على تعبير وتفسير بعض المعتقدات الأساسية التي يقوم عليها تعاليم هذه العقيدة، وقد ظهر أن هذا يعتبر الوحدانية في عمومها وخلوها وصفاء الإسلام التحول والتطور الذي في غير الإسلام يفوق تلك المزايا. وفي هذا تكمن الأسباب الكثيرة التي تفسر لنا نجاح وجهود الدعوة المتحمسين.

وكل من يتتبع لعقيدة محمد كل ما جاء به خلو من جميع المعتقدات الفلسفية، ثم هي بعد ذلك في متناول إدراك الشخص العادي بسبك وبما تتمتع فعلا قوة جذبة لا تكسر بطريقة إلى حد بعيد!

■وكتب مستشرق النمسا دمير كيتاني لورا [١٨٦٩-١٩٢٦م] وهو خبير في الإسلام ودراساته- يقول:

إن انتشار الإسلام بين مصر في الكنائس الشرقية إنما كان نتيجة شعور استياء من السفسطة عقيمة التي حشتها الروح الهلنستية في الإلهوت

المسيحي ام اشرو الذي عرف بحبه للاقوا . به اصدقاء بسطه فقد كان شخصه المهلبة ولا عنه من وجهه ، نبيه لانه كان ثم ابسطه البسطه اسد حبه بي عليه محفوف بد هد عد بصه صد بالسكوت و بشهات في ذلك إلى خلق شعور من بس بد رعرع احو بعصده ابسبه تب

قف هنب حر الامر بد ، ابوجو بحد فحده في بصحر ء لد بعد بمسحبه شرعبه التي احتطه د بعش وابرف وعرف بعد ي لانفسه د ي بد احبه وتم عرعت قو عده الاسسة واسبوبي عي وجب البب و بقيرعد من هد ه إبر بد بعد اسبحبه مد ربت ب ره عي حفوفه بعراء هـ بد حبب الذي بد بصبرته مر صرر به كل البسكو بسفهة وقدم د عاربه منبه ابن حاد مبدبه بواضحة البسطة بي لانفر بحر وحيد ترب البسرة بمسح ، رمي في حصن بي بلاد العرب

■ وكتب الفيلسوف الامريكي جون تيلور Cunon Taylor [١٧٥٣ ١٨٢٤م] يقول عن عقلانية الإسلام التي كانت البشر في هذا العصر السريعة للإسلام

به من بمسترين د ورد بصبرا البشر هذا عن البحر بنده بسرعه في جرفد و ست كر بمة الامور في نرعبه و بسام قد سبد و البرية عسبه عف د مد فيريقيه عوبصبه رب بهم د وبه ال بد بدام بس فيرا بعف ص فسد بوحسبه بحب البعربية في السد ء وسمو البسكوبيه بي مرتبه بملائكه فكل عنر بعالم هو حريو لي البد سبه و بحد رد صفه بصفرد بوهبة د كه البد سر في وافه فسركس بعدون رمزه د السهداء و عد سر وبملائكه كت كند الصبغب البعب محبة نسبه فبه بفس والصبغب بوسعي مرفقه بصراس ، بم بكن لبعبد اس في د صرهم و لا مستقبلهم فدرال لإسلام، بعون من بله هذه بمجموعه من البشر ، والخروب بقد كان [الإسلام]- ثورة على بحد به الجوف في البعبد ، حجه قوية ضد بمحمد لرهبانيه باعتبارها راس لبقهري ولقد بر بصوص حبر بني تغير بوحداسه بله وعظمته كما بدأ الله رحيم عدل يدعو بناس بي لامتثا لامره والابتعاد عنه ونهوبص أخر بنه واعبر ، الحرء مسبه ، و هذه حدة حرد وبوب بنحسب و عد للاسرار عند البماء وفرض الصلاة والزكاة والصوم وفعل الخير وبند بحصر بر الكعبة

والدجل الديني والنزهات والنزعات الأخلاقية الضالة وسفسطة المنازعين في الدين وأجل الشجاعة محل الرهبنة ومنح العبد رجاء والإنسانية جاء ووهب الناس إدراكا للحقائق الأساسية التي تقوم عليها الطبيعة البشرية.

* * *

هكذا كان المشهد العالمي فيما يتعلق بالعقل والعقلانية عندما ظهر الإسلام في القرن السابع للميلاد:

■ لاهوتًا كنسيًّا لاعقلانيًّا حاصر العقلانية اليونانية بسجن كتبها في الصناديق الحديدية المغلقة بالأقفال، وبالإبادة والإحراق لمكتباتها وفلاسفتها.

■ وخرافات وأنغارا وأسرارا حولت العقائد الدينية إلى ميتافيزيقا مستعصية على الفهم حتى عند أهل الاختصاص.

■ وهنا تألقت العقلانية المؤمنة التي جاء بها الإسلام فبددت بضربة من ضرباتها هذا الركام اللاعقلاني، وكانت السبيل الأول والأفعل لدخول الناس أفواجًا في دين الإسلام، كما شهد بذلك المنصفون من العلماء الغربيين.

* * *

[illegible]

٣ التبلور المبكّر للعقلانية الإسلامية

وا ك عرب الكريم قد تحول –على يدي رسول الله ﷺ والد معه من الجيل الفريد ن صنعه ا سول عيسى عيسة في مدرسة النبوة تحول ي حيو وسخنه و مه و ويه وثقافه وم سه وحضارة ولم يقف عند المواعظ و لوصايا والصور في مد رب ف عقلانية المؤمنة التي تبلورت في يات القرآن الكريم وا سبيه في محاو د و لاستدلال، سرعان ما تبلورت فلسفة إسلامية مه اعلامه وم ارسيه وا عابه مد لنصف لثاني من القرن الهجري الأو في عم لكلام الإسلامي علم التوحيد–

فكما كانت الفتوحات الإسلامية التي أزالت من الشرق القهر الحضاري لب عوث رومي و ف سي ا ي سيطر لعشرة قرون قبل ظهور الإسلام كم كا ت هذه الفتوحات قد سبقت في سرعتها التي لا تصدق بها في انتشارها ا قته المسلمون في ثمانين عاما اوسع مما فتح الرومان في خمسمائة قرون

كذلك كان شأن العقلانية الإسلامية فبعد مسيرة هي الأجرأ والأعمق في تاريخ حضارة الإسلام لقد صنعت الفتوحات الإسلامية في القرن الهجري الأول ، دولا وأقاليم شرقه لأطراف من المغرب والأندلس إلى داخل حدود الصين– وتحولت الدولة الإسلامية شعوب وقبائل وثقافات ولغات وحضارات وعلوما وفلسفات وعلما وبحثاً مثلت كل ألوان الطيف لعالم ذلك التاريخ

ولأن الإسلام هو بالتحديد الذي يضع درجة ثقة كل عقل إسلامي بالحكمة إلهية كما ورد في القرآن: ﴿ إن هذا لفي الصحف الأولى ﴾ [الأعلى ١٨] ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ [الكافرون ٦] ﴿ من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ [الكهف ٢٩]، ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ [يونس ٩٩] كان هذا المبدأ الإسلامي يعني في الواقع والتطبيق تحرير الفتوحات الإسلامية لرعاياها من سيطرة الروم والفرس وتحرير أصحاب الشعوب الشرقية من القهر الحضاري

والديني والثقافي والسياسي والاقتصادي الذي مارسه الروم والبيزنطيون في الشرق لعشرة قرون وترك الناس أحرارًا -بعد هذا التحرير- يدخلون حتى في دولة في امرئها هذه الفتوحات الإسلامية كانت دولة إسلامية منذ الفتح بسبب كثرة المسلمين في رعيتها بعد قرن من الفتح وقدم الدولة الإسلامية، لا تتجاوز ٢٠٪ من السكان[1].

وقد نتج عن هذه المعاملة دولة إسلامية ورعية تدين وتتعبد بمختلف المذاهب وتعتنق بسببها بلاد الإسلام وخاصة نخبها لتواريخ المتسعة ومؤسساتها الواسعة أوسع مشاركة في الحوار الفكري بين المسلمين وغير المسلمين من النصارى واليهود والمجوس والصابئة والزرادشتية ومع ثنوية الذين كانوا يمثلون ذهرية تلك الفارسية وحتى الفلسفة الوضعية فيه

وفي خضم هذا الحوار الحر والواسع والعميق تطورت العقلانية الإسلامية لأن الغيرة والحرص على الإسلام أولى وألزم في عرض الإسلام والدفاع عن عقائده، وفي الرد على مقالات المخالفين ومقولاتهم. لقد انتقل الإسلام بهذه الفتوحات إلى مجتمعات ثقافية وبنية فكرية مركبة وصلبة بعد أن أقاموا لهم دولة فسيحة ومؤسسات راشدة بعد أن كان كل همه في سنين في الجزيرة العربية، تعامل مع بيئة بسيطة تكفي في الإجابة عن أسئلتها علماؤه استفهامية ظواهر النصوص، والمنطق الفطري

هذه وبسبب هذه المتغيرات الفكرية الجديدة كان لابد لانتشار الإسلام من تطور العقلانية القرآنية في فلسفة إسلامية للاستغناء عن المخالفين واستخدموا العقل والعقلانية في نشر الإسلام

ولكي ندرك ضرورة هذا الموقف المسلمين وعدم الاكتفاء بالنصوص وإلى بلورة العقلانية التي حافظ بها وحثت عليها هذه النصوص في صورة فلسفة بعض السلف - السني لتعامل مع العقائد والمقولات الفكرية والدينية السائدة في هذه المجتمعات الجديدة بضرب مثلين من الأمثلة التي سنتحدث عنها في هذا المقام

---

[1] يُنظر: [illegible] الإسلامي بين الدين والدولة، ص ٢٥، ترجمة نبيل السمان، [illegible] ١٩٩٩م

■ لقد تحدى زعيم «السّمنية» ببلاد السند علماء الإسلام وطلب من ملك بلاده أن يرسل إلى هارون الرشيد [١٤٩ - ١٩٣هـ = ٧٦٦ - ٨٠٩م] متحديا، أن يرسل أعلم علماء بغداد لمناظرة زعيم «السمنية»، واشترط أن يدخل المهزوم في دين المنتصر!

وقد أرسل الرشيد كبير قضاة بغداد، وكان من أهل الحديث، الذين يحتجون عند ظواهر النصوص، فلما بدأت المناظرة بينه وبين زعيم «السمنية» سأله السّمني:

- أخبرني عن معبودك، هل هو قادر؟

- القاضي: نعم.

- السمني: فهل هو قادر على أن يخلق مثله؟

فتحير كبير قضاة بغداد، بماذا يجيب؟ لو قال: نعم، يجوز لله أن يخلق مثله، لأقر بجواز تعدد الآلهة، ولو قال: لا يقدر، لأقر بعجز الإله، فما كان منه، كي يخرج من حيرته وحرجه، إلا أن قال:

هذه المسألة من «الكلام» [علم الكلام]، والكلام بدعة، وأصحابك ينكرونه.

السمني: ومن أصحابك؟

القاضي: محمد بن الحسن [١٣١ - ١٨٩هـ = ٧٤٨ - ٨٠٤م] وأبو يوسف [١١٣ - ١٨٢هـ = ٧٣١ - ٧٩٨م] وأبو حنيفة [٨٠ - ١٥٠هـ = ٦٩٩ - ٧٦٧م]

وعندئذ التفت السمني إلى مليكه وقال:

- قد كنت أعلمتك دينهم، وأخبرتك بجهلهم وتقليدهم، وعلمتهم بالسيف.

وعاد كبير قضاة بغداد إلى الرشيد مهزوما، ومعه رسالة من السيد للخليفة يقول فيها: إني كنت بتدابير وأنا على غير يقين مما حكي لي، وإلا، قد تنقلت ذلك بحضور هذا القاضي.

وثارت ثائرة الرشيد وضاق صدره، وقامت قيامته، وأخذ يصيح:

- «أليس لهذا الدين من مناظر عنه؟»

وكانت الدولة العباسية، يومئذ، تضطهد المعتزلة، أقرب العقلانية الإسلامية، لميولهم العربية في الخلافة مع العلويين، ورفضهم سيطرة الشعوبية الفارسية على جهاز الدولة العباسية، فأشار نفر من حاشية الرشيد عليه بأن

علما الكلام المعتزلة هم في مناظرة سمي وافد له فهم خرجوا من سجونهم وكفهم الخليفة بدلا لاستشعار الدين والانتصار للإسلام فحضر الرشيد بنفسه من المعتزلة وعرض عليهم السمني فحاجه شك منهم هو «معمر بن عباد [٢١٥هـ ٨٣٠م] ... السمني هذا محال فسافر إلى بلاد السند ودارت المناظرة على هذا النحو

- السمني: هل معبودك قادر؟

معمر: نعم

السمني: هل يقدر أن يخلق مثله؟

معمر: إن هذا مما لا يحتمل لأن المخلوق لا يكون إلا محدثا والمحدث لا يكون مثل القديم فقد سقط السؤال بقولك: «هل يقدر أن يخلق مثله؟» لأنه سؤال كمن يقول: «هل يقدر أن يكون جاهلا وعاجزا؟»

وهنا وصف الخليفة وبلاطه العباسي وعلى ظواهر النصوص التي تكفر وتنصر الإسلام ووضح وتأكد أن «المعتزلية الفرنسية» هي تجديد في فلسفة سلامية في علم الكلام بدأ أسسه المعتزلة قديما عبارة فكرية وفريسة حضارية جوهر تصحيح مذاهب وتأسيس وتفلسف وبه بدونه لا يمكن سر الإسلام في هذه الفترة التي ارتضيها بقوتها الإسلامية في دولة الإسلام

■ إن الفيلسوف الذي هو ضرورة بعقلانية وفلسفة الإسلامية في الجوهر مع تعدد نفس فيرونيه «أبو القاسم البلخي [٣١٩هـ ٩٣١م] في كتابه [مقالات الإسلاميين] عندما يحكي كيف كان حوار «الجهم بن صفوان [١٢٨هـ ٧٤٥م] مع عدد من السنة لو صغير قد تبين أن حسنة المعرفة التي هي الجوهر هي المصدر وحسن المعرفة والإدراك يقول البلخي

ذكر أبو الحسن بن فرونيه أن وفدا من السنة ناظروا الجهم بن صفوان فقالوا له:

- هل يصح أن المعروف [في المعرفة] عن مستقر بالحس

فقال لا

السمني: الحوار عند الجاحظ حسني [عصر الغير وعصر المعتزلة ص ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٥ تحقيق فوزي ... ٢٠٠٣م

قالوا: فحدثنا عن معبودك الذي تعبده الشيء وجدته في هذه المشاعر [أي الحواس]

قال: لا.

قالوا: فإذا كان المعروف لا يخرج عن ذلك، وليس معبودك منها، فقد دخل في المجهول.

فسكت جهم.

وبعد كتب الجهم بن صفوان عقب عجزه هذا وهزيمته أمام علماء السمنية بوقائع هذه المناظرة إلى زعيم المعتزلة «واصل بن عطاء» [٨٠- ١٣١هـ = ٦٩٩- ٧٤٨م] فكتب إليه واصل:

إن المعروف لا يخرج عن المشاعر الخمسة وعن الدليل، فارجع إليهم الآن وقل لهم هل تفرقون بين الحي والميت وبين العاقل والمجنون؟ فإنهم يعترفون بذلك وإنه يعرف بالدليل لا بغيره.

هنا في هذا الجزء من هذا النص يقدم واصل بن عطاء لإضافة الفلسفة الدليل العقلي الذي هو مستوى أرفع من المشاعر الحسية في سبل المعرفة والإدراك.

فالعقل ليس مادة حتى يدرك بالحواس والمشاعر، وكذلك الحيوان، وكذلك الموت والحياة، فدون الدليل العقلي لا يمكن مناظرة أصحاب المقولات الفلسفية المخالفين للإسلام.

وبعد أن ذهب الجهم بن صفوان مرة ثانية إلى علماء السمنية وقدم لهم الجواب الحديث الذي أعلمه به واصل بن عطاء فأتوا به:

ليس هذا من كلامك فمن أين لك؟

- قال: كتب إليّ به رجل من العلماء بالبصرة يقال له واصل.

فخرج السمنية إلى واصل بن عطاء -بالبصرة- «وكلموه فأجابوه إلى الإسلام»[1].

(١) [فصل الاعتزال وطبقات المعتزلة] ص ٢٣٦

هكذا وبسبب من هذه المتغيرات لفكرية و عقدية على سبيل الدولة الإسلامية بعد الفتوحات.. وبسبب هذه الفتوحات عدا تبلور العقلانية الغربية في صورة «علم الكلام» لتعبير عن فلسفة الإسلام «ضرورة فكرية و فرضية حضارية» بعد ظهور المتكلمين وتسخير الإسلام في حوار ضد و عقد بأن المواريث الفلسفية القديمة

وبعد تحدث المستشرق «جب Gibb [١٨٩٥ ١٩٠١م] عن نشوء هذه العقلانية في مقدمة خصوم الإسلام ومنهم «سنوبة المدرسة» فقال عن فرسان هذه العقلانية

«إنهم استطاعوا أن يقارعوا الثنوية حجة بحجة وأن يحتجوهم و يتشو الفلسفة الأخلاقية المستمدة من القرآن»[١]

وعبارة «جب» هذه شهادة على تفوق العقلانية الإسلامية في ذلك الدفاع الفكري الكبير الذي شهدته الدولة الإسلامية بعد الفتوحات وشهادة كذلك على أن الفلسفة الإسلامية التي تبلورت في «علم الكلام» على يد «المعتزلة وتيار العقلانية الإسلامية قد استمدت ونبعت وصدرت من القرآن الكريم

نعم لقد استدعت سرعة الفتوحات الإسلامية التي اتسعت في الدولة الإسلامية كل ألوان الفكر والفلسفة و ديانات المعروفة يومئذ وكذلك الحروب الدينية والفكرية التي قررها الإسلام،

استدعت الضرورة المبكرة لتبلور سلاح العقلانية الإسلامية الأغر و لأقعر في الحوار مع أصحاب تلك الفلسفات والديانات

فمنذ عصر الصحابة -رضي الله عنهم- لم يتجه تيار عقلي في حضارة الإسلام التيار الذي لا يكتفي بالنصوص ولا يقف عند ظواهر النصوص وإنما يتعمق فيما وراء النصوص وظواهرها وقد روى الدارمي والترمذي وأبو داود عن يحيى بن معمر قال كان أول من تكلم في القدر معبد الجهني [٨٠هـ ٦٩٩م] و تلقيت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري الحج أو العمرة فقلنا لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ

---

[١] جب [ترجمة] [illegible] سنة ١٩٦٢م

فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن، ويتقفرون العلم [أي يبحثون عن غامضه ويستخرجون خفيه] وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أنه لا قدر، وأن الأمر أنف [أي مفوض للحرية والاختيار] »

فمنذ عصر الصحابة بدأ النبأ العقلاني في التنوير معبرا عن ضرورة استخدام العقلانية الإسلامية النابعة من القرآن الكريم للدفاع عن الإسلام في الحوارات مع الذين لا يؤمنون بالنص الدينى الذى يصدق به المؤمنون بالإسلام

مكانة العقل والعقلانية في تراث الإسلام

مما يلفت النظر في تراث الإسلام شيوع الإعلاء لمقام العقل والعقلانية في تراث الأغلبية العظمى لمذاهب الإسلام، فباستثناء بعض «أهل الحديث» الذين برعوا في صناعة «الرواية» وتحفظوا كثيرا على النظر العقلي و«الدراية» ومن ثم حرموا الاشتغال بعلم الكلام، فإننا واجدون للعقلانية الإسلامية مقاما عاليا ومكانا منحوتا ووضعا متميزا ومتميزا في عموم تراث مذاهب الإسلام على امتداد تاريخ هذا التراث، وعلى تنوع مذاهب أئمته وأعلامه.

حدث ذلك في عصر ازدهار الحضارة الإسلامية، وفي عصر الاحياء والتجديد الذي بدأت به أمتنا عصرها الحديث.

وإذا سبقت إشارات «مجرد إشارات» إلى شهادات الأئمة والعلماء الأعلام التي تعلي من مقام العقل والعقلانية، فإننا واجدون أنفسنا أمام تراث لا هي به أمتنا من عداها من الأمم والحضارات، وعلى سبيل المثال:

[١] لقد دار حوار بين الإمام علي بن أبي طالب [٢٣ق.هـ - ٤٠هـ / ٦٠٠ - ٦٦١م] [illegible] وبين أحد السائلين، بدأه الإمام علي بقوله:

«لست تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؟»

فقال السائل: بلى.

فقال الإمام علي: تعرف تفسيرها؟

فقال: لا يا أمير المؤمنين، علمني مما علمك الله.

فقال الإمام: إن العبد لا قدرة له على طاعة الله إلا بالله، ولا على معصيته إلا بالله عز وجل، وبالسائل أغفل عن الله.

فقال: عقلت.

فقال له: لأن ضرب مسلم، فوموا إلى أخيكم المسلم وخذوا بيده

فالعقل عن الله هو دين الإسلام

[٢] أما الحسن البصري [٢١ - ١٠٠ هـ = ٦٤٢ - ٧٢٨م] الذي كان إمام عصره والذي خرج تيار العقلانية الإسلامية [أهل العدل والتوحيد] من بعد عباءته ومن مجلس علمه فإنه هو القائل

«ما تم دين الرجل حتى يتم عقله وما ودع الله عز وجل امرأ عقلا إلا استنقذه به يوما ما»

[٣] فإذا جئنا إلى هذه المدرسة العقلية التي مثلت فرسان العقلانية الإسلامية والتي جاورت أصحاب المذاهب غير الإسلامية الدينية منها والفلسفية وردت شبهاتهم ونشرت الإسلام في الحواضر التي كانت فيها المواريث الفلسفية القديمة والمؤسسات الدينية غير الإسلامية وهي مدرسة المعتزلة أهل العدل والتوحيد، فإننا نجد أنفسنا بإزاء عقلانية مؤمنة، انطلقت - ربما لأول مرة في تاريخ الفلسفة - من الدين وجعلت مهمتها الأولى الدفاع عن الدين بالبراهين العقلية

وفي هذه المدرسة نجد

■ الشك المنهجي علما من العلوم يجب تعلمه للوصول إلى اليقين وعنه يقول الجاحظ [١٦٣ - ٢٥٥هـ = ٧٨٠ - ٨٦٩م]

«فاعرف مواضع الشك، وحالاتها الموجبة له، لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له، ويعلم الشك في المشكوك فيه تعلما، فلو لم يكن في ذلك إلا تعرف التوقف، ثم انتبهت بعد كل ذلك مما يحتاج إليه، فلم يكن يقين قط حتى كان فيه شك، ولم ينتقل أحد عن اعتقاد إلى اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال شك»

والعوام أقرب شكوكا من الخواص لأنهم لا يتوقفون في التصديق والتكذيب ولا يرتابون بأنفسهم فليس عندهم إلا الإقدام على التصديق المجرد والتكذيب

---

(١) الأسفرايني: التبصير في الدين، ص ٣٨ [illegible] ص ١٢٦

المجرد، وأبعدوا بحالة الدائنة من حال الشك التي تستمر على طبقات الشك وذلك على قدر سوء الظن بأسباب ذلك وعلى قدر الاعتقاد.

فالشك المنهجي علم من علوم العقلانية الإسلامية وهو غير «الشك العبثي» الذي يشكك في كل شيء، كحال عدمية ما بعد الحداثة الغربية وتفكيكها العبثي، فالشك له مواضع وله حالات توجبه، والهدف منه هو الوصول إلى اليقين الراسخ الذي لا سبيل إليه إلا عبر هذا الشك المنهجي.

ولقد أسست هذه المدرسة الفلسفية الإسلامية هذا العلم على المنطق القرآني الذي يؤسس العقائد على الحوار المفضي إلى اليقين، ومثلوا ذلك بحوار خليل الله إبراهيم عليه السلام مع ربه سبحانه وتعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فمن هذا الحوار يتعلم منهج الشك السؤال وتأسيس اليقين على التجريد.

كما استندت هذه العقلانية الإسلامية، في تأسيس هذا الشك المنهجي إلى منهاج النبوة الذي تعامل به رسول الله ﷺ مع الذين اعتراهم الشك، وطرأت عليهم الوساوس من الصحابة، فاستعظموا ذلك وذهبوا إلى الرسول ﷺ باحثين عن اليقين.

فلقد روى الإمام مسلم والإمام أحمد: «جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ فقالوا:

إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به؟

قال ﷺ: وقد وجدتموه؟

قالوا: نعم.

قال: ذاك صريح الإيمان، محض الإيمان.

فهنا تأسس صريح الإيمان، محض الإيمان، اليقين الإيماني عبر الشك الذي جعلوه طريقا إلى اليقين.

١- الجاحظ [كتاب الحيوان] ج٦ ص٣٥. ٢- الحقيقة عند الإسلام هارون [illegible]

■ كذلك يتحدث الجاحظ عن هذه العقلانية الإسلامية التي جمعت الأوائل بين «التوحيد الأشعري» و«الطبائع والأسباب الصنيعة» الموروثة في «الكون والاجتماع وكل ما هذا جمعه وتأليفه هو الدلالة على بلوغ العقل وأفكر درجة التمكن من «صنعة الفلسفة»». فيقول

وليس يكون المتكلم جامعا لأقصر الكلام المتمكنا من الصنعة بصناعة الرياسة حتى يكون الذي يحسن من الكلام الذي هو أحسن من الكلام فلسفة وما لم يعلم هو الذي يجمعهما ويصير هو الذي يجمع بحقوق التوحيد وإعطاء الصانع حقه من العجز ومن رفع أن التوحيد لا يصلح إلا بإدخال حقوق الطبائع فقد حصر عجزه على الكلام في التوحيد وكذلك ادعى أن الصنعة لا تصلح إلا قرينة للتوحيد ومن قال هذا فقد حصر عجزه على الكلام في الصنائع وما ليس من أهل العلم إذا لم يدعك التوقف على التوحيد إلى بحث حقوق الطبائع لم في رفع عجائبها ورفع غرائبها، وإن كانت الأعمال هي الدالة على الله فرفعت الصنعة، فقد تعلمت ما يدل عليه

والعجز في الجمع بينهما ليس بنقص لأحد ولا عجز بالله تعالى أن أكون كلما عرضت لي من الكلام صعب استحضر مقصد تركت من تركني ومن كل كتاب لم ينفعني به[1]

فهذا أول مرة في تاريخ فلسفة وتفلسف تتأسس فلسفة على عقلانية موسعة تجمع بين الدين وبين الفلسفة بين التوحيد الأشعري وبين الطبائع معصمة كل ذي حق حقه

■ وفي هذا الإطار يفهم قول الإمام محمد بن علي بن الحبشي [٢٢٥ ـ ٣٠٤هـ = ٨٤٩ ـ ٩١٦م]

«إن الوجه الأول على الإنسان هو النظر

■ وقول الإمام أبي هاشم الجبائي [٢٤٧ ـ ٣٢١هـ = ٨٦١ ـ ٩٣٣م]

«إن الوجه الأول على الإنسان هو النظر»[2]

■ وبذا انتهت إلى قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الهمذاني [٣٢٥ ـ ٤١٥هـ = ٩٣٦ ـ ١٠٢٤م] وهو الذي اعتبر عجائبه عبقرية هذا العصر، وعقلانيته هي الصنع وحده دون

---

[1] [illegible] ٣ ص ١٢ ـ ٢٥ تحقيق عبد السلام هارون [illegible]

[2] عن فيض نشر [illegible] ص ٢٣٣ [illegible]

«إن الأدلة أولها دلالة العقل لأنه يميز بين الحسن والقبيح، ولأن به يعرف أن الكتاب حجة، وكذلك السنة، والإجماع

وربما تتحت من هذا الترتيب بعضهم، فيقول أن الأدلة هي الكتاب والسنة والإجماع فقط أو يضيف العقل لكن على أمور فهو موجود وليس كذلك لأن الله تعالى لم يخاطب الأنام العقل ولا أنه يعرف به الكتاب حجة وكذلك السنة، والإجماع، فهو نص في هذا الباب، وإن كنا نقول إن الكتاب هو الأصل من حيث إن فيه التنبيه على ما في العقول، كما نقول إن العقل دليل لأنه على الحكم

ويتعقل يميز بين حكم الأفعال وبين حكم الفاعلين وبولاية التمييز من به أحد لا يتركه ولا يعاتبه ولا يحمد ولا يذم ولذلك ترى المواشي عن العقل

ومتى عرفت بالعقل بها يعرف دلالتيه ومعرفة حكمه يعلم في كتابه به دلالة، ومتى عرفت مرسلا لرسول ومخبرا بالأعلام المخبرة من لك بين عندك أن هو رسول حق وأن ما لا يجتمع هو على خطأ و عليكم بإجماعه عندنا الإجماع حجة

■ فالعقل درجة من درجات المعرفة والإدراك تعلو على الحواس وتعبارة الجاحظ «فلا تذهب إلى ما تريك العين وذهب إلى ما تريك العقل فإن الأمور حكمها ظاهر للحواس وحكم الناس للعقول، والعقل هو الحد»[1]

■ وإذا كان هذا الخلاف في هذا الإطار عند المسلمين فإن الفلسفة الغربية وعقلانيته المؤمنة» انطلاقا من هذا نظر المستشرقون الذين قسموا هذه الحقيقة إلى هذا الإطار عند المسلمين وبعد أن وستغراب فقد المستشرقة الإنجليزي «انغريد جيوم

إن قوة الحركة الاعتزالية تعرف جمهور وتعد الذين حاولوا حصرها في صرفهم إقامة علم الكلام الإسلامي على أسس مستمدة من الفلسفة اليونانية وفي وقت نفسه على أن يكون متأثرا منفصلا عن الاستخدام بسبب وعن الفلسفة التي تحت تدرس بوصفها من مستلزمات العقيدة نفسها[2]

١ نص الاعتزال وأصوله السعودية ص ١٢

٢ [illegible] ص ٢٢

٣ جيوم [فلسفة وعلم كلام] ص ٣٩ [illegible] دار [illegible] ١٩٧٤م

وبعبارة المستشرق «جب»

«فلقد سيطرت المعتزلة [يقصد] ليشيوا الفلسفة الأخلاقية المستمدة من القرآن»[1].

[٤] فإذا انتقلنا إلى «شهيد» أخرى نشاهد حرها هو الإمام الحارث بن أسد المحاسبي [١٦٥ ٢٤٣هـ = ٧٨١ ٨٥٧م] الذي عاش وشرع في العراق أيام نهضتي واسع جمع في عقله وعباداته وبدعه بين متصوف وعلم الكلام فيلسوف والسلفية وحدث مقدم العقل عند يتوقف عنده حتى يقول فيه

«العقل غريزة وضعها الله سبحانه في أكثر خلقه ويوفق في بعض كالنبوغ في الغريزة يولد العبد به ثم يزداد فيه معنى بعد معنى بمعرفته بالأسباب الدالة على المعقول.

والمعرفة من العقل تكون وهو صفوه الروح وقد سمى العقل لأنه حابس كل شيء خالصه، وقال الله عز وجل ﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾ [الزمر ٩]

وبالعقل عرف الخلق الله، وشهدوا عنه بالعقل الذي عرفوه به من أنفسهم بمعرفة من بعضهم ومعرفة من تصرفهم وبه قام لله على المتعلمين للحجة، وإياهم خاطب من قبل عقولهم ووعد وتوعد وأمر ونهى وحض وندب

وقد روي في التفسير عن ابن عباس في قول الله تعالى لموسى عليه السلام ﴿وأوحينا إليه﴾ [طه ١٣] عقل ما يوحى إليه فالفهم والعقل يسمى عقلا لأنه عن العقل كما قال الله عز وجل يقول ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾ [العنكبوت ٤٣] أي ما عقل عن الله تعالى يعني عقل عن الله ما سمعت أذناه، مما قال أو أخبر

وإنما تم عقل المؤمن عن ربه فرده عز وجل إلى التوحيد له في كل المعاني

ولا عقل يبعد عن التفكر والنظر والتذكر لتكثر العبر فيزداد في علمه، ويعقل في القصص فمن قل تفكره في اعتباره ومن قل اعتباره قل علمه وهو من قل علمه كثر جهله وبين نقصه، ولم يجد طعم البر، ولا برد اليقين، ولا روح الحكمة فما أقربه في حينئذ من حياة البهائم التي لا تعرف إلا ما يسرها بحسها

(١) [دراسات في حضارة الإسلام] ص

وقد جعل الله بعقول معدن الحكمة، ومقتبس الآراء ومستنبط الفهم ومعدن العلم ونور الأبصار إليه ساوى كل محصور وبه يستدل على ما حجب به من غمض الغيوب، فبه يدرون الأعمار قبل كونها، ويعرفون عواقبها قبل وجودها وعنه تصدر الجوارح بالضمائر فتسارع إلى ما نفعها أو ترحرف فتمسك عن مكروهها

وقد استخلص الله من عباده خالصته من خلقه فهداهم عند قولهم بعقولهم فاتسع بها ما خفي عن الأبصار

والحجة للعاقلين عند الله عز وجل أنه رفيق عقلا عنه ومعرفة به اغتروا بالعجز أنهم لا يبلغون في العقل والمعرفة كنه معرفته [1]

* * *

ومن ذلك نقرأ عند أبي حيان التوحيدي [٣٨٠هـ ٩٩٠م]

به نفس في العقل والمعقول شك وبحث الريب والشك والظن والوهم كليب من علائق الحس وبوائق الحلقة ولا هذه العوارض بمثل هذه العلاقة سخونة ولبقي على بصيرته وحصافته وحسه وبديهته وبتكرار الأمر تنقص هذه الأعراض في الأول صار نقص هذه الأحوال في شأني عاصفة من نعمة ترد في وصف الأشياء المحسوسة جهلا منه وخطأ واستكثار من تعالم الحس في وصف الأشياء المرئية عجزا منه وتقصيرا وهو وهو لو وصفه كل شيء بوصفه وسمته لي شكله، ولم يرفع الوصيع إلى محل الرفيع ولم يضع الرفيع في موضع الوضيع [2]

وبعد فمن يستحق من العقل؟

فقال حسبة العقل لأولي الألباب أن يحيد عنه ويتعذب به ويبعد أن يعتمد عليه قصدا ويسكون في حرمه ويدعون إلى مواضعته والتوحد به والاعتراف إليه، والاعتزاز به

---

١) تحارث المحاسبي [مدينة العقل وحقيقة معناه] ص٢٠١ ٢٣٥ و [فهم القرآن] ص٢٦٦، ٢٦٧ مؤسسة وحقيقة حسين القوتلي صيدا بيروت سنة ١٣٩٨هـ سنة ١٩٧٨م

٢) أبو حيان التوحيدي "الإمتاع والمؤانسة" جـ ٣ ص١٩١ تحقيق أحمد أمين أحمد الزين طبعة القاهرة سنة ١٩٥٠م

فما له فقد قيل إن العقل مأخوذ من معنى يعقل؟

فقال قد كنت كلام سبق ومعنى درس ودعوى منه فيه ولم يدر الاستفهام عن الكلمة على جهة واحدة في المطلوب المضارع لأنه مأخوذ من تركيب الحروف، وتأليف الخط وصورة المسموع ترتيبا يحقق سمعه حرى، كالروضة والهدية بمعنى العقل أكنت تريد به معنى يعقل؟ لا والله لم تجد معنى مأخوذا أيضا من صفته ومذكورا في عرض ما يتعقل به لأن العقل يعقل أي يمنع ويحبس وهو الذي يذبح ويطلق، ويسرح ويفرغ ويكف فهو مأخوذ من حبس، وهو مأخوذ من مكان دون مكان، ومكان دون مكان[1]

* * *

[٦] وفي القرن الثالث الهجري يقول الإمام أبو الحسن الماوردي [٣٦٤ - ٤٥٠هـ = ٩٧٤-١٠٥٨م]

«إن بعض الموفق في معرفة الأصول لشرعيه والعمل بها شاذ و

أحدهما علم بحس وهو العقل لأن حجج العقل أصل بمعرفة الأصول، إذ ليس تعرف الأصول إلا بحجج العقول.

والثاني معرفته بالسمع وهو مفتقر في حجته إلى سمعه خاصة دون كل فصيلة من أجناس وكل أجناس النوع وأجناس الفصائل ونوع الإنسان هو العقل الذي جعله الله تعالى بدنيا صلاحا وبدنيا عمارا فأوجد التكليف بكماله وحسن تدبيره بحكمته، وألف به بين خلقه مع اختلاف هممهم وخواطرهم وتباين أغراضهم ومقاصدهم وحسن مصالحهم به فحسن قبح والعقل فوكده الشرع وقسمًا جاز في العقل فوجبه الشرع فكان العقل لهم عمادًا..»[2]

[٧] ثم الراغب الأصفهاني [٥٠٢هـ ١١٠٨م] الذي دلق بصيص مفاهيم مفردات غريب القرآن الكريم وبثاقب في مجمع الشريعة الإسلامية ومكارمها. فإنه هو القائل عن العقل والعقلانية الإسلامية

الجويني [المقدمة] ص٣٧١، ٣٧٣ [المقدمة السادسة بعد المائة] تحقيق محمد يوفيق حسين طبعة بيروت سنة ١٩٨٩م

(٢) الماوردي [أدب القاضي] جـ١ ص٢٧٤ ٢٧٥ طبعة بغداد سنة ١٩٧١م

(٣) الماوردي [أدب الدنيا والدين] ص١٩ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٣م

«الله عز وجل في خلقه رسولان

خلقهم من الخلق وهو العقل

والنبي من الظاهر، وهو الرسول

ولا سبيل لأحد إلى الانتفاع بالرسول الظاهر مالم يتقدمه الانتفاع بالباطن، فالخلق يعرف صحة دعوى الظاهر وبرهانه لما كانت تلزم الحجة بقوله وبهديه أحد الله من يشكك في وحدانيته وصحة نبوة الأنبياء عن العقل فأمره بأن يفزع إليه في معرفة صحيح

فالعقل قديم والخلق محدث، ولو لم يكن العقل لم يكن الخلق، ولو لم يكن الخلق لاصبح العقل عاطلاً، واجتماعهما كما قال الله تعالى «نور على نور» [٣٥]

* * *

[٨] فإذا عدنا إلى حجة الإسلام أبي حامد الغزالي [٤٥٠ - ٥٠٥هـ = ١٠٥٨ - ١١١١م] الذي مثّل - منذ القرن الخامس الهجري وحتى الآن - ظاهرة فكرية، غطت مصادر الفقه والأصول والفلسفة والتصوف والكلام والتصوف والأخلاق، وما تزال تحدث تأثيرات كثيرة وبديعة وعميقة في وعينا - حول مقام العقل ودور الوسطية الإسلامية في تحرير العقلانية الإسلامية المؤمنة تحريرها من العقل النصوصي، الذي يقف أصحابه عند الأثر، ومن العقل العقلاني، الذي يصطنع أقيسة تناقضات بين العقل والشرع. وفي ذلك يقول الغزالي

«إن مثال العقل البصر السليم من الآفات والأدواء

ومثال القرآن الشمس المنيرة للضياء

فأخلق بأن يكون طالب الاهتداء المستغني بأحدهما عن الآخر في غاية العمى والعشاء فالمعرض عن العقل، المكتفي بنور القرآن، مثله المعرض بنور الشمس مغمض للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان

فالعقل مع الشرع نور على نور»[٣]

---

١ الرد على من ينكر التصوف [ضمن مجموعة رسائل] ص ٢٠٧ تحقيق د. أبو العلا عفيفي، طبعة الدار القومية ١٣٨٨هـ ١٩٦٧م

٢ الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، ص ٣٢، طبعة صبيح القاهرة بدون تاريخ

وأنى يستنكر الشرع ما دعا إليه بتقرير الآثار وتحريره ويذكر البحث والنظر؟! أولا يعلم أنه لا يستند للشرع إلا قوم سدد البشر عقولهم؟ وبرهان العقل هو الذي عُرف به صدقه عيب آخر[1]

إن العقل أولى باسم النور من النقل لأن النقل يستفاد من العقل فما يصح أن يقال عنه أنه أولى، بل الحق أنه يستحق الاسم دونها [1]

وعند التحقيق نور الحكمة يصير الإنسان مبصرا بما فيه بعد أن كان مبصرا بالقوة وعلم الحكمة كلام الله تعالى فيكون مبصرا بآيات القرآن عند من يعتقد نور الشمس عند العين الصحيحة، إذ به تتم الإبصار فالحري أن يسمى القرآن نورا كما يسمى نور الشمس نورا، فمعنى القرآن هو الشمس ومعنى نور العين وبهذا يفهم معنى قوله تعالى ﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾ [التغابن 8][2]

ولا يبعد أنها لمعتكف في عالم العقل أن يكون وراء نعمة طور آخر يظهر فيه مالا يظهر في العقل كما لا يبعد كون للعقل طور وراء التمييز والإحساس يكشف فيه عرائس وعجائب يقصر عنها الإحساس والتمييز فلا يحجر قاصر بكمال وقف على نفسه [3] ، لا نص في يدك أن وراء ما تصوره العقلاء أمورا ورد الشرع بها ولا تعلم حقيقتها إلا الله تعالى والأنبياء الذين هم وسائط بين الله تعالى وبين عباده [4]

ومما يقضي العقل باستحالته فتحت فيه تأويل مورد السمع به، ولا يتصور أن يشتمل السمع على قطع معارف سمعوها [5] والوحي الإلهي والشرع الحق لا يرد بما يستحيل عند العقل وليس كل ما لا يدركه العقل محالا في نفسه والفرق بين المستحيل والمحال فإن المستحيل هو الذي يستحيل وقوعه والمحال ما لا يتصور كونه [6]

---

١ الغزالي [مشكاة الأنوار] ص٢٦ طبعة بعناية د. عبد العزيز عز الدين السيروان ١٩٦٤م

٢ [الاقتصاد في الاعتقاد] ص٢٠٣

٣ [مشكاة الأنوار] ص٥١

٤ الغزالي [مقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى] ص ٢٠٥ طبعة بعناية د. فضلة شحاتة أحمد هنداوي نشر مكتبة الجندي بالقاهرة (مع حواشي الإمام الغزالي) بدون تاريخ

٥ [الاقتصاد في الاعتقاد] ص١٢٣

٦ [المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى] ص ٢١٨، ٢١٩

«وما تتبع العقل تصرف فلا يجوى عنه الأولياء لله تعالى، لما من الله تعالى الحق وقواهم على اتباعه، وهداك رأس مال كل لسعادات العقل»[2]

«وقد تحصل أهل السنة أنه لا معارضة بين الشرع المنقول والحق المعقول وعرفوا أن ما ظن من التعارض [بصاهرة] وجود الجمود على النقل واتباع الظواهر من أنه ناشئ إما عن ضعف المنقول وقلة البصائر، وإما عن تعمق من الفلاسفة وغلاة المعتزلة في تصرف العقل حتى صادموا به مواضع الشرع من أنه لا من حيث بصائر فمن وسط أو تعمق وصل هؤلاء إلى الأفراط وكلاهما بعيد عن الحزم والاحتياط»[3]

* * *

[9] أما الفيلسوف الفقيه الطبيب المتكلم الذي كان الناس يفزعون إلى فتواه في الفقه كما يفزعون إليه في الطب والكلام والذي اجتمعت الكلمة على أنه الشارح الأكبر لأرسطو [384 - 322ق م] حكيم الإسلام الذي تميزت شروحه بتخليص فلسفة أرسطو مما شابها من شروح السابقين والآخرين هو أبو الوليد ابن رشد [520 - 595هـ = 1126 - 1198م] فإنه هو المقابل في الفلسفة الإسلامية لتوما

إن الشرع دعا إلى اعتبار الموجودات بالعقل وتطلب معرفتها به، فذلك بين في غير ما آية من كتاب الله تعالى ومعنى من قوله تعالى: ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ [الحشر 2] وهذا نص على وجوب استعمال القياس العقلي أو العقلي والشرعي معا فواجب أن نحكم النظر في الموجودات بالقياس العقلي وإن كانت هذه الشريعة حق واجبة في الشرع لمن أدى إلى معرفة الحق غير المتكلمين نعم، على شرط ألا يؤدي النظر البرهاني إلى مخالفة ظواهر الشرع، فإن الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له

ونحن نقطع قطعا كليا بأن ما أدى إليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع فذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي ولا نشك أنه ما من مخلوق به

---

1) [الاقتصاد في الاعتقاد] ص98

2) [رسالة الغزالي إلى بعض أصدقائه ص 69 - طبعة القاهرة - ضمن مجموعة سنة 1907م

3) [الاقتصاد في الاعتقاد] ص2

في الشرع، مخالف لظاهره مما أدى إليه الشرعي، إلا إذا اعتبر ويصفح سائر حرفه وحد في انخراط الشارع ما يشهد بظاهره بحيث يدوس ويقرب أن يشهد

وجدوى الشرائع لا تنس في وجوهها وكيفية وجوبها أمر يهي معجز عن إدراك العقول الإنسانية

والجواب أن نعلم الفرقة من الجمهور التي ترى أن الشريعة مخالفة للحكمة إنما لبست مخالفة لها، وكذلك الذين يرون أن الحكمة مخالفة لها، من أنس بالمنسوب للحكمة أنها ليست مخالفة لها ورسخ في ذهنه أن يعرف كل واحد من الفريقين أنه لم يقف على كنههما بالحقيقة، أعني لا على كنه الشريعة ولا على كنه الحكمة وأن الرأي في الشريعة التي يعتقد أنها مخالفة للحكمة هو رأي من مبتدع في الشريعة لأمر حصل له في رأيه في الحكمة، غير ما يوجد عليه

إن الحكمة هي صاحبة الشريعة، والأخت الرضيعة وهما متصاحبتان بالطبع، متحابتان بالجوهر والغريزة »[1]

* * *

[١٠] فإذا جئنا إلى الفقيه الأصولي القرافي أحمد بن إدريس [٦٢٦ - ٦٨٤ هـ ١٢٢٨ - ١٢٨٥م] وجدناه يقول عن مكانة هذه الغريزة والمكانة المرتبة التي تحتلها

قال القرافي في [شرح التنقيح] أكثر الفقهاء وأكثر المتكلمين على أن الإجماع في القديم، وعن بعض الفقهاء وأكثر المتكلمين على أنه في الإجماع، مستدلين بأنه أصاب الإجماع فيه فسد الفعل ونصت العلوم والأبصار والفكر، وأحوال النفس

والجواب عن مستدلة الإجماع بعلة شرط وشيء قد يفسد لفساد محله وقد يفسد لفساد شرطه ومع الاحتمال فلا جزم بالخصوص وأما قوله تعالى في لسان كقوله تعالى ﴿ثم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ [الحج ٤٦] في [ذكر] من كان قبلنا [٣٠] ولم يكن في شريعتهم لأن [الآية ٣٣] فمن شرح الله صدره للإسلام [الآية ٣٢] ولم يذكر الإجماع قط في هذه المواضع فدل على أن محل العقل بقي لا الإجماع

---

[1] [illegible] حكمة التشريع [illegible] ص٢٣ ٢٢ [illegible] تحقيق محمد علي صبيح القاهرة سنة ١٩٨٣م و[illegible] الفقه [illegible] ٣ ٢٥ صبيح القاهرة سنة ١٩٦٣م و[illegible] الأزهري [illegible] ١٨٥ تحقيق [illegible] مخطوط في معهد صبيح القاهرة سنة ١٩٥٥م

وجعل الله تعالى في مجاري عادته استقامة حال الإدماج شرطا في حصول أحوال العقل والقلب على وجه الاستقامة

وإذا تقرر أن العقل في القلب يلزم، على أصولنا أن النفس في القلب لأن جميع ما ينسب إلى العقل من الفكر والعلوم وغير ذلك إنما هي صفات النفس فتكون النفس في القلب، عملا بظواهر النصوص

وقد قال بعض العلماء: إن النفس هي الروح وهي العقل فتسمى نفسا باعتبار ميلها إلى الملاذ والشهوات، وروحا باعتبار تعلقها بالجسد تعلق التدبير بإذن الله تعالى في غذائه وصحته وسقمه ومتى فارقته ذهبت في مجاري العادات ومن الممكن عقلا أن تذهب الروح من الجسد وتبقى حيًّا كما تضع المرأة جنينها وتبقى حية على حالها فالنفس جسم لطيف حيٌّ شفاف في جسم حي كثيف فمفارقته كمفارقة الجنين

وباعتبار كونها محصلة للعلوم بالفكر تسمى عقلا

فصار لها ثلاثة أسماء باعتبار ثلاثة أحوال والموصوف واحد وبهذا يتجه به أنها في القلب

وإذا كانت النفس في القلب كانت النية والإرادة وأنواع العلوم وجميع أحوال النفس في القلب

■كما يقول القرافي عن علاقة العقل بالشرع

«والقاعدة المعلومة أن الشرع لا يرد بخلاف العقل بل جميع واردات الشرائع تحت انحصارها فيما يجوزه العقل وجودا وعدما فيرد الشرع بترجيح أحد طرفيه، وجوده أو عدمه، أو يسوي بينهما، وهو الإباحة»[٣].

* * *

(١) القرافي [كتاب الأمنية في إدراك النية] ص٤٩٨-٤٩٩ وهو منشور كملحق بكتاب القرافي وأثره في الفقه الإسلامي] لـ عبدالله إبراهيم صلاح طبعة مرتضى سنة ١٩٩٠م

(٢) المصدر السابق، ص٥٢٣

[١١] فإذا جئنا إلى إمام الفقه والإفتاء وأبرز المجددين في تاريخنا الوسيط وفيلسوف السنية وعمدة نقاد المنطق الأرسطي وصاحب الجهود المتميزة في النظر الفلسفي وتميز الفلسفة الإسلامية بالعقلانية المؤمنة شيخ الإسلام ابن تيمية [٦٦١ - ٧٢٨هـ = ١٢٦٣ - ١٣٢٨م] فإننا واجدون بدنه كتابا يلخص عنوانه مذهب الإسلام في العقلانية [بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول] وفيه يقول:

إن ما عرف بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه منقول صحيح قط وقد تأملت ذلك في عامة ما ينازع الناس فيه فوجدت ما يخالف النصوص الصحيحة شبهات فاسدة تُعلم بالعقل بطلانها، بل يُعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع وهذا تأمليه في مسائل الأصول الكبار كمسائل التوحيد والصفات ومسائل القدر والنبوات والمعاد وغير ذلك.

ووجدت ما يعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط بل السمع الذي يقال إنه يخالفه إما حديث موضوع أو دلالة ضعيفة فلا يصح أن يكون دليلا لو تجرد عن معارضة العقل الصريح فكيف إذا خالفه صريح المعقول.

ونحن نعلم أن الرسل لا يخبرون بمحالات العقول بل يخبرون بمحارات العقول فلا يخبرون بما يعلم العقل انتفاءه بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته.

والقول كلما كان أفسد في الشرع كان أفسد في العقل فالحق لا يتناقض والرسل إنما أخبرت بالحق والله فطر عباده على معرفة الحق والرسل بعد التكبير الفطرة لا تتغير الفطرة قال الله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ [فصلت ٣] فأخبر أنه سيريهم الآيات الأفقية والنفسية المبينة لأن القرآن الذي أخبر به عباده حق فيتطابق دلالة البرهانية القرآنية والبرهانية العيانية ويتصادق موجب الشرع المنقول والنظر المعقول [٢] ولقد قال الحنفية وكثير من المالكية والشافعية بتحسين العقل وتقبيحه وهو قول الكرامية والمعتزلة وهو قول أكثر الطوائف من المسلمين [٣]

---

(١) ابن تيمية [بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول] جـ١ ص٨٣ طبعة [illegible] ١٣٢١هـ

(٢) ابن تيمية [منهاج السنة النبوية] جـ١ ص٨٢ طبعة [illegible] ١٣٢٢هـ

(٣) ابن تيمية [الفتاوى] جـ٨ ص٢٨، ٢٢ طبعة الرياض سنة ١٣٨١هـ

هكذا تألفت العقلانية الإسلامية في عصر الازدهار لحضارة الإسلام

وهكذا سادت مناهج التفكير في معظم مذاهب المسلمين، باستثناء بعض «أهل الحديث»، الذين غلبت عليهم «صناعة الرواية» أكثر من «ملكة الدراية»، والذين وصف أبو حامد الغزالي رائدهم الإمام أحمد بن حنبل [١٦٤ - ٢٤١هـ ٧٨٠ - ٨٥٥م] بأنه «لم يكن ممعنا في النظر العقلي»[١].

فباستثناء هذا التيار النصوصي سادت العقلانية الإسلامية معظم تيارات الفكر في حضارة الإسلام

* * *

٢ - أبو حامد الغزالي: فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، ص ... طبعة القاهرة سنة ١٩٠٨م

٥ تراجع العقلانية الاسلامية

في خط سير الحضارات هبات دورات وتداول للمواقع بين التقدم والتخلف بين النهوض والهبوط ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ [آل عمران: ١٤٠] ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا﴾ [النساء: ٢٣]

وفي تقرير هذه السنة الاجتماعية سنة التداول والدورات في خط سير الأمم والحضارات يقول رسول الله ﷺ:

«لا يلبث الجور بعدي إلا قليلا حتى يطلع، فكلما طلع من الجور شيء ذهب من العدل مثله حتى يولد في الجور من لا يعرف غيره ثم يأتي الله بدارك وتعالى بالعدل، فكلما جاء من العدل شيء ذهب من الجور مثله حتى يولد في العدل من لا يعرف غيره» [رواه الإمام أحمد]

* * *

ولقد جاء حين من الدهر تراجعت فيه العقلانية الإسلامية ضمن ظاهرة التراجع الذي أصاب الحضارة الإسلامية، فسادت الركاكة لغتنا العربية، وطغت المحسنات الشكلية على شعرنا العربي، وحل الجمود والتقليد محل الاجتهاد والتجديد في مذاهب الفقه الإسلامي، وانتشرت البدع والخرافات بدلا من التصوف الحقيقي، وتراجع علم الكلام الإسلامي وشاعت مقولة «من تمنطق فقد تزندق»، وكان لهذا التراجع الحضاري الذي شمل العقلانية الإسلامية أسباب عديدة، منها الداخلية والخارجية.

■ لقد تصاعد الصراع بين «الشعوبية الفارسية» وبين الطابع العربي للخلافة والحضارة، فحسب الخليفة العباسي المعتصم [١٧٩ - ٢٢٧هـ/ ٧٩٥ - ٨٤١م] - الحر هو في تكوين جيش الدولة والخلافة من المماليك الترك المجلوبين من وسط آسيا، بحسبانهم قوة محايدة بين الفرس والعرب، تكون طيعة في يد الخلافة لا ولاء لها نحو الفرقاء المتصارعين.

ولقد اختار المعتصم مدينة سامراء معسكرا لجند المماليك لكن يصحح هذه المؤسسة العسكرية بخصوصيته فيما يتوهمه فبدلا من أن تكون أداة طيعة بيد الخلافة في بغداد، عدت الخلافة «لعبة بيد هؤلاء العسكر المماليك، بل وأصبحت «سامراء» هي العاصمة بدلا من «بغداد»

ولقد عبر الشاعر عن هذا الانقلاب، فقال

حنيفة في قفص بين «وصيف» و«بغا»[1]

يقول ما قالا له كما يقول الببغا"

وتحدث عنه المسعودي [٣٤٥هـ = ٩٥٦م] فقال عن خلفاء ذلك التاريخ

«إنهم كانوا كالمولّى عليهم، لا أمر ينفذ لهم»[2]

وبخصوصية هؤلاء العسكر المماليك، وغربتهم عن روح الحضارة الإسلامية وعقلانيتها ترجع لهذا الصنف الذي عبر عنه بحصرة حتى كان الانقلاب الفكري الذي تم بواسطة العسكر المماليك في عهد المتوكل العباسي [٢٠٦ ٢٤١هـ = ٨٢١ ٨٦١م] وهي حيث فيه بمسافة بخصوصيته محل بعقلانية ولدى انتهى بقتل هؤلاء المماليك للمتوكل ذاته!- وتحول الخلافة إلى لعبة في يد قادة العساكر

فلما جاء عهد الخليفة القادر بالله [٣٨١ ٤٢٣هـ ٩٩١ ١٠٣١م] الذي حرم -بمرسوم عربي عن روح الإسلام سمي « الاعتقاد القادري حرم عقولا العقلانية الإسلامية، وعمم الكلام وفكر العدل والتوحيد كما هذا الانقلاب على العقلانية الإسلامية قد أخذ طريقه إلى ميادين الفكر في بلاد الإسلام

ولقد وصف الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [١٢٦٦ ١٣٢٣هـ ١٨٤٩ ١٩٠٥م] هذا « الانقلاب» على العقلانية الإسلامية وروحها العربية وصف عبقريًا، أشار فيه إلى أبعاده الثقافية والحضارية، عندما قال

«انظر كيف صارت هذه من مزايا الإسلام - [تسامح المساواة]- سببا فيما صار إليه هذه

---

١) وصف وبغا من قادة العسكر المماليك بالمعتصم

٢) المسعودي [التنبيه والإشراف] ص ٣٤٧ ٣٤٨ طبعة دار التراث بيروت

كل الإسلام دينا عربيا ثم تحقه العلم مصار على عربيته بعد ان ك
يونانيا ثم جاء خليفة -[المعتصم العباسي] في سياسة قد تحد من سعة
الاسلام سبيلاً بما كان يظنه خيرًا له، ظن ان الجيش العربي قد يكون عونا
لخليفة عوى لأن العلويين كانوا ألصق ببيت النبي ﷺ فأراد ان يتخذ له جيشا
جنسه غير العرب وسلم وغيرهم من الامم التي ضمها بسيفه فاستعبدها بسطوته
ويصطنعها بحسبانه فلا يستطيع ان يخرج عليه ولا يعين طالب ملك منهم
وفي سعة احكام الاسلام وسهولته ما يبيح له ذلك

هذا استعجم الإسلام وتعلم اعجميًا

خليفة عباسي راح يصنع لنفسه، وبئس ما صنع بأمته ودينه، أكثر من
نحو لاحبشي واقام عليه الرؤساء منه، فلم تكن إلا عشية أو ضحاها حتى تعلب
الرؤساء نحو على الخلفاء وتسيدوا بالسلطان دونهم، وصارت الدولة في
قبضتهم ولم يكن بهم بأس العقل الذي وصفه الإسلام وتقف لدى هديه
بدين

ومن دراسة التاريخ وفي بطء وكمد هو شأن التطورات الحضارية والتغيرات
الفكرية- يبدأ تراجع المقلانية في تاريخ الإسلام

■ ثم جاءت مخاطر الحملات الصليبية التي دامت قرنين من الزمان [٤٨٩
-٦٩٠هـ/١٠٩٦ -١٢٩١م] ومعها واتباعها تحالف الذي قامه الصليبيون مع
الوثنية الشرقية، التي اجتاحت الشرق الإسلامي والعربي، واحتلت بهم من
الدمار المادي والفكري ما قد تصورت وكذلك نرعات الانتقام التي
انتشرت في اطراف الدولة الاسلامية خلف كل هذه المخاطر تتهدد وجود الدولة
الاسلامية والأمة وتحاصرها الأمر الذي جعل الأمة تستسلم لقهار العسكر فحاصت
وتصنع الرمام -مصطرة- «للعضلات» بدلا من «العقل والمقلانية» فصار عصر
العسكرة التي سادت الدولة، وانعكست على الحياة الفكرية والعلمية والحضارية
الأمر الذي أخر انترجع الحضاري بعض الأدوار وأصاب المقلانية الاسلامية
بالتوقف الذي جعلها تتراجع وتكدر وتتوارى طوال حكم العسكر المماليك
والعسكر الانكشارية العثمانيين

(١) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، ج٣، ص ٣١٨-٣١٩، الطبعة الثانية، محمد عمارة، صدرت بيروت سنة ١٩٧٢]

وبقدر ما انحاز كذلك حتى صدمة الاحتكاك العربي العنيف بالشرق الاسلامي تلك التي تمثلت في غزوة «نوبليون» [١٧٦٩ - ١٨٢١م] لمصر [١٢١٣هـ - ١٧٩٨م] الامر الذي سيفرز في الامة عوامل مقاومة قد ادت حتى موازينها في العقلانية، تتحدد بها حياتها ولتقطع الطريق على التغريب والغزو الفكري والعقلانية الوضعية اللادينية التي اخذت في التسلل الى بلادنا في ركاب الغزاة الغربيين

وبذلك اخذت امتنا تمسك بخيوط النهضة والنقطة والتقدم من جديد

٦ عقلانية الإحياء الإسلامى الحديث

[١] كان الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى [١٢١٦ - ١٢٩٠هـ ١٨٠١ - ١٨٧٣م] التلميذ النجيب لشيخ الأزهر الشيخ حسن العطار [١١٨٠ - ١٢٥٠هـ ١٧٦٦ - ١٨٣٤م] الذى احتك بعلماء الحملة الفرنسية وأدرك ضرورة التجديد الفكرى لمواجهة التغريب القادم فى ظلال عسكرية الغزاة. ولقد أعلن ذلك عندما قال:

«إن بلادنا لابد أن تتغير ويتجدد بها من العلوم والمعارف ما ليس فيها».

ولقد رشح العطار رفاعة كى يذهب إلى باريس إماما للبعثة التعليمية التى أرسلها محمد على باشا [١١٨٤ - ١٢٦٥هـ ١٧٧٠ - ١٨٤٩م] إلى هناك [١٨٢٦ - ١٨٣١م] وأوصاه أن يكتب مشاهداته فى تلك البلاد لمعرفة ما لدى «الآخر»، وللتفاعل الحضارى اللازم لنهوض بلاد الإسلام.

ولقد رأى الطهطاوى فى باريس - بعين العالم المسلم:

١ - علوما طبيعية وتطبيقات لهذه العلوم الطبيعية، قد عدت «مدنية» تقيم العمران المزدهر للواقع المادى فى تلك البلاد، وأدرك أن هذه العلوم التى سماها «العلوم الحكمية علوم التمدن المدنى» هى مشترك إنسانى عام بين وأدرك الأصول والجذور لهذه العلوم فى حضارة الإسلام وتراث المسلمين.

٢ - وفلسفة وضعية، وعقلانية لا دينية، مليئة بالحشوات الضلالية، ومخالفة لكل الكتب السماوية، جعلت الفرنسيين - كما سبق وأعلن الجبرتى:

«دهرية معطلين، وللمعاد والحشر منكرين وللنبوة والرسالة جاحدين. ولقد خالفوا النصارى والمسلمين»(١).

---

(١) الجبرتى [مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس] ص ٣٤ تحقيق حسن محمد جوهر عمر الدسوقى طبعة القاهرة سنة ١٩٦٩م

فكتب الطهطاوي داعيا إلى احترام الطبيعي وتصفية ما علق بالحضارة الغربية وإلى رفض عقلانيتهم الوضعية اللادينية وإحياء عقلانية الإسلامية المؤسسة على الشرع والعقل، ليكون التدين الإسلامي في هذا الميدان كما قال:

أيوجد مثل باريس ديار شموس العلم فيها لا تغيب

وليل الكفر ليس له صباح أما هذا، وحقكم عجيب

فهذه المدينة، كما في قول فرنسا وبلاد الإفرنج العظيمة، مشحونة بكثير من الفواحش والبدع والضلالات، وإن كانت من أحكم بلاد الدنيا وديار العلوم البرانية

في أكثر أهل هذه المدينة بما له من دين النصرانية الاسم فقط، حيث لا يتبع دينه، ولا عبرة له عليه، بل هو من الفرق المحسّنة والمقبّحة بالعقل، وفرقة من الإباحيين الذين يقولون إن كل عمل يأذن فيه العقل صواب، وإلا فهو لا يصدق بشيء مما في كتب أهل الكتاب لخروجه عن الأمور الطبيعية

ويقع في الفلسفة حشوات ضلالية مخالفة لكل الكتب السماوية

ولم يحسن الواضعون الطبيعية لا تعبده إلا بمجرد الشرع وتكليف الشرعية والسياسة التي عليها مدار نظام العالم مؤسسة على التكليف العقلية الصحيحة الخالية عن الموانع والشبهات، لأن الشريعة والسياسة متضمنة على الحكمة معقولة المعنى والتعبدية التي تعلم حكمتها الموحى بها وليس كل ما تعبد على ما تحسنه العقول وتقبحه لا يأمر الشرع بتحسينه وتقبيحه

ولا عبرة بالنفوس القاصرة الذين حكموا عقولهم بما اكتسبوه من الخواطر التي ركبوا عليها تحسين وتقبيح وصاروا يهجرون ويمقتون بعض العلوم الشرعية بعلم بعضهم بسياسة نظرية شرع لا يصلح العقول المجردة [1]

هكذا بدأت الدعوة إلى إحياء العقلانية الإسلامية المؤسسة على الشرع والعقل- في مقابل العقلانية الوضعية الغربية التي هي في جوهرها ضلالية مخالفة لكل الكتب السماوية

---

(١) [الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي] ج ٢ ص ٥٩ - ١٦ ، ٧٩ ، ٣٣ ، ٧٧ ، ٣٨٦ ، رسالة التعليم ، تحقيق عمارة طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م

فعقلانية الإسلامية لا تنكر التحسين والتقبيح بالعقل، وهي ترجع إلى الشرع في هذا التحسين والتقبيح لتكون عقلانيته موضوعة على أساس العقل والشرع، كما هو واضح في نص وليد سعيم. وقد تجلى هذا الوعي بمنهج العقلانية الإسلامية في فكر الطهطاوي، الذي كان أول من عبر إسلاميته عن مشروع حضاري نهضوي في العصر الحديث.

* * *

[٢] وقد انشغل في رحاب مدرسة الإحياء والتجديد في عصرنا الحديث بذلك الذي حدث وجاهد لإخراج الأمة من مرحلة التراجع الحضاري، ورسمت معالم المشروع الحضاري للنهضة الإسلامي الحديث جمال الدين الأفغاني [١٢٥٤ - ١٣١٤هـ = ١٨٣٨ - ١٨٩٧م] فهو واحد من الذين صنعت عبقريته ومسيرته في مقدم العقل والعقلانية الإسلامية. وعنه نقول:

إن الدين الإسلامي يكاد يكون متفرداً بين الأديان بتفريغ المعتقدين بلا تأثير وتوعية المتبعين لنصوص وتبكيت المخطئين في عشواء بصيرة وفتح في بصائرهم.

هذا الدين يطالب المسلمين بالتفكير والتبرهن في صحة إسلامهم وكلما خاطب خاصة العقل وكلما احتكم الحكم إلى العقل تنطق نصوصه بالسعادة من نتائج العقل والبصيرة وإن الشقاء والضلالة من نواتج الغفلة وهجر العقل وانطفاء نور البصيرة. وقلما نجد من الأديان ما يساويه أو يقاربه في هذه المزية وأظن غير المسلمين يعترفون لهذا الدين بهذه الخاصة الحسنة.

إن العقل مشرق الإنسان فمن يحرم عنه فقد دبر الإنسان.

وإن الفرق بين ما لا يصل بعقل إلى كنهه، فنعرفه بأثره ونسلم بحكم العقل بوجوده كالنور معروف عند العقل بقرب وجوده وبعد، وبين ما قام عليه البرهان العقلي فمطروح من نظره ساقط من اعتباره لا يعبأ به عقل ولا عقوله، فكيف يصدق به وهو قاضٍ بعدمه؟

لقد جاء الإسلام بدعوة لا يعذره عن عذره من تحداه بكل بطلان كان فوق بطلانه وبنى قواعد دعوته على العقل للإنسان محور صلاحه وفلاحه والحكمة والنهي العقل هي مقياس حسن وصحيحة النفس، وواضعة جميع

مطلب ومعنيه جميع الحدود وسرجه جنود الحضارة والمدنية فهي قوام الكمالات بمعنيه و حقيقة فهي شرف الصناعات

ن لانسان من اكبر اسرار هذا الكون ولسوف يستجلي بعقله ما عصر وحقق من اسر الصنعة وسوف يصل بالعلم والاخلاق سر الخلق في تصديق تصوراته فيرى ما كان من التصورات مستحيلا قد صار ممكنا وما صوره خياله حقا قد اصبح حقيقة

ان أول ركن بني عليه الاسلام اصلاح العقول بتصفية التوحيد وتطهيرها من شوائب الاوهام وسعادة الامم لا تتم الا بتصفية العقول من كدرات الخرافات وصدأ الاوهام فهي عقيدة وهمية لو تمسك بها العقل لحال بينه وبين حقيقة الواقع ويمنعه من كشف بعض الأمور بل إن خرافة قد تقف بالعقل عن الحركة العلمية، وتدعوه بعد ذلك ان يحمل العقل على مثلها، فيسهل عليه قبول كل وهم وتصديق كل خبر، وهذا مما يوجب بعده عن الكمال ويضرب به دون الحقائق ستارا لا يخرق، وفوق ذلك ما يحدثه الاوهام على النفوس من الجبن وقلب الهيبة والخوف مما لا يخيف والفزع مما لا يفزع

ان دين الإسلام قد فتح للعقل في وجوه العلوم وفرر الحرية في قاعدة الكمال العقلي والنفسي لا غير فليس لاحد ان يتقصى بالحجر و يحتبس دون امة وهي في رقي تتوسم في أفراد نفوسها بحسب ان تكون مبنية على اسس القويمة و لأدلة الصحيحة و في تتحامى مصانعة خلق في عقائدها وتترفع عن الاكفاء بتقليد الآباء فيما يعتقد لاحث العقول في محاسنه بلا حجر ولا حظر فما لا يكون موقف فلا يكون موضع وكيف يستطيع بشر ان يحول بين العقول وبين ما تشتهي تقف بهم عقولهم عند ما تجوب اركانه، فلا يدهشوا ما هب للفكر، ولا يسكون طريق بصر ما استطرفهم بل تستهم العقول وتجذبهم نحو الكمال فتكفيهم عنهم الملاذ حتى تعطل عقولهم عن ادراك وصفاتها الحميدة عند كل بحر عن بصر الخير من الشر فيحيط بهم الشقاء وتتغير بهم النفس ويبس بهم صالحهم هذه الاسلام [1]

* * *

[1] دعائم الاخلاق ص ٢٥٧ - ٢٥٩ - ٢٦٥ - ٢٦٦ وتحقيق الحقائق ص ٢٠٨ م والتكامل ص ٤٣ وما بعدها وتقدم العلوم ص ٣٢، ٣٤ م

[٣] أما المهندس الأكبر لفكر اليقظة الإسلامية الحديثة.. الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ = ١٨٤٩ - ١٩٠٥م] فلقد كونت نصوصه في العقلانية الإسلامية عملاً يفتقد مثل بعض جهوده وبشروحه في كتب [الإصلاح والإسلام] يقوم بها العقلانية الإسلامية المؤمنة وقد قال فيه ضمن ما قال

... الإنسان كون عقلي، سلطان وجوده العقل والفكر هو الفرقان بين نوره بين الحق والباطل وهو جوهر إنسانية الإنسان وأفضل القوى الإنسانية على الحقيقة بل هو قوة القوى الإنسانية وعمادها والكون جميعه صحيفته التي ينظر فيها وكتابه الذي يتلوه، وكل ما يقرأ فيه فهو هداية إلى الله وسبيل الوصول إليه

وقد تخطى العقل والدين لأول مرة في كتاب مقدس على نفس بني مرسل ينصرح لا يقبل التأويل ويقرر أن المسلمين كافة الأمر لا تتعبه بعقله ولا تهديه

ثم من قصب الله به ما لا يمكن الاعتقاد به إلا من طريق العقل كالعلم بوجود الله والعلم به على لسان الرسل، وعصمه بما يوحي إليهم وأيدته لاختصاصهم برسالته وما يتبع ذلك مما يتوقف عليه فهم معنى الرسالة كالتصديق بالرسالة نفسها

كما أجمعوا على أن الدين إن جاء بشيء قد يعجز عن إدراكهم فلا يمكن أن يأتي بما يستحيل عند العقل

فهو على أساس وضع عليه الإسلام هو منهج عقلي، ونظر عنده هو وسيلة الإنسان الصحيح فقد اقتضت منه على سنن الحجة وقصد إلى العقل ومن قصد إلى حكم فقد رضي إلى سلطته فكيف يمكنه بعد ذلك أن يجور عليه؟ بلغ هذا الأصل بالمسلمين أن قال قائلون من أهل السنة إن الذي يستفرغ جهده في الوصول إلى الحق ثم لم يصل إليه وهو صاحب غير وقته عند الله فهو مأجور في سعيه لا يقصر أجره أكثر من هذه السعة؟

فهو في أمته الإسلامية لا قبيلا ممن لا يشير إليه على أنه ترك العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل ونفى في بعض طريق طريقة التسليم بصحة المنقول، مع الاعتراف بالعجز عن فهمه، وتفويض الأمر إلى الله في علمه

وطريق لتنبة دون نفس مه محافظه على قوانين لعه حتى نفوذ مقصده مع ما تشته نفس

ولا تقس مه شخرج من نصر، وقد يكون انقيس ناصلاو نصر في لاكوا حولها وعرضها، حتى نصل بي عاية تي نصبوا دون نقيد

د لله يخ ص في كتابه لفكر والعقل والعلم بدون قيد ولا حد و نقر قدرة ساس اي النصر فيه بعقولهم فهو محجوزة عرضت على العقل، وعرفه نقصي فيه وصلق له حو النصر في أبحاثها، وبشر ما نطوى في نسانيه فالاسلام لا يعتمد على شيء سوى السبيل العقلي والفكر الانساني تي نجري على نظامه لفطري فلا يدهش نحارة لمعجزة ولا تعشى نصرت باصوار غير معتاده ولا يحرس نسنن نقدرته سماوية، ولا يقطع حركة فكرك بصيحه الهية ولمرء لا يكون مؤمنًا إلا إذا عقل دينه وعرفه نفسه حتى اقتنع به قنص رتي على نتسلم بغير عقل والعقل وحو صاحب بغير فقه فهو غير حوض لانه نس القصد من الايمان دلل لانسان للعبر كما نس يحبوا من القصد منه ن يرقى عقله وتتركى نفسه بالعلم بالله و نعرف في ربه فيعمر لخير لانه يقتنع به بخير لقنع لمرضى لله، ويترك لشر لانه يفهم سوء عاقبته و رحمة مصيره في ربه ورسوله ويكون فوق هذا على بصيرة وعلم في اعتقاده فلعاقل لا يقلد عاقلا مثله، فأحذر به ألا يقلد جاهلا دونه

وهذا لاصل الذي قام على تكتاتر وصحة نسنه وعلم لنبي فهذا بين يدي العقل كل سير وثبت من سيرته جميع بعقيدته ونسع به انجذاب الى عبر حد

■ تمكن العقل البشري وحده نس في استطاعته ان ينتج بصحته صحة سعادته في هذه الحياة، وقد يكون من الاعمال مالا يمكن درك حسنه، ومن المنهيات مالا نعرف وجه قبحه وهذا النوع لا حسر به لا لامر ولا قبله له لا لنهي إن محرب انسان بعقني لا يدفع براءه ولا نرى طمأنينة و راحة العقل لبشري قدره وحدد عنده ما ينتهي اليه كماله إنما هو الوصول إلى معرفة عوارض لكيان الذي يقع تحت الإدراك الإنساني. أما الوصول إلى كنه حقيقته فمما لا تتبعه قوته

ومن أحوال الحياة الأخرى ما لا يمكن لعقل بشري أن يصل إليه وحده، لهذا كان العقل محتاجًا إلى مُعين يستعين به في وسائل السعادة في الدنيا والآخرة.

فالعقل هو ينبوع اليقين في الإيمان بالله وعلمه، وقدرته والتصديق بالرسالة، أما النقل فهو ينبوع فيما بعد ذلك من علم الغيب، كأحوال الآخرة، والعبادات.

والذي علينا اعتقاده أن الدين الإسلامي دين توحيد في العقائد لا دين تفريق في القواعد، والعقل من أشد أعوانه، والنقل من أقوى أركانه.

لقد منح الله الإنسان أربع هدايات يتوصل بها إلى سعادته:

١ - هداية الوجدان الطبيعي والإلهام الفطري.

٢ - وهداية الحواس والمشاعر.

٣ - وهداية العقل التي هي أعلى من هداية الحس والإلهام.

٤ - وهداية الدين التي تضبط وتصحح وتكمل أخطاء ونواقص غيرها من الهدايات.

وبهذا تتكامل في المعرفة الإسلامية - هدايات العقل والنقل والتجربة والوجدان.[1]

* * *

تلك لمحات مجرد لمحات، وإشارات مجرد إشارات على امتياز الإسلام بالعقل والعقلانية التي مثلت مع الوحي الإلهي الرسولين اللذين يجسد فيهما اللطف الإلهي بالإنسان الذي خلقه الله فسواه ونفخ فيه من روحه وفضله لذلك حتى على الملائكة المقربين، والذي حمل أمانة الاختيار والمسئولية في عمران هذا العالم وفق «الكتاب والحكمة» أي نور الشرع ونور العقل لتكون حياة الإنسان نورًا على نور.

---

(١) محمد عبده [الأعمال الكاملة] جـ٥ ص٤٢٨، ٢٩٨ جـ٣ ص٣٥٦، ٢٥٧، ٢٨٢، ٥١ [illegible] جـ٢ ص٤١٤ جـ٣ ص٣٩٦، ٣٩٩، ٤١١، ٣٧٩، ٣٩٧، ٣٢٥، ٣٦٥، جـ٤ ص٤٣، ٤٦ دراسة وتحقيق د. محمد عمارة طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م وطبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م

القسم الثانى
نصوص تراثية فى العقلانية الإسلامية

تمهيد

١ الحارث بن أسد المحاسبى

٢ حجة الإسلام ابو حامد الغزالى

٣ ابو الوليد ابن رشد

٤ شيخ الإسلام ابن تيمية

٥ الإمام الشاطبى

٦ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

■ واخر وشهد شاهد من اهلها

تمهيد

في هذه «النصوص التراثية» التي تمثل صورة لديوان العقلانية الإسلامية، حرصت على أن تكون مجسدة لمكانة العقل في أغلب مذاهب الإسلام، وعبر التاريخ الإسلامي، لتكون شاهد صدق على المقام العالي والمتميز للعقل والعقلانية لدى جمهور علماء المسلمين. ولذلك، تم الاختيار لنصوص ستة من أئمة العلم الإسلامي، يمثلون ألوان الطيف للمذاهب الإسلامية المعتبرة في الفكر الإسلامي منذ القرن الثاني الهجري وحتى القرن الرابع عشر الهجري، كما يمثلون المذاهب الفاعلة في الحياة الفكرية حتى هذه اللحظات.

ولقد آثرت ألا تفرد في هذه النصوص مساحة للعلماء المعتزلة، لأن انتصارهم للعقل والعقلانية وفروسيتهم في هذا المبدأ ليست موضة جديدة ولا تكرار، ولا هي بحاجة إلى مزيد جديد.

وأيضاً لتكون هذه النصوص التي اخترناها، وهي لعلماء من غير المعتزلة، بل ولا قدس لكثير من مقالات المعتزلة، شاهد يرد على الخطأ الشائع عند بعض الدراسين الذين يحسبون أن إعلاء مقام العقل في التراث الإسلامي قد كان وقفاً على علماء الاعتزال.

* * *

أما هؤلاء العلماء الأعلام الذين اخترناهم لنقدم صفحات من فكرهم في العقل والعقلانية الإسلامية فهم:

(١) الحارث بن أسد المحاسبي (١٦٥-٢٤٣هـ = ٧٨١-٨٥٧م)

الذي تميزت مسيرته الفكرية والروحية عندما جمعت بين علم الأصول ومعرفة السلفية والكلام والتفلسف والفقه والتصوف فجعلت لكلامه عن العقل والعقلانية شمولاً ومذاقاً خاصاً.

لقد ولد الحارث بالبصرة ومات ببغداد وكان واحداً من كبار الزهاد والمتصوفة في عصره كما كان واعظاً ملكاً لسامعيه.

ومع انتصاره للعقل والعقلانية حتى لقد خص العقل بالتأليف فيه فقد كان ناقداً للمعتزلة في عصر علا فيه شأن المعتزلة وسلطانهم كما خالف الإمام أحمد بن حنبل [١٦٤-٢٤١هـ = ٧٨٠-٨٥٥م] الذي كان زعيم السلفية وأكبر خصوم الاعتزال.

ولقد كان الحارث مع كل هذا أستاذاً لجمهرة علماء بغداد في ذلك العصر الذي كانت فيه بغداد حاضرة العلم والعلماء في الدنيا كلها بتعميم وإطلاق.

ومن الآثار الفكرية التي بقيت لنا من إبداعات الحارث المحاسبي عبر كتابه عن [مائية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه] كتب ورسائل:

١ [آداب النفوس]

٢ [شرح المعرفة]

٣ [المسائل في أعمال القلوب والجوارح]

٤ [المسائل في الزهد وغيره]

٥ [البعث والنشور]

٦ [الرعاية لحقوق الله عز وجل]

* * *

(٢) حجة الاسلام ابو حامد الغزالى (٤٥٠-٥٠٥هـ ١١٥٨-١١١١م)

هو أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد الغزالى، فقيه شافعى، ومتكلم أشعرى، وأحد الدين طوروا الأشعرية التى عدت المذهب الكلامى لجمهور الأمة الإسلامية، وهو أيضا أصولى، وفيلسوف، وصاحب تجربة صوفية شديدة الغنى وبالغة الثراء أثمرت إبداعا متميزا فى علم السلوك والقلوب.

ولد الغزالى فى [illegible] من أعمال طوس [illegible] فى مشرق العالم الإسلامى [illegible] ورحل طالبا معلما ومعلما إلى كثير من الحواضر والأقاليم فى عالم الإسلام مثل نيسابور وبغداد والحجاز والشام ومصر وغيرها، ثم كانت وفاته بخراسان.

ولقد تميز الغزالى فى تاريخ الفكر الإسلامى - عندما جمع بين الاجتهاد وبين التجديد والإحياء لحياة الأمة ولعلوم الإسلام، كما كان نموذجا لمنهج الوسطية الإسلامية التى جمعت بين العقل والنقل والوجدان.

كما تميز عندما أصبح ظاهرة فكرية تطبع قطاعات واسعة من ميادين الفكر الإسلامى وتجذب المريدين منذ عصره وحتى هذا العصر الذى نعيش فيه.

ولقد بلغت مؤلفات الغزالى نحوا من مائتى كتاب ورسالة، كتب عليها بالعربية وبعضها بالفارسية، ثم ترجمت إلى العربية، كما ترجمت العديد من آثاره الفكرية إلى العديد من اللغات الأوروبية، وكان واحدا من الذين أثروا تأثيرا كبيرا فى الفكر الدينى العربى وفى النهضة الأوروبية الحديثة.

ومن أهم آثاره الفكرية:

١- [إحياء علوم الدين]

٢- [تهافت الفلاسفة]

٣- [مقاصد الفلاسفة]

٤- [المستصفى من الأصول]

٥- [الاقتصاد فى الاعتقاد]

٦- [معيار العلم]

٧- [القسطاس المستقيم]

٨ [ميزان العمل]

٩- [فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة]

١٠ [مشكاة الأنوار]

١١- [معارج القدس]

١٢- [المنقذ من الضلال]

١٣- [فضائح الباطنية]

١٤- [المعارف العقلية]

١٥- [المضنون به على غير أهله]

١٦ [إلجام العوام عن علم الكلام]

١٧- [جواهر القرآن]

١٨- [ياقوت التأويل في تفسير التنزيل]

١٩- [النبر المسبوك في نصيحة الملوك]

٢٠ [منهاج العابدين]

٢١- [عقيدة أهل السنة]

٢٢- [المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى]

وغيرها من الكتب والرسائل

* * *

(٣) أبو الوليد ابن رشد (٥٢٠- ٥٩٥هـ = ١١٢٦- ١١٩٨م)

هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد، من أشهر فلاسفة الإسلام. وفي مقدمة من شرحوا أعمال حكيم اليونان أرسطو [٣٨٤ ٣٢٢ق م]. ومن أبرز الفلاسفة والمتكلمين المسلمين الذين حاولوا التوفيق بين الحكمة والشريعة. كما كان فقيهًا من أعلام فقهاء المالكية، وواحدًا من كبار القضاة، وعلمًا من أعلام العلوم الطبية في عصره، ولد بقرطبة في أسرة ذات نفوذ علمي كبير، وسلطان قضائي ملحوظ. فقد كان جده لأبيه قاضيًا بقرطبة ومن كبار فقهاء المذهب المالكي، ومشتغلاً بالسياسة والشئون العامة

وقد سمعه ابن رشد -الحفيد- في أطب لأبي جعفر بن هارون وبن مروان بن حزم الإشبيلي. وسمع في الفلسفة لابن طفيل كما برع في علم الكلام والفقه والأدب واللغة حتى لم يكن له في عصره من معاصريه نظير ولا قرين.

تولى منصب القضاء في اشبيلية أولاً سنة ٥٦٤هـ = ١١٦٩م ثم أصبح قاضي القضاة بقرطبة سنة ٥٦٦هـ = ١١٧١م.

وفي سنة ٥٦٤هـ = ١١٦٩م قدّمه ابن طفيل إلى السلطان أبو يعقوب يوسف [٥٥٨ ٥٨٠هـ ١١٦٣ ١١٨٤م] الذي كلفه بوضع شروح والتفسير على مؤلفات أرسطو حتى تستقيم عند ابن رشد وبن طفيل بين ترجمته وأخطاء الشراح والتفسير فشرع ابن رشد في تحرير هذا التحرير الكبير الذي جعله على نطاق العالمي- الشرح الأكبر لا عصر حكيم الغرب.

وعندما تقدمت السن بابن طفيل تولى ابن رشد منصبه كطبيب خاص للسلطان في بلاط مراكش سنه ٥٧٨هـ ١١٨٢م.

وعندما توفي السلطان أبو يعقوب يوسف وخلفه السلطان منصور أبو يوسف يعقوب [٥٨٠ ٥٩٥هـ = ١١٨٤ ١١٩٩م] استمر حظوة ابن رشد عند نفوذه وحيرة نفسها محنته التي مترجم في سبب لسياسة وتفكير ففي سنه ٥٩١هـ سنه ١١٩٥م في مدينه حسنة في مقربة من قرطبة مع عدد من المشتغلين بالحكمة والفلسفة ثم انعقدت بمحنته هذه المحنة، فقد ابن رشد في مكانه في بلاط السلطان ومكانته في الفلسفة والعلم والعلوم حتى توفي في أوائل دولة السلطان الناصر في ٩ صفر سنه ٥٩٥هـ ١١ ديسمبر سنه ١١٩٨م.

ولقد شهد ابن عربي [٥٦٠ ٦٣٨هـ = ١١٦٥ ١٢٤٠م] جنازة ابن الوليد بن رشد محمولاً على نعش وهو في طريقه من مدينة مراكش ليدفن في بلاد أندلس، وقد وضع الجثمان في تابوت وفي التابوت لأخرى من خشب نعش كتبه ومؤلفاته.

ويذكر ابن الأبار [٥٩٥ ٦٥٨هـ = ١١٩٩ ١٢٥٩م] في سيرة ابن رشد أنه كانت تراه عليه من الزوائد درس الفقه والأصول وعلم الكلام، وعبر ذلك

ولم ينشأ بالأندلس مثله كمالاً وعلمًا وفضلاً وكان على شرفه أشد الناس تواضعًا وأخفضهم جناحًا

عني بالعلم من صغره إلى كبره، حتى حكي عنه أنه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل إلا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه بأهله وأنه سود في ما صنف وقيد وألف وهذب واختصر نحوا من عشرة آلاف ورقة

ومال إلى علوم الأوائل فكانت له فيها الإمامة دون أهل عصره وكان يفزع إلى فتواه في الطب كما يُفزَع إلى فتواه في الفقه، مع الحظ الوافر من الإعراب والأدب، حتى حكى عنه أبو القاسم بن الطيلسان [٥٧٥ - ٦٤٢هـ ١١٧٩ - ١٢٤٤م] أنه كان يحفظ شعري حبيب بن أوس أبو تمام [١٨٨ - ٢٣١هـ ٨٠٤ - ٨٤٦م] والمتنبي [٣٠٣ - ٣٥٤هـ = ٩١٥ - ٩٦٥م] ويكثر التمثيل بهما في مجلسه، ويورد ذلك أحسن إيراد

ولقد بلغت الآثار الفكرية لابن رشد الإبداعات والشروح على أرسطو نحو من مائة وعشرين كتابًا

ومن أهم إبداعاته في الفلسفة والكلام والفقه والطب :

١ [تهافت التهافت]

٢ [فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال]

٣ [مناهج الأدلة في عقائد الملة]

٤ [بداية المجتهد ونهاية المقتصد] في الفقه

٥ [كتاب الكليات] في الطب

. . .

(٤) شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ = ١٢٦٣-١٣٢٨م)

هو أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم الحضرمي النميري الحراني.

فيلسوف السلفية وحكيمها، الذي انتقل بها من مرحلة الوقوف عند النص وحده - وأحيانا ظاهر النص - إلى مرحلة فلسفة النص وعقليته.

وهو واحد من أبرز المجددين في عصره، إذ جمع إلى الاجتهاد والجهاد ضد الغزاة بالفكر والسيف - تقديم «مشروع فكري» لتجديد الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية. ولقد ظلت هذه هي مكانته في حركة الإصلاح الإسلامي حتى هذه اللحظات.

ولقد كان ابن تيمية إمام الناقدين والناقضين للفكر اليوناني - منطقا وفلسفة - ومن أبرز الذين اجتهدوا لإبداع البديل الإسلامي لفكر اليونان - الذي تسرب إلى كثير من مناحي الفكر الإسلامي - كما كان من أبرز الناقدين للفكر الباطني والغنوصي الذي مثل مع الفكر اليوناني جناحي التهديد للتمثيل الوسطية الإسلامية.

وبدأ ابن تيمية بحران ونبغ واشتهر بدمشق. وتجلت آيات نبوغه في المناظرة والاستدلال والتفسير والإفتاء والتدريس - وهو دون العشرين من عمره. ولقد كان قلمه ولسانه فرسي رهان في التعبير عن إبداعات عقله الكبير.

وكانت فتاواه التي خالف في بعضها عددا من علماء عصره - من أسباب محنته ومنادين جهاده - فسجن بمصر - بالقاهرة والإسكندرية - فلما أطلق سراحه رحل إلى دمشق سنة ٧١٢هـ، ثم أعيد اعتقاله بها سنة ٧٢٠هـ، ثم أطلق سراحه، ثم أعيد اعتقاله إلى أن مات معتقلا بقلعة دمشق.

ولقد حوّل سجنه من محنة لحريته الشخصية إلى نعمة لسياحاته الفكرية وإبداعاته في علوم الإسلام. وعندما مات خرجت دمشق عن بكرة أبيها في جنازته تعبيرا عن مكانته المتميزة بين العلماء المجاهدين.

ولقد خلّف ابن تيمية من الآثار الفكرية ما يزيد على أربعة آلاف كراسة، غطت مختلف ميادين العلوم - من الأصول إلى الفقه إلى التفسير إلى الحديث إلى

السياسة الشرعية إلى الفتاوى التي عكست أمامه للعصر وفقهه للواقع الذي عاش فيه إلى الردود على المخالفين

ومن هذه الآثار -غير الفتاوى :

١ [الجوامع] في السياسة الإلهية والآيات النبوية

٢ - [الإيمان]

٣ [منهاج السنة النبوية]

٤ [بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول]

٥ - [الرد على المنطقيين]

٦- [نقض المنطق]

٧- [الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان]

٨ [اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم]

٩- [الصارم المسلول على شاتم الرسول]

١٠- [رفع الملام عن الأئمة الأعلام]

١١ [السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية]

١٢ [نظرية العقد]

١٣ [التوسل والوسيلة]

وعشرات الرسائل التي رد فيها على المخالفين..

وكما جاهد ابن تيمية بالسيف ضد الاختراق «الصليبي» التتري [illegible] الإسلام، كذلك كان جهاده بالقلم واللسان يتحصن العقل المسلم ضد الاختراق الفكري الذي يمثل في الباطنية الغنوصية وفي العقلانية اليونانية اللادينية

وعلى امتداد التاريخ منذ عصره وحتى الآن كان ولا يزال واحد من أبرز الملهمين لدعوات الإصلاح والتجديد على امتداد عالم الإسلام

* * *

(٥) الإمام الشاطبي (٧٩٠هـ ١٣٨٨م)

هو إبراهيم بن موسى بن محمد، اللخمي، الغرناطي

ولد بغرناطة بالأندلس، وكان واحداً من أئمة فقه المذهب المالكي وحفاظه.

وكانت براعته وعبقريته التي ميزته عن علماء عصره هي إبداعه في أصول الفقه، وفي علم المقاصد على وجه التحديد، حتى لقد عد الإمام هذا العلم إلهاماً من دون العلم الإسلامي، منذ عصره وحتى الآن.

ومن آثاره الفكرية المتميزة:

١- [الموافقات في أصول الفقه] - وهو كتابه العمدة

٢ [الاعتصام] في أصول الفقه-

٣ [المجالس] التي شرح فيه كتاب البيوع من صحيح البخاري

٤- [الاتفاق في علم الاشتقاق]-في النحو واللغة

٥ [أصول النحو]

٦ [شرح الخلاصة]-ألفية ابن مالك -في النحو

٧ [الإفادات والإنشاءات] في الأدب

* * *

(٦) الاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١٢٦٦- ١٣٢٣هـ = ١٨٤٩- ١٩٠٥م)

هو محمد عبده حسن خير الله

ولد بقرية «محلة نصر» مركز «شبرا خيت» محافظة «البحيرة» لأبوين من أصل تركي. وتوجه في الأزهر الشريف سنة ١٢٩٤هـ سنة ١٨٧٧م وبعض الدروس والتأليف والصحافة والقضاء وكل معنى لأمة الإسلامية على مقدار اقتدار عالم الإسلام بين وتوجه غير مستحيل في الأقطار.

وبقد جمع في شخصيته مفكرا، بين التصوف السرعي عالم بقصور والسلوك وبين نزعة بعقلانية لفيلسوف فكر واحد من أعظم حكماء الإسلام في عصرنا الحديث

ولقد كان صديقه جمال الدين الأفغاني [١٢٥٤ - ١٣١٤هـ ١٨٣٨ ١٨٩٧م] سبب إقامته بمصر في سبعينيات القرن التاسع عشر الميلادي الذي دخل منه إلى المجتمع العام، فحمل مسئولية ارياده لإصلاح منهج الفكر الإسلامي والمؤسسات التي تصنع بعقل المسلم وعلماء الدين الأمير والأقدر لتحديد حياة أمته، وإخراجها من المأزق الحضاري الذي تمر به

ولقد كان منهجه في الإصلاح متأثرا بسلم الأولويات الذي يقدم الأمة على الدولة، والتربية على السياسة، والفكر على الحركة، والأصول على الفروع

ولذلك كانت السياسة بمعنى السلطة والحكومة والتوجه إلى الأمراء والخلفاء مرحلة عابرة في حياته. حسبه إليها الأفغاني وسعد باشا زغلول وطنه والدفاع عن الوطن أثناء الثورة العرابية وموقفه من الاحتلال البريطاني لمصر

أما الإطار العام لفكرته التي تجلت في أعماله الكاملة والتي قدرت بستة صفحات وأربعة آلاف صفحة فقد تمثلت فيما يلي منهجه في الإصلاح والتجديد. ففيها نقد لتجلف الموروث من عصور التراجع الحضاري ونقض تركة الجمود والتحرك الذي سد في ثقافته السلبية والشعبية ونقد مدرسة الحصار العربية وإحياء للعقلانية الإسلامية المؤمنة وتركته السلبية الإسلامية الجامعة ودعوة للاهتمام بعلم السنن الكونية والاجتماعية وقيمة

للواقع المعيش، ومنهج عبقري في تفسير القرآن الكريم، وتنقية بعض العقيدة الإسلامية من شعب المتكلمين القدماء، وتنقية دينية تعود في قيم الدين إلى المنابع الجوهرية والنقية والمعصومة، مع استشراف المستقبل في فقه الواقع وعموم التمدن المدني.

كذلك كان محمد عبده صانع رجال، فتكونت من حوله مدرسة فكرية ضمت كوكبة من العلماء الذين تتلمذوا عليه -مباشرة- ومن الذين حملوا منهاجه فمثلوا السلسلة الذهبية التي قادت الإصلاح الديني والاجتهاد والتجديد في عصرنا الحديث وواقعنا الإسلامي المعاصر، ليس في مصر فقط وإنما على امتداد عالم الإسلام.

* *

هؤلاء هم أعلام العلماء الذين اخترنا تقديم «ألوان العقلانية الإسلامية» من خلال نصوصهم التراثية التي أبدعوها في هذا الميدان.

والله يسأل أن تجد هذه النصوص طريقها ومكانها في قاعدة الدرس والمدارسة بالجامعات الإسلامية، وحلقات العلم والعلماء، لتكون سبيلا لجمع الأمة والعقل المسلم على كلمة سواء في هذا الحقل المعرفي الذي افترقت فيه السبل وعميت فيه الحقائق على الكثيرين.

دكتور محمد عمارة

الحارث بن أسد المحاسبي
(١٦٥ - ٢٤٣هـ ٧٨١ - ٨٥٧م)

بسم الله الرحمن الرحيم

عونك اللهم

قال أبو عبدالله الحارث بن أسد بن عبدالله المحاسبي البصري

رحمة الله عليه

باب ماهية العقل وحقيقة معناه[1]

سألت عن العقل ما هو؟

وإني أرجع إليك في اللغة والمعقول من الكتاب والسنة، وتراجع العلماء (فيما) بينهم بالتسمية ثلاثة (معاني)

أحدها هو معناه لا معنى له غيره في الحقيقة

والآخران اسمان جوزتهما العرب إذا كان عنه فعلا لا يكونان إلا به ومنه وقد سماها الله تعالى في كتابه وسمتها العلماء عقلا

فأما ما هو في المعنى في الحقيقة لا غيره فهو غريزة وضعها الله سبحانه في أكثر خلقه لم يطلع عليها العباد بعضهم من بعض ولا اطلعوا عليها من أنفسهم برؤية ولا بحس، ولا ذوق ولا طعم وإنما عرفهم الله إياها بالعقل منه

فبذلك العقل عرفوه وبذلك وعدوا بالعقل الذي عرفوه به من أنفسهم بمعرفة ما ينفعهم ومعرفة ما يضرهم

---

[1] لقد عبدت [illegible] حققه [illegible] ٢٣٨ [illegible] ١٣٩٨هـ سنة ١٩٧٨م [illegible]

فمن عرف ما ينفعه مما يضره في أمر دنياه عرف أن الله تعالى قد من عليه بعقل أبان به من المجنون وأهل الشقوة ومن لم يكرم بمثل ذلك من قلة عقولهم

وكذلك معرفة بعضهم من بعض بما ظهر فعل بعضهم

فيستدل به على أن له عقل إذا رأوا من أفعاله ما يدلهم أنه قد عرف ما ينفعهُ من دنياه مما يضره، إذا رأوه صاحب عقل لا ما ينفعه من دنياه ويجتنب ما يضره من دنياه فسموه من كل ذلك عاقلاً وسموه أن به عقلاً وأنه لا مجنون ولا سفيه ولا أحمق

فإن رأوه بخلاف ذلك سموه أنه مجنون قد (تغشّا) عقلهُ من الآفة ما أذهلهُ، وأزال معرفته بمنافعه ومضاره

فإن رأوه يتبعُ منافعه ويجانب مضاره في كثير من أفعاله بعض بخلاف ذلك سموه على قدر الكثرة بخلاف ما يفعل لعقلهم أو نقصه حتى يقولوا ناقص

فإن كان له وقتٌ يزول فيه عقله ويرجع عنه في وقت وينقلب إلى الهوى في عقول ونقص سموه مجنون في ذلك الوقت عاقلاً في غيره ويصفه بعقله في منزلته الأولى، من أن يظهر منه أفعال العقل ولك كذلك

إذا سئل أجاب بما يعقل ويطلب منافعه ويجتنب مضاره وربما تعرض لما يضره في العواقب وينشاء فيه على المحن في الآخرة فيسمى عاقلاً مغبون أن به عريزته التي هي ضد الحماقة والجنون وأنه قد نقص عقله للعاقبة بقدر ما تعرض لما ينفعه في العاجل بما يضره في العاقبة

فالعقل غريزة جعلها الله عز وجل في الممتحنين من عباده أقام به على البالغين للحلم الحُجَّة، وإياهم خاطب من قبل عقولهم، ووعد وتوعد وأمر ونهى وحض وندب فهي غريزة لا تعرف إلا بفعالها في القلب والجوارح لا يقدر أحد يصفها في نفسه ولا في غيره بغير أفعاله

لا يقدر أن يصفه بجسمه ولا بطول ولا بعرض ولا طعم ولا شم ولا مجسة ولا لون ولا يُعرف إلا بأفعاله وقال قوم من المتكلمين هو صفوة الروح أي خالص الروح

---

(١) المدبق بهالك حمق وغيره

واحتجوا باللغة فقالوا لك كل شيء خالصه فمن [illegible] سمي العقل [illegible]

وقال الله عز وجل [illegible] يعني [illegible]

ولا يقول [illegible] كتاب مسطورا ولا [illegible]

وقال قوم هو نور [illegible] الله طبعا وغريزة [illegible]

[illegible] في [illegible] وهو البصر

فالعقل نور في [illegible] والبصر نور في [illegible]

فالعقل غريزة [illegible] ثم [illegible] بالمعرفة [illegible] الدالة على المعقول

وقد زعم قوم أن العقل معرفة نظمها الله ووضعها في عباده [illegible] بالعلم المكتسب [illegible] على [illegible]

والذي هو عندنا أنه غريزة والمعرفة عنه تكون

وكذلك الجنون والحمق لا يسمى نكرة لأنه لو كان المعرفة هو العقل سمي الجنون نكرة والحمق نكرة لأن النكرة ضد المعرفة والجهل ضد العلم

فلما امتنع أهل العلم أن يسموا المجنون منكرا جاهلا، ولا يسمون المنكر مجنونا والجاهل مجنونا وقالوا إنه مجنون [illegible]

[illegible] العقل هو الغريزة التي إنها عرف فاقر وعرف فأنكر أو ظن فأنكر لأن الإنكار فعل فكذلك ضد المعرفة فعل

فمنه فعل عن طبع [illegible] كالضرة [illegible] كمعرفة [illegible] نفسه [illegible] والسماء والأرض وجميع الأشياء التي تشاهد

ولولا الاستدلال بالعلم الذي سمعه من أسماء الأشياء ثم رأى الأشياء لعرفها برؤيا ولم يعرفها باسم ولا تفصيل بين معانيها

[illegible]

أو لم يسمع إلى ما وصف الله تعالى ملائكته إذ سألهم أن يخبروه بأسماء الأشياء فقالوا لا علم لنا فأمر آدم عليه السلام فأخبرهم [1] بها لأنه علمه الأسماء.

فلم يعرف عاقل أسماء الأشياء إلا بالتعليم منه هو طفل لما يسمع ويرى عرف بعقله الأشياء وقصر بين معانيها.

فكل بالغ من الجن والإنس من الذكور والإناث ممن أمره الله تعالى ونهاه ووعده وتوعده بإرساله النذر وإنزال الكتب وآثار آيات التدبير فحجة العقل لازمة له [2] نعم الله سبحانه بالعقل عليه ومعرفة البيان ﴿لينهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم﴾ [الأنفال ٤٢] ﴿وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون﴾ [التوبة ١١٥]

أو لا تراه يقول عز وجل ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ يعني بيانهم ما يعقلونه بعقولهم إن تدبروا ذلك فقال عز وجل ﴿فاستحبوا العمى على الهدى﴾ [فصلت ١٧]

فإنما خاطب الله العباد من قبل آياتهم وأحتج عليهم بما ركب فيهم من عقولهم وما الله بظلام للعبيد.

ومع هذا فإنه قد يخص بالتنبيه والتوفيق من يشاء من عباده ويخص بجواره من أحب من خلقه.

إلا أن أنس الأشياء هذه قبل الجهر بالنسيان فإنه قال عز وجل ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾ [البقرة ٢٠٤] وهذا قبل أن يخبره.

وقال جل ما وصفوا [3] لولا أنبئك بكل أمر بهيمة مهملة وأسوة بسيئة

وقال الشاعر

وفي الصمت سر بغي يوما وأنا

صحيفة بن المرء أن يتكلما

---

[1] [illegible] [3] [illegible]

[2] [illegible]

وأما الاثنتان اللتان جوزتهما اللغة في الكتاب والسنة، وتراجع أهل المعرفة فيما بينهم بالتسمية فجوزتهما اللغة على حقيقة المعنى بأن سميتهما عقلاً إذا كانا عن العقل لا عن غيره.

فأحدهما الفهم لإصابة المعنى وهو البيان لكل ما سمع من الأدب والدين أو مس أو ذاق أو شم فسماه الخلق عقلاً وسموا فاعله عاقلاً.

وقد روي في التفسير لما قال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿فاستمع لما يوحى﴾ [طه: ١٣] فقال: اعقل ما أقول لك.

وهذه خصلة يشترك فيها أهل غريزة العقل التي خلقها الله فيهم من أهل الهدى، وأهل الضلالة من بعض أهل الكتاب لما تقدم عندهم من أهل الدين.

ويجتمع عليها أهل كل إيمان وضلال في أمور الدنيا خاصة والمضيع والعاصي وهو فهم الغير.

وقال الله عز وجل في ما بعث به أهل الكتاب فقال: ﴿يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾ [البقرة: ٧٥].

وقال عز وجل: ﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ [البقرة: ١٤٦].

وقال: ﴿يعلمون أنه الحق من ربهم﴾ [البقرة: ٧٥].

وقال: ﴿يعلمون أنه منزل من ربك بالحق﴾ [الأنعام: ١١٤].

فالفهم والبيان يسمى عقلاً لأنه عن العقل كان.

فيقول الرجل للرجل:

أعقلت ما رأيت أو سمعت؟

فيقول نعم يعني أني قد فهمت وبينت.

والعرب إنما سمت الفهم عقلاً لأن ما فهمته فقد قيدته بعقلك وضبطته كما البعير قد عقل أي أنك قد قيدت ساقه إلى فخذيه.

وقالوا: اعتقل لسان فلان أي استمسك

ويقال: عقل سائر [illegible] حبسها (وهو أن يضع رجله) بين الوقت وفخذها

ويقال: اعتقل رجل فلان إذا صارعه

والمعنى الثالث: هو البصيرة، والمعرفة بتعظيم قدر الأشياء النافعة

وبصيرة في الدنيا والآخرة، ومنه العقل عن الله تعالى

فمن ذلك أن يعظم معرفته وبصيرته بعظيم قدر الله تعالى وبقدر نعمه

وإحسانه وبعظيم قدر ثوابه وعقابه ليدل به النجاة من العقاب، والظفر بالثواب

فإذا كان الله معظمًا كان لله مجلًا هائبًا وإذا كان لله مجلًا هائبًا كان منه

مستحيًا وإلى طاعته مسارعًا، ولمساخطه مجانبًا

وإذا كان معظمًا لما يدل به النجاة من العقاب والظفر بالثواب على بطلب

العلم ورغب في الفهم والعقل عن الله عز وجل أكثر همته

وإذا عني بطلب العلم بذلك استدل به على عظم قدر المولى وقدر ثوابه وعقابه

وإذا استدل على ذلك أبصر وفهم حقائق معاني البيان فإذا فهم عقل عظيم قدر

الله تعالى وعرضه على الله [illegible] وعقابه وثوابه

وإذا عظم قدر ذلك هاب الله [illegible] ورغب [illegible] ذلك

كرأي العقل فكان عن الله تعالى عاقلًا وسمي [illegible] عقلًا [illegible] بالعقل طلب

ذلك وبالعقل فهم [illegible] وبالعقل [illegible]

فهذا الذي عقل عن ربه

ألم تسمعه عز وجل يقول: [illegible] [illegible] عقلت عن

الله تعالى يعني عقل عن الله ما سمعت [illegible]

فهذا هو العقل

ومن [illegible] عن [illegible] ومعه غريزة العقل التي قرن الله تعالى [illegible]

فهو غير عاقل عن الله عز وجل [illegible]

وقد وصف الله عز وجل هذا في كتابه عز وجل [illegible] عقلًا [illegible]

تعالى [illegible] قلوب يعقلون بها [illegible] يعني عنه

وقال عز وجل: ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾. يعني عقولاً. ﴿فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله﴾[الأحقاف ٢٦] ثم سمى بعضهم كفاراً من أهل الكتاب، فقال للمسلمين: لا تكونوا كالذين قال لهم: ﴿يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾[البقرة ٧٥]

فأخبر أنهم لا يعقلون، يعني عنه (وعن) ما قال من عقله قد استبان عنه

ثم قال: يحرفونه من بعد ما عقلوه: يعني علموا

وأخبرني أنهم عقول غرائر لا يعقلون أبداً، ولا يحسبن عبد أنهم لا أنهم يسمعون منه بعرفونه كلاماً لا يعقلون منه شيئاً، فيقولون له كمشركي العرب حين

أنهم لا كلاعدوس هم من سلالة رسول الله

ثم يعقلون عن الله عز وجل لأعدائهم بريهم وسفلتهم أن يعقلوا وكبراءهم وقد كانت فيهم عقولٌ غرائر، يعقلون بها أمر دنياهم

ولو تركوا الإعجاب بالرأي وتعلقوا بالتهمة ثم نظروا بعقل ما عرض لله وبكتاب نبيهم وقدر شركهم فيما عرض لهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً لكفيهم

وقال جل ثناؤه: ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً﴾

وقال: ﴿ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾[المجادلة ١٨]

فلم يعقلوا ما عين لهم كما عقله المتقون حين يعقلون عنه فيعملون بما أمرهم

وقد ذكر بعضهم أو في بعض ما ذكرت من كلام [ابن] عباس عن الله عز وجل يعني ظاهر من تحيته إياهم يوم يلقونه [٧]

قرأت على علي قال: حدثنا عبد الرحمن بن حميد الرؤاسي عن [٣] في قوله تعالى: ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾ قال: لا خير لهم في الله عز وجل في شيء من أمر دنياهم أنه يقلب الدرهم على طفره ويخبرك بوزنه، وما يحسن بصنعة

---

(١) علي بن نصر الجهضمي، ٢٣٢هـ، محدث

٢ أبو بكر الهذلي، متروك، من أتباع قتادة

(٣) هو الحسن البصري (٢١-١١٠هـ)

قال: حدثني عمار قال: حدثنا شعبة [1] عن شرقي[2] في قوله ﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا﴾ فكفر بحور وتجبر وبخوهم الله تعالى أنهم يعلمون من دنياهم ولو تدبروا وتركوا التقسم والإعجاب بالآراء لعقلوا أمر آخرتهم كما عقلوا من دنياهم، فمثل عمر بن الخطاب مثقف في المعارف واسع المصارف في الخير

فهذه أربع فرق

فرقة عقلت عن الله تعالى عظم قدره وقدرته وما وعد وتوعد فحذرت عنه وخشعت

وعرفه عقلاء الناس ثم جحدت كبرًا وعنادًا لطلب الدنيا كما وصف عن إبليس أنه تكبر وعند كبره وهو مع ذلك يقول ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ [ص ٨٢] ووصف اليهود فقال ﴿أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم﴾ [البقرة ٨٧]

وقال ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًا﴾ [النمل ١٤]

وقال ﴿يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا﴾ [الروم ٧]

وقال ﴿اشتروا به ثمنًا قليلًا فبئس ما يشترون﴾ [آل عمران ١٨٧]

وفرقة طمعت، وعجبت وغلبت، فغفلت عن الحق من سنته ولم تعرفه حق معرفته فجحدوه كبرًا وعلوًا ولم يعرفوا عظمته لسبق غضب الله على خلقه وهي التي سخط وسر وصلا

وعرفه رابعة عقلت قدر الله عز وجل في تدبيره وقدرته فخشعت وعرفت قدر الإله الحق المتعبد به وقدر العقاب في ضرره في محبته لأنهم لم يجحدوا كبرًا ولا أنفة ولا طلب دنيا لعلمهم أن عاجل الدنيا يفنى، وعذاب الآخرة لا يفنى فخافت وأمنت، ولم تعقل عظيم قدر الله في هيبته وجلاله وعظيم قدر ثوابه وعقابه في يسير معاصيه، وعدم تفريطه فعصت وضيعت، وعجلت وسبقت لأنها عظمت عظيم قدر الإله الحق سبحانه وعظيم ضرر الكبر فعقلت عن الله تعالى فهي قابضة به رابضة عنه

---

[1] تعليقة في الوجه ٨٢ ـ ٨٦ ـ [illegible]

[2] شرقي بن قطامي حجازي

ثم بعد عقله قدّر الإيمان يزدادُ معرفة بقدّر الغضب والوعيد والوعد

فإن ازداد طاعة قام بطائفة من الفروض وترك بعض المعاصي، وإلا ضيع بعض الفروض وركب بعض المعاصي من أجل الهوى ومعه عقل البيان والإقرار فعقل أنه مسيء، ولم يرجع عن إساءته لغلبة الهوى

ولو ازداد عقلا بعظيم قدر الغضب والرضى والثواب والعقاب لاستعمل ما عقل من البيان، وأقرّ به بأنّه حقٌّ فتاب وأناب

وجميع الممتحنين المأمورين من العقلاء البالغين كُلهم لهم عُقولٌ يميزون بها أمور الدنيا كلها، الجليل، والدقيق، وأكثرهم للآخرة لا يعقلون

ألم تسمعه عز وجل يقول ﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾ [الأعراف ١٩٨]

وقال جلّ ثناؤه ﴿لهم قلوبٌ لا يفقهون بها ولهم أعينٌ لا يبصرون بها ولهم آذانٌ لا يسمعون بها﴾ [الأعراف ١٧٩]

وهم بالدنيا أهلُ بصر وسمع وعقل ولم يعن أنهم صمٌّ خرس، مجانين وإنما عذبهم لأنهم يعقلون لو تدبروا ما يرون ويسمعون من الدلائل عليه من آيات الكتاب وآثار الصنعة وإيصال التدبير الذي يدل عليه أنه واحد لا شريك له

وحكى تعالى قول أهل النار فقال ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾ [الملك ١٠]

وقد كانت لهم عقول وأسماء لزمتهم بها الحجة لله عز وجل

وإنما عنى عز وجل أنها لم تعقل عن الله فهمًا لما قال من عظيم قدر عذابه فندمت وبادت بالويل والندم لا أنها لم تكن تسمع ولا تعقل ولا كانوا مجانين ولكن يعقلون أمر الدنيا ولا يعقلون عن الله ما أخبر عنه ووعد وتوعد

قلت: فمتى يسمى الرجل عاقلا عن الله تعالى؟

قال: إذا كان مؤمنا خائفا من الله عز وجل

[illegible]

[illegible] على [illegible] يكون [illegible] الله [illegible] وجب عليه [illegible]

[illegible] كان [illegible] أن يسمى عاقلاً عن الله

[illegible] لا يسمى عاقلاً عن الله [illegible] على [illegible]

[illegible]

قلت فمتى يُسَمّى العاقلُ عن الله كامل العقل عن الله تعالى؟

قال: إن العقل عن الله تعالى لا غاية له؛ لأنه لا غاية لله عز وجل [illegible]

[illegible] بالإحاطة بالعلم [illegible] صفاته [illegible]

[illegible]

ولو عاين الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه بصفاته [illegible]

ولكن وقد يقع اسم الكمال على الأغلب في [illegible] في العقل عن الله تعالى لا العقل بالكمال الذي لا يحتمل الزيادة

ألا تراه عز وجل يقول لرسوله [illegible] وقل رب زدني علماً [illegible]

ولا يخطئ له علماً [illegible]

وروي عن الملائكة أنها تقول يوم القيامة [illegible]

فلا أحد يساوي الله عز وجل في العلم بنفسه فيعرف عن [illegible] صفاته كما يعلم الله عز وجل عن نفسه

فأعظم [illegible] عقلاً عنه ومعرفة [illegible]

[illegible] لا يتبعون في العقل والمعرفة كما [illegible]

ولكن قد يسمى كاملاً في العقل عن الله في ما غلب عليه من [illegible] كانت عن العاقل كاملاً من كانت فيه ثلاث خلال

[illegible]

[illegible]

والوقوف عند الشبهات التي سمى الله الوقوف عنها رسوخاً في العلم [illegible]

[illegible] الخوف منه [illegible]

[illegible] البصر [illegible]

[illegible] الفقير [illegible]

[illegible] الله [illegible] الفقر [illegible]

[illegible] البصر [illegible]

[illegible] الله [illegible]

ثم [illegible] الحال [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] والسعادة قد سبق بهما العلم ونفذت بهما المشيئة

فقد أمِنَ مَنْ عرفه كثرةً [illegible] وقد عفى عن الله [illegible]

[illegible]

سبق منه الأيدي قبل شكر صوبين لحلم دائم الدائي حمص الستر محص العثرات محسنٌ إلى من يعصي إليه متقربٌ إلى من يباعد منه وعقل عنه أمره وآدابهُ وأحكامهُ وعقل داءَ النفوس ودواءَها

فمن عرفه أمن الرشد منه، ولن يحسنَ نطقه ويتقن عن الله جل ذكرهُ تأديبه به

وعلى عن الله عزّ وجلّ ما عظّمَ من قدْرِ ثوابه في جنّته بدوامه، وطيب العيش فيه وزوال الآفات، والكدر والتنغيص عنه وأنه فوق ما تُحبُّ النفوسُ، لا يحسنُ أحدٌ أن يخطرَ بباله ذِكْرُ كثيرٍ مما أعدَّ فيها

وقد قال الرسول ﷺ: «أعدَّ الله عز وجل في جنته ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر»

وكفاك بالله تعالى وصف عظيم ما لا يناله بقول عز من قائل: ﴿فلا تعلم نفسٌ ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ [السجدة ١٧]

فقد أخبرنا أنه حبر في الكتب واسمه وقرة العيون وصف نوعه ومعرفة العارفين وذكر الذاكرين لجميع نعيم فعظم في قلبه حوار مولاه وما أعدَّ فيه لمن أناب إليه وأطاعه فشخص إليه بعقله فاتصل به سويداء قلبه من نعيم بذلك لمشاهدته بعقله حتى كأنه رأى عينه كما قال حارثة: فكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا وإلى أهل الجنة يتزاورون)

وكما قال الحسن وذكر وعد الله في كتابه فقال اصنعوا ما شئتم فكأنه يرون ما وُعدوا رأيَ العين)

فلما اتصل عقله بمشاهدة ذلك حَنَّ واشتاق، فلمّا حنّ وشاق تعلّق قلبه وشغف، فلما شغف استوْق إلى حوار ربه سلا عن كل ما فيه عنه، فمن تفكر في دار الدنيا التي هي من حوار ربه إلى قوله عز وجل ﴿لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة﴾ [البقرة ٢١٩، ٢٢٠]، قيل في التفسير تفكروا فيهما فعلموا أن الدنيا دار فناء وأن الآخرة دار جزاء وبقاء فمن نعت ربه بزوال الدنيا وفنائها وأن كل ما أخذ منها فصير لغربة إلى ربه في حواره فنقص من درجات تقرّبه وكمال النعيم في حوار ربه وأن فيه الحساب والنشور على نعيمها بالحبس عن السبق في

أو من الرجوع إلى حول ربه وحوله وأنه مشغله به عن الاستعانة بربه ما دام فيه حتى ما يعيله من الأنس بربه وحلاوة مناجاة سيده

فيرفع قلبه عنها وتتمنى أن لو استغنى ينزوي منها شفقة فلم يجد بدا من أخذ منها ما يقويه على طاعة ربه خوف أن يمسك عن القوت فينقطع عن عبادة ربه

فكل بصيرة منها لقوت من الحلال ولم يكلف ما حرم بلغه بقوت من عنده وستر عورته، ولم تكلف صبره لم يكلف إلا بقدرته إلى ربه، فمن ابتلي منها بما فوق عدته وستر عورته من متاع صوف أو غيره فمحزون كله لربه يفرح بخروجه، ويغتم أن يمكث عنده أقل من طرفة عين

وعقل عن الله تعالى آلائه في تدبيره وحكمته في آثار صنعته، وتلاطف حسن تقديره فعلم أنه بعزيز قدرته وحكمته كما يشاء ينشئ ويفني ويجمع ويفرق، مخترعها ومبتدعها بقدر سبق حركاتها وتصاريف مقاديرها لطائف خلقه وغوامض كونه وما وارته حجبه وسواتره

فاستدل بذلك أنه لا إله غيره ولا رب سواه فكل خلقه الأشياء عن تغيرها ويحيط ويعلم بما يرى ويسمع من مولاد وعدد قد أحاط بكره وأثبت في الله عز وجل نفسه وعقل عن الله تعالى أنه ما سبقه عاية يعلم به، ولا يطلبه محاله ولا يقرب منه ولا يفهم له كيفية، فكل مع سيده حيث كان ويوم استعانه بربه، غير تارك ولا منقطع عن طلب الازدياد من علم بربه

والمزيد في الفقه عنه أعلى في قلبه، وأعظم عنده قدرًا من الازدياد من كثير أعمال النوافل إذ عقل عن ربه أن أفضل قليل المعرفة يورث التعظيم والهيبة، ويبعث على الأحوط، ويورث انقطاع، والشغل عن جميع العباد

وعقل عن الله تعالى ما بث عباده من رحمة وبسطه من الإحسان بعد تقديم العلم منه لهم أنهم سيعصونه ويحاربون مرة فلم يمنعه ذلك عن ابتدائهم بالنعم والتحنن والرحمة والإحسان وخص أفضل أوليائه عنده الرحماء بخلقه، المتحببين على عباده الناصحين بربه وهم رسله يدعون العباد إلى محبتهم ويحذرونهم من هلكتهم المتحملون منهم الأذى والمتحسون عنهم بالرحمة والنصح والإشفاق مع ذاهم لهم وتكذيبهم إياهم وستهزائهم بهم لا تكذيبهم

بمثل ما قالوا منهم ولا ينصرفون عن الإشفاق عليهم إذ سمعوا الله جل ثناؤه يصفهم إذ قالوا [illegible] في ضلال مبين [الأعراف ٦٠]

وقالوا لهود ﴿إنا لنراك في سفاهة﴾ [الأعراف ٦٦]

ثم وصف قولهم فقال [illegible] ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين [الأعراف ٦٧] إلى قوله تعالى [illegible] أفلا تتقون [الأعراف ٦٥] فلم يصغوا إلى نصح هود عليه السلام لهم ولا قبلوا نصيحته إذ سفهوه بما وصفهم به ثم انصرف عنهم آخر الأمر عن نصيحة لهم لعلهم يفلحون.

وقال إبراهيم عليه السلام لأبيه ﴿لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم﴾ [الممتحنة ٤-٥]

وقال عيسى عليه السلام ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ [المائدة ١١٨]

وقال نوح عليه السلام ﴿رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ [هود ٤٥-٤٦]

وقال إبراهيم عليه السلام ﴿ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ [إبراهيم ٣٦]

وقال عيسى [illegible] ووصف بذلك من الأنبياء سجية قومه فهو يتمسك بهم على وجهه وهو يقول [illegible] رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

وروي أن نوح عليه السلام لما [illegible] خلقه قومه حتى عيسى عليه السلام [illegible] رب اغفر لقومي إنهم لا يعلمون.

وقد خص عيسى [illegible] صديق هذه الأمة عليه برحمته يوم القيامة [illegible] رحمة لأبي بكر

فلما عقل عن الله عز وجل ما ابتدأ به عباده من رحمته وما خص به خلقه عنده قدّم وفضّله بها على جميع الخلق ثم قبله رحمة لأمته فجعله لمحسنهم، وأشفق على مسيئهم، ودعا إلى الله سبحانه إذ أمكنه إذ رهم ولم يتأخر ولا عن فقيرهم فعضل مأنه عليهم مبذول والموساة في جميع منهم لمحبوب من سنته فيهم فلم يحرم عبده لم يشترم بصنيعه ولم يحتجر بالعصاه برحمة هي لهم في عينه ومن [illegible] واساه إليه لم يجد في نفسه كراهية لبعض ما يصلح عنه بعدهم حتى كان أقرب الخلق منه كثيرهم من نبيه وصفوهم كونه وقربه كخلقه فكل هؤلاء عنده الحسنى لهم ولا يعدو عليه إسقاء عليهم

وعقل عن الله تعالى عظيم قدره وقدر ما يصب من ثواب وعقاب فاستصغر عند ذلك عظيم الأبدان وكثرة النعم عنده وإن جميع حسنة ما هو متعوده وأرصده بوعد الصدق وحسن الجزاء كالطعام الذي يأكله كل يوم وكالماء الذي يشربه كل وقت فكيف يستحلي في جواره، وتحفة من عنده

فقد عقل أبي يطلب ومن كان عند ربه يطلب ومن كان عند ربه يزداد في نعم شكر والشكر أعظم ما يتقرب به ويعرف به

فقد عقل من تكفل بربه ستقل وستصغر حسنة دعوته وأحبته وعظيم ما عقل من جميع ذلك

وعقل عن الله تعالى ما وصف به نفسه أنه يأتي السيئة مرة ويثيب صاحبه وبين هي التي حسبت عنه ما قد حصده ربه عنه ولم يعرض بذلك قط حتى يرده عصمة وأنه لا يكاد يعدل في بعض أحواله أن يتعرض لبعض مستحقاته، وقد علم رحمة عظيم حجة من خص به من العلم وقد من عليه به من المعرفة فإن كثير الحلوم فاستكثر قلة طاعتهم واستعظمها مع استصغار كثير من عند من نفسه لأنه أعلم بنفسه وبذنوبه من ذنوبهم، وأن الحجة عليه أعظم منها عليهم

وعقل عن من عصاه وخالفه فيما أمره به فحقر قدر عصيته من عصاه وشدة عصيته وشدة عذابه، وهول المكث في عقابه إن لم يعف عنه

فعقل كثرة ذنوبه وسوء رعيته ونقد هفواته وعلم أن كل ذلك على رصد من تعبيد ما لا معنى لهم في دنيا ولا آخرة نفعك ولا ضرك وبشارة من الدنيا المكدر المنغص الفاني عنه، والذي هو عنه المسؤول عليه بعد فنائه شدة الحساب، وعظيم السؤال عنه ثم لا يدخل من سخط الله في لأجره على ربه أن يحل به

فقد عقل عن الله عز وجل حسبما ألف عن نفسه وبشر عباده بذلك الخلق وحقت عليهم الحجة بدون ما وجب من الله عز وجل من الاستماع إلى ستودعه، وبشر عليه لذنوبه وما حسبه إبي عباده من ذلك بشر حتى به وأنه وكل بالخوف على نفسه ثم عرفه ما لا بد من تصاغر نفسه شكر نعم ربه وعظيم ما ألزمه من الحجة وما تحتم به تغيير ذلك بالإسلام وتعظيم الذنوب مع الإصرار ثم تقع عنه على حد، ولم يستوجب به من سخطه الله

ان ينجو ويهلك هو دونه، يكسر قلبهُ من يرى من أهل الطاعات، ويقطعُ عليه انه خيرٌ منه، ويتمنّى ان يكون مثله، ويهيج عليه الخوف من قلبه من رآه دونه في الدين يخاف ان يهب هو دونه، أو يختم له بأسر الأعمال لعظيم حجة العلم، وجميل السر عليه، ولما أمر به من خوف سُوء الخواتم التي مات عليها الأشقياء فهو مُتَواضعٌ للعباد كلهم لشدّة دلة الخوف على نفسه

وعقل عن الله عز وجل ما بين من قدّر الدنيا والآخرة فعقل صفة الآخرة بنعيمها وملكها وشرفها وعزها، وعظيم قدر سكانها انها في جوار المولى وما وصف به سوء عيش الدنيا وضعه رفعتها عنده يوم يحاسب عباده وذلك العزيز بها عنده في يوم يبعث خلقه، وحقارة المتكبرين في عينه وضيعه بهم يوم ينشر حتى انهم يحشرون في صور الذر دون جميع العباد

وعقل عن الله ما أمره به وأخبر أن الفقير من استغنى بالدنيا عنها ومن تجازى بما حرمه من خفة الحساب والتصاعد في معالي درجاته

فلمّا عقل ذلك كله عن ربه كان الفقر في الدنيا أحب إليه من الغنى بها وكان التواضع أحب إليه من الشرف فيها وكان الذل أحب إليه من العز بها

مسألة فى العقل

الحُجَّة حجتان

عيانٌ ظاهرٌ أو خبرٌ قاهرٌ

والعقل مضمَّنٌ بالدليل والدليلُ مضمَّنٌ بالعقل

والعقلُ هو المستدل

والعيان والخبرُ هما علّةُ الاستدلال وأصلُهُ

ومجازُ كون الفرع مع عدم الأصل وكون الاستدلال مع عدم الدليل

فالعيان شاهدٌ يدل على غيب

والخبر يدل على صدق فمن تناول الفرع قبل إحكام الأصل سفه

ورب حقٍّ أحق من حقٍّ كمن عفا ومن اقتص وكاقتضاء الدين ساعة محنة أو تركه قليلاً إحسانا إليه فقد أحسن فى الطلب

فكم من حسن أحسن من حسن غيره وقبيح أقبح من قبيح وفرض أوجب من آخر وفضل أفضل من فضل آخر

والحبُّ والبغضُ إذا أفرطا أنقضا الاعتدال، وأفسدا العقل، وصول الباطل فى صورة الحق

فأهل الشر لا يفرقون بين أئمتهم كما لا يفرقون بين إمامهم

وإنَّ الحقَّ فى كلِّ أمرٍ بيِّنٌ، والباطل فى كلِّ حالٍ داحضٌ إلا أن كثيرا من الناس لا يعرفُ وجهَ مطلبه، وبعضهمُ يعرف بعضه ويجهل بعضه، ومنهم من عرف ثم نسى ومنهم من يعرف أكثره ولا يعرف أسهل طرقه، وأقرب وجهه

[illegible] الباطل في مذاهبه إذا جمع [illegible]
[illegible] لا ينشط لأن يطلب عمله حتى يجمعه

[illegible] به يُريدُ جمْعهُ في بصيرته، وجمْع كُلّ مذهبٍ إلاّ خبَر الواحد من [illegible]
لا يعرف إلا بعضه

[illegible] لما كان قد اشتغل عن
[illegible] الرُّشْد أنه قد تركهُ ولعلّ مَنْ [illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

نجاتك، وتتضح لك أسباب عيشك إلا بالنظر بعقلك فيما قال، والتذكر والمجاهدة لنفسك إلا لتعرف ما ترضيه وتجانب ما يسخطه، وتباعد منه لأنه قد جعل فيك غريزة العقل، ومن عليك بالمعرفة والتلاك بما في طباعك مما يهيج الغضب والرضى والبخل بالسكوت لأن الصمت أعجمي، وفاعله كالأخرس لا يعرف معناه إلا صاحبُهُ، والقولُ فصيحٌ مبين يعْرفهُ سامعهُ، ومن تبعه إلى يوم القيامة لم يعْرف القولَ الحقَّ بالصمت، ولا جميع الأعمال بالحق إلا بالقول، بل لم يعرف الصمتَ عن الباطل إلا بالقول بما عرفه من الكتاب.

وإنما أمر النبي ﷺ بالصمت بتأريث القول بالخير فقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت».

ولم يُعرف الأداءُ والبيان عن جميع الإحسان إلا بالقول.

فى العقل[1] :

وإنه خاطبهم به من قبل ألبابهم، فقال: «إنما يذكر أولو الألباب» الرعد ١٩

وقال: «لقوم يعقلون» البقرة ١٦٤، الرعد ٤، النحل ٣ - ٦٧، العنكبوت ٣٦، الروم ٢٠، ٢٨، الجاثية ٥] و«لقوم يتفكرون» الروم ٢٤، الرعد ٣، النحل ١١ - ٦٩، الروم ٢٠، الزمر ٤٢، الجاثية ٣] لأنه جعل العقول معادن الحكمة ومقتبس الآراء ومستنبط الفهم ومعقل العلم ونور الأبصار إليها ذوى كر محصور، وبها يستدل على ما أخبر به من علم الغيوب، فبها يقارن الأعمال قبل كونها ويعرفون عواقبها قبل وجودها، وعنها تصدر الجوارح بالفعل بأمرها، فتسارع إلى طاعتها وتزجرها فتمسك عن مكروهها.

فاستخلص من عباده خالصة من خلقه، فهمت عنه قوله بعقولها، فاتسع لها ما خفى عن الأبصار.

ثم أخبرهم أنه أنزل كتابه ليدبروا آياته بعقولهم ويتذكروا ما قال لألبابهم وقال: «كتاب أنزلناه إليك فارك» فسماه بالبركة، ليعلموا بذلك أنه يدلهم على النجاة ويتأثر باتباعه الزلفى والكرامة، ثم قال: «ليدبروا آياته» فأخبر أنه أنزله ليتذكر ويتفكر فيه، وخص بالتفكر والتذكر أهل العقول وأولى الألباب[2].

---

(١) المحاسبي [كتاب فهم القرآن ومعانيه] ص٦ - ٢ - ٣٠٧

(٢) المصدر السابق ص٢٧٥

حجة الإسلام أبو حامد الغزالى
(٤٥٠ - ٥٠٥ هـ ١٠٥٨ - ١١١١م)

[من لم يشأ لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر ففي العمى والضلال

أبو حامد الغزالى

الحمد لله الذي جنبني من صفوة عباده عصابة الحق وأهل السنة وخصهم من بين سائر الفرق بمزايا اللطف والمنة وأفاض عليهم من نور هدايته ما كشف به عن حقائق الدين وأنطق ألسنتهم بحجته التي قمع بها ضلال المتمردين وصفى سرائرهم من وساوس الشياطين وطهر ضمائرهم عن بواعث الزيغ وعمر مدتهم بأنوار التقدير حتى اهتدوا بها إلى أسرار ما أنزله على نبيه وصفيه محمد ﷺ سيد المرسلين.

واطلعوا على طريق التلفيق بين مقتضيات الشرع وموجبات العقول وتحققوا أن لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول وعرفوا أن من ظن من الحشوية[2] وجود الجمود على التقليد واتباع الظواهر ما أتوا به إلا من ضعف العقول وقلة البصائر وأن من تعلق من الفلاسفة وغلاة المعتزلة في تصرف العقل حتى ظن مواتاة قواطع الشرع ما أتوا به إلا من حيث الضمائر فقد أوتيت من التفريط ومن هؤلاء إلى الإفراط وكلاهما بعيد عن الحزم والاحتياط.

بل الواجب التحكيم في قواعد الاعتقاد ملازمة الاقتصاد والاعتماد على الصراط المستقيم فكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

وإني سنبين الرشد لمن يقنع بتقليد الأثر والخبر وينكر مذهب النظر والنظر أو لا يعلم أنه لا مستند للشرع إلا قول سيد البشر ﷺ وبرهان يعقل هو الذي عرف به صدقه فيه الخبر.

[1] [illegible]

[2] [illegible]

وكيف يهتدي لصواب من يعتقد منهج العقل وقصوره وهو استحسان بعض الشرع ولا يستبصر؟ فمن شعري كيف يقرأ أبي العقل من حيث يقصره على والحصر، أو لا يعلم أن خط العقل قاصر وأن مجاله ضيق منحصر

هيهات قد ذهب على القطع والبتات وبقي بدار الضلالات من هو مجتمع بتلك الشرع والعقل هذا الشتات فمثال العقل بصر لبسم عن الألوان والأضواء ومثال الشرع بصر السنور بصير في الجنون يكون طالب الأشياء المستغنى بها مستغنيا وذهب عن الآخر في عصر الأعداء فالمعرض عن العقل مكتف بنور عوران مثاله المتعرض لنور الشمس مفضيًا للأجفان، فلا فرق بينه وبين الأعمى فالعقل مع الشرع نور على نور وبه الاحتراز عن الغلو لا سيما في الخصوص ممن يحيا عروره

ومن نصيحتي لك أيها المشوق إلى الاطلاع على قواعد عقائد هذه الفرقة المقترح تحقيقها بقواطع الأدلة أنه لم يستأثر بالتوفيق بالتعمق في السير والتحقيق، فريق سوى هذا الفريق[1] فقد عرفت بهذا أن العمى الذي وسم به من النور المعروف محسوس ثم عرفت أن العمى الذي وسم النور المعقول منهم من التفوت ما يصح أن يقال معه به أولى من لحق أنه يستحق الاسم دونه

■ (دقيقة):

عدم البصر في كل من كانت مبصرة، فليست المبصرة عندنا على مرتبة واحدة من حيث أن بعضها تكون عندنا كائنها حاضرة، كالعلوم الضرورية التي عند كل سوي، لوجد لا يكون قديمًا حادثًا ولا يكون موجودًا معدومًا، لوجد لا يكون قديمًا وكذلك في الحكم بأن الشيء الواحد بالشخص في الآن الواحد لا يكون موجودًا كليًا لأن وجود الواحد بالشخص فقد وجد ليس هو وجد الإنسان فقد وجد الحيوان وما عكسه ولا شرح في العلم بالملزوم من وجود اللازم بوجه من الوجوه، ولا في وجود الحيوان وجود الإنسان إلى غير ذلك من القضايا الضرورية كالواجبات والجائزات والمستحيلات

---

[1] [هنا ينتهي النسخة] ص ٣٢

ومنها ما لا يقدر عليه بحال إذا عرض عليه، بل يحتاج إلى أن ينبه عليه، ويشوق إليه ويتنبه عليه بالتنبيه كالمتعلم، والذي ينبهه كلام الحكمة، فعند إشراق نور الحكمة يصير الإنسان مبصرًا بالفعل بعد أن كان مبصرًا بالقوة، وأعظم الحكمة كلام الله تعالى، ومن جملته كلامه القرآن خاصة فيكون منزلته لآيات العقل عند عين العقل منزلة نور الشمس عند عين الظاهر، إذ به يتم الإبصار، فبالحري أن يسمى القرآن نورًا كما يسمى نور الشمس نورًا، فمثال القرآن نور الشمس ومثال العقل نور العين، وبهذا نفهم معنى قوله تعالى ﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾ [التغابن ٨]، وقوله تعالى ﴿قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورًا مبينًا﴾ [النساء ١٧٤] وآية الإسراء لقوله تعالى ﴿وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورًا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ [الشورى ٥٢]

ولا يبعد أيها المعتكف في عالم العقل أن يكون وراء العقل طور آخر يظهر فيه ما لا يظهر في العقل، كما لا يبعد كون العقل طورًا وراء التمييز والإحساس ينكشف فيه غرائب وعجائب يقصر عنها الإحساس والتمييز، فلا تجعل أقصى الكمال وقفًا على نفسك.[1]

والأصل في ذلك أن وراء العقل يتصور العقلاء أمورًا وراء الشرع بحيث ولا يعلم حقائقها إلا الله تعالى والأنبياء الذين هم وسائط بين الله تعالى وبين عباده.[2]

وما يتعلق به في الآخرة لا تصل إليه معرفته بتجربته كما عرف الطب، إذ لا مجال للعلوم التجريبية الآن إلا على القليل ... من ... لا يشاهد ... ولا يدرك ... العقل في العقول القاصرة عن ذلك، والعقلاء بجملتهم متحيرون ... لا يهتدي إلى ما بعد الموت ولا يرشد إلى ضرر المعاصي ونفع الطاعات لا سيما على سبيل التفصيل والتحديد كما وردت به الشرائع من أقوال ... لا يدرك إلا بنور النبوة، وهي قوة وراء قوة العقل يدرك بها من أمر الغيب في الماضي والمستقبل أمور لا على طريق التعرف بالأسباب العقلية، وهذا مما اتفق عليه الأوائل من الحكماء، فضلًا عن الأولياء والعلماء ... على الاقتباس من حضرة النبوة، واعترفوا بقصور كل قوة سوى هذه النبوة.[3]

---

١ مشكاة الأنوار ص ٣٦

٢ ... [... علم ...] ص ٢٠

٣ [إلجام العوام عن علم الكلام] ص ١٧١ - ١٧٢

إن ما لا يُعلم بالضرورة ينقسم إلى

ما يُعلم بدليل العقل دون الشرع

وإلى ما يعلم بالشرع دون العقل

وإلى ما يُعلم بهما

أما المعلوم بدليل العقل دون الشرع فهو حدوث العالم ووجود المحدث، وقدرته، وعلمه وإرادته، فإن كل ذلك ما لم يثبت لم يثبت الشرع إذ الشرع يبنى على الكلام، فإن لم يثبت كلام النفس لم يثبت الشرع، وكل ما يتقدم في الرتبة على كلام النفس يستحيل إثباته بكلام النفس وما يستند إليه، ونفس الكلام أيضا فيما اخترناه لا يمكن إثباته بالشرع، ومن المحققين من تكلف ذلك وراعاه.

وأما المعلوم بمجرد السمع، فتخصيص أحد الجائزين بالوقوع فإن ذلك من موافق العقول، وإنما يعرف من الله تعالى بوحي وإلهام، ونحن نعلم من الوحي أنه يسوغ كالحشر والنشر والثواب والعقاب وأمثالها.

وأما المعلوم بهما فكل ما هو واقع في مجال العقل ومتأخر في الرتبة عن إثبات كلام الله تعالى كمسألة الرؤية، وانفراد الله تعالى بخلق الحركات والأعراض كلها وما يجري هذا المجرى.

ثم كل ما ورد السمع به ينظر، فإن كان العقل مجوزا له وجب التصديق به قطعا إن كانت الأدلة السمعية قاطعة في متنها ومسندها لا يتطرق إليها احتمال، ووجب التصديق بها ظنا إن كانت ظنية.

وأما ما قضى العقل باستحالته فيجب فيه تأويل ما ورد السمع به أو يتصور أن يشير السمع على قاطع مخالف للمعقول، وظواهر أحاديث التشبيه كثرها غير صحيحة والصحيح منها ليس بقاطع بل هو قابل للتأويل، فإن توقف العقل في شيء من ذلك لم يقطع فيه بالاستحالة ولا جواز وجب التصديق أيضا لأدلة السمع فيكفي في وجوب التصديق تفكك العقل عن القضاء بالإحالة وليس يشترط اشتماله على القضاء بالتجويز وبين الرتبتين فرق ربما يزل عن ذهن البشر.[2]

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[illegible] العقل [illegible] العقل [illegible] على [illegible] كحق الله تعالى [illegible] نفسه [illegible]

[illegible] العقل [illegible] ولا [illegible] بالاحاطة [illegible] ليس [illegible] الاطباء [illegible] ولو [illegible] مخصوصة [illegible] على [illegible] بالاطلاع [illegible] الحكم [illegible] في نفسه [illegible] العقل [illegible] كونه [1]

[illegible] العقل الصرف فلا يقوى عليه إلا أولياء الله تعالى، الذين أراهم الله [illegible] على [illegible] [2] ولهذا كان رأس مال كل السعادات العقل [3]

[illegible] هي [illegible] وهي [illegible] بالعقل [illegible] بالنفس الانسانية

والعقل أولى [illegible] من الغير [illegible] عن [illegible]

أما الأولى فهو أن العين لا تبصر نفسها والعقل [illegible] غيره [illegible] نفسه [illegible] صفات نفسه

الثانية أن العين لا تبصر [illegible] ولا [illegible] والعقل عنده يستوي [illegible]

الثالثة أن العين لا [illegible] وراء الحجاب، والعقل يتصرف في العرش والكرسي [illegible] حجب السموات كتصرفه في عالمه الخاص به

والرابعة أن العين [illegible] من الأشياء [illegible] الأعلى [illegible] وصورها [illegible] والعقل [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الأشياء وأسرارها، وتدرك حقائقها وأرواحها وتستنبط سننها وعللها وحكمتها.

والخامسة: أن العين تبصر بعض الموجودات، إذ تقصر عن جميع المعقولات وعن كثير من المحسوسات، ولا تدرك الأصوات ولا الروائح ولا الطعوم والحرارة والبرودة والقوى المدركة أعني قوة السمع والشم والذوق والموجودات كلها مجال العقل، إذ يدرك هذه الموجودات التي عددناها وما لم نعده، وهو الأكثر، فيتصرف في جميعها، ويحكم عليها حكماً يقيناً صادقاً.

والسادسة: أن العين لا تبصر ما لا نهاية له، فإنها تبصر صفات الأجسام المعلومات، والأجسام لا تتصور إلا متناهية، والعقل يدرك المعقولات، والمعقولات لا تتصور أن تكون متناهية، إنه يدرك الأعداد ولا نهاية لها، ويدرك أنواعاً من النسب بين الأعداد ولا تتصور لها نهاية.

والسابعة: أن العين تدرك الكبير صغيراً، فترى الشمس في مقدار الحجر، والكواكب في صورة دنانير منثورة على بساط أزرق، وترى الكواكب والظل والصبي ساكنة، والعقل يدرك أن الكواكب والشمس أكبر من الأرض أضعافاً مضاعفة، وتراها متحركة، وترى نمو الصبي.

فالعين أولى باسم النور من النور المعروف المحسوس، والعقل أولى باسم النور من العين.

ولقد كرمني آدم [illegible] [1]

فكان من أعظم ما شرف به وكرمه العقل الذي تنبه به على البهيمة، وألحقه بسببه بعالم الملائكة حتى تأهل به لمعرفة ربه ومبدعه، والنظر في مخلوقاته والاستدلال به على معرفة صفاته بما أودعه في نفسه من الحكمة [2].

والأصول الأربعة: الكتاب والسنة والإجماع والعقل [3].

---

(1) [illegible] ص ٣٢ [illegible]

(2) [أسرار [illegible] ص ٧٠ [illegible] ٩٩ [illegible]

(3) [المستصفى من علم الأصول] جـ١ ص ٣ [illegible]

(في السببية).

وإنا نسلم أن النار خُلقت خلقةً إذا لاقاها قطنتان متماثلتان أحرقتهما، ولم تفرّق بينهما إذا تماثلتا من كل وجه.

ولكنا مع هذا نجوّز أن يُلقى شخص في النار فلا يحترق، إما بتغيير صفة النار أو بتغيير صفة الشخص فيحدث من الله تعالى أو من الملائكة صفة في النار تقصر سخونتها على جسمه بحيث لا تتعداه فتبقى معها سخونتها وتكون على صورتها وحقيقتها ولكن لا تتعدى سخونتها وأثرها، أو يحدث في بدن الشخص صفة ولا يخرجه عن كونه لحماً وعظماً فيدفع أثر النار، فإنا نرى من يطلي نفسه بالطلق[1] ثم يقعد في تنور موقد فلا يتأثر به. والذي لم يشاهد ذلك ينكره، فإنكار الخصم اشتمال القدرة على إثبات صفة من الصفات في النار أو في البدن تمنعه الاحتراق كإنكار من لم يشاهد الطلق وأثره.

وفي مقدورات الله تعالى غرائب وعجائب ونحن لم نشاهد جميعها فلا ينبغي أن ننكر إمكانها ونحكم باستحالتها.

وكذلك إحياء الميت وقلب العصا ثعباناً يمكن بهذا الطريق وهو أن المادة قابلة لكل شيء، فالتراب وسائر العناصر تستحيل نباتاً، ثم النبات يستحيل عند أكل الحيوان دماً، ثم الدم يستحيل منياً، ثم المني ينصب في الرحم فيتخلق حيواناً، وهذا بحكم العادة واقع في زمان متطاول، فلم يحيل الخصم أن يكون في مقدور الله تعالى أن يدير المادة في هذه الأطوار في وقت أقرب مما عهد فيه؟ وإذا جاز في وقت أقرب فلا ضبط للأقل، فتستعجل هذه القوى في عملها، ويحصل به ما هو معجزة النبي.

إن الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً وما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا[2]، بل كل شيئين ليس هذا ذاك ولا ذاك هذا، ولا إثبات أحدهما متضمناً لإثبات الآخر، ولا نفيه متضمناً لنفي الآخر، فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر، ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر، مثل الري والشرب، والشبع والأكل،

---

(1) [illegible]

(2) [illegible]

والاحتراق وبقاء النار، والنور وطلوع الشمس، والموت وحز الرقبة، والشفاء وشرب الدواء وإسهال البطن واستعمال المسهل، وهلم جرا إلى كل المشاهدات من المقترنات في الطب والنجوم ومن الصناعات والحرف، وإن اقترانها لما سبق في تقدير الله سبحانه وتعالى لخلقها على التساوق، لا لكونها ضرورية في نفسه غير قابل للفرق، بل في المقدور خلق الشبع دون الأكل وخلق الموت دون حز الرقبة وإدامة الحياة مع حز الرقبة وهلم إلى جميع المقترنات.

وأنكر الفلاسفة إمكانه وادعوا استحالته، وعن هذا المعنى أنكروا وقوع إبراهيم صلى الله على نبينا وعليه وسلم في النار مع عدم الاحتراق، وبقاء النار نارا، وزعموا أن ذلك لا يمكن إلا بسلب الحرارة من النار، وذلك بخروجه من كونه نارا، وبقلب ذات إبراهيم وبدنه حجرا أو شيئا لا تؤثر فيه النار، ولا هذا ممكن ولا ذاك.

إن فاعل الاحتراق يخلق السواد في القطن والتفرق في أجزائه وجعله خرافا ورمادا هو الله تعالى بواسطة الملائكة أو بغير واسطة، فإذا النار فهي جماد لا فعل لها، وقد تبين أن الموجود عند الشيء لا يدل على أنه موجود به، وإذا ثبت أن الفاعل يخلق الاحتراق بإرادته عند ملاقاة القطنة للنار أمكن في العقل أن لا يخلق مع وجود الملاقاة.

---

١ - تهافت الفلاسفة، ص ٦٥ - ٨٠

فى العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه[1]

بيان شرف العقل

اعلم أن هذا مما لا يحتاج إلى تكلف في إظهاره، لا سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل، والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه، والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة، والنور من الشمس والرؤية من العين، فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة؟ أو كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتى إن أعظم البهائم بدنا وأشدها ضراوة وأقواها سطوة إذا رأى صورة الإنسان حبشته وهابه، لشعوره باستيلائه عليه لما خص به من إدراك الحيل [illegible] الشيخ في قومه كالنبي في أمته» وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه، ولا لزيادة قوته، بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله، ولذلك ترى الأتراك والأكراد وأجلاف العرب وسائر الخلق مع قرب منزلتهم من رتبة البهائم يوقرون المشايخ بالطبع، ولذلك جعل قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله [illegible] فلما وقعت أعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة [illegible] وتراءى لهم [illegible] يتلألأ على ديباجة وجهه [illegible] في نفسه [illegible] العقل فشرف العقل مدرك بالضرورة وإنما القصد أن [illegible] الأخبار والآيات في ذكر شرفه وقد سماه الله نورا في قوله تعالى [illegible] نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة [illegible] ٢٩ [illegible] ووحيا وحياة فقال تعالى: «وكذلك أوحينا إليك روحا من [illegible] ٥٢ [illegible] ومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس» [illegible] ٢٢ وحيث ذكر النور والظلمة [illegible] العلم والجهل كقوله [illegible] يخرجهم من الظلمات إلى

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[illegible] ١٦ وقال [illegible] يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتوبوا إليه [illegible] تعقلوا ما عرفتم به وتوبوا إليه فإنه يتجاوز عن ربكم وعمو [illegible] العاقل من أطاع الله وإن كان دميم المنظر حقير الخطر دني المنزلة رث الهيئة وإن [illegible] الجاهل من عصى الله تعالى وإن كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا بحوقف فاجرة والجبابرة على الله تعالى صغر عصاه ولا يغتر المتعصم في الذنب بأكد قابهم من الجاسرين» وقال ﷺ «أول ما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم علي منك بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب» فمن فقه فهو يعقل ذلك عرضا فكيف خلق في الأجسام؟ وإن كان جوهرا فكيف يكون جوهر قائم بنفسه ولا يتحيز؟

[illegible] عن ابن عباس عن عم المكاشفة، فلا ينبغي ذكره بعم المعاصي وعرضت لأن ذكر عموم المعاصية وعن ابن [illegible] قال ابني قوم على رجل عند النبي ﷺ حتى تجاوزوا فقال ﷺ كيف تجد الرجل؟ فقالوا نجتهد عليه في العبادة واجد في الخير ويتأثم عن عقبه فقال ﷺ إن الأحمق يصلي بعينه كثير من فجور الفاجر وبره يرتفع البخار عن في الرجل يأتي من ربه على قدر عقوبتهم وعن عمر [illegible] قال قال رسول الله ﷺ [illegible] كتب رجل مثل قص على بهدي صاحبه إلى هدى ويرده عن ردى ولم ينم عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله وقال ﷺ [illegible] الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا ينم الرجل حسن خلق حتى ينم عقله فعند ذلك ينم نصابه ويضاع ربه ويعصى عدوه إبليس

---

١ حديث يا أيها الناس [illegible] الخطيب [illegible] ٢

[illegible] ٢ حديث [illegible] عبد الله بن عمرو [illegible] الديلمي [illegible] بلفظ [illegible] بعد من جنوده عليه [illegible] ٣

٣ حديث [illegible] عن [illegible] الخير في الرجل [illegible] الخلق [illegible] الحسن

[illegible] حديث [illegible] الدين [illegible] الحجر [illegible] ٤

وعن أبي سعيد الخدري [illegible] قال: قال رسول الله [illegible] لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته، ما سمعتم قول الفجار في النار [illegible] كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير». وعن عمر [illegible] أنه قال لتميم الداري(٢): «ما السؤدد فيكم؟ قال: العقل، قال: صدقت، سألت رسول الله [illegible] كما سألتك، فقال كما قلت، ثم قال: سألت حذيفة [illegible] ما السؤدد؟ فقال: العقل». وعن البراء بن عازب [illegible] قال: كثرت المسائل يوما على رسول الله [illegible] فقال: يا أيها الناس إن لكل شيء مطية ومطية المرء العقل، وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلا».

وعن أبي هريرة [illegible] قال: [illegible] رجع رسول الله [illegible] من غزوة أحد سمع الناس يقولون: فلان أشجع من فلان وفلان أبلى ما لم يبل فلان، ونحو هذا، فقال رسول الله [illegible] أما هذا فلا علم لكم به، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ فقال: [illegible] إنهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل، وكانت نصرتهم وبلاؤهم على قدر عقولهم، فأصبت منهم من أصيب على مدارج شتى، فرد كل يوم القيامة فيسمو المنازل على قدر بلائهم وقدر عقولهم».

وعن أنس بن عازب [illegible] قال: [illegible] أحد الملائكة وأجمعوا في طاعة الله سبحانه وتعالى بالعقل، وأحد المؤمنين من بني آدم على قدر عقولهم، فأعلمهم بطاعة الله عز وجل «وفرهم عقلا». وعن عائشة رضي الله عنها قالت(٦): «قلت يا رسول الله: لم يتفاضل الناس في الدنيا؟ قال: بالعقل، قلت: وفي الآخرة؟ قال: بالعقل، قلت: ليس إنما يجزون بأعمالهم؟ فقال: يا عائشة، وهل أعمالهم [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ما أعطاهُمْ عزّ وجلّ من العقل، فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم، وبقدر ما عملوا يجزون».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول ﷺ: «لكلّ شيء آلة وعدة وإن آلة المؤمن العقل، ولكل شيء مطية ومطيّة المرء العقل، ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل، ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل، ولكل قوم داع وداعي العابدين العقل، ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل، ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل، ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل، ولكل امرئ عقب ينسب إليه ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون إليه ويذكرون به العقل، ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل». وقال ﷺ[2]: «إن أحب المؤمنين إلى الله عز وجل من نصب في طاعة الله عز وجل ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه فأبصر وعمل به أيام حياته فأفلح وأنجح». وقال ﷺ[3]: «أتمكم عقلاً أسدكم لله تعالى خوفاً وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه نظراً وإن كان أقلكم تطوعاً».

---

١) [illegible]

٢) [illegible]

٣) حديث أتمكم عقلاً أسدكم لله خوفاً [illegible]

بيان حقيقة العقل وأقسامه

علم أن الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته وهو الأكثرون على كون هذا الاسم مشتركا بين معان مختلفة، فصار ذلك سبب اختلافهم

والحق الذي ينكشف بعد التأمل فيه أن كل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة وما يجري هذا المجرى، فلا ينبغي أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد، بل يفرد كل قسم بالكشف عنه

فالأول: وصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية ويتهيأ لصدور الصنائع الفكرية وهو الذي أريد الحارث بن أسد المحاسبي، حيث قال في حد العقل: إنه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية، وكأنه يريد بقوله في الغريزة أنه مستعد لإدراك الأشياء ولم يتصف بعد بفكر هذا ورد العقل إلى مجرد العلوم الضرورية، وإلى العقل عن العلوم والفهم يسمى عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع فقد العلوم وكما أن الحياة غريزة بها تتهيأ الحس للحركات الاختيارية والإدراكات الحسية، فكذلك العقل غريزة بها تتهيأ بعض الحيوانات للعلوم النظرية وهو الذي سوى بين الإنسان والحمار في الغريزة والإدراكات الحسية فقال لا فرق بينهما لأن الله تعالى بحكم إجراء العادة بخلق في الإنسان عند وجود الحواس السليمة العلم والفهم، ولم يسوّ بين الحمار والجماد في الجمادة وفقد الإدراك عنه وهو أيضا عند وجود الحياة في الحمار حركات مخصوصة بحكم إجراء العادة بذلك لو قدر الحمار خلقا أعلى يوجب الفكر بأن كل حادث لا بد له من محدث وتكون قادرا على خلقها فيه على الترتيب المشاهد، وكما وجب أن يقال لم يكن في وسع الحمار في تحركاته الاختيارية التي لا يشعر بها غير عنها وتحديدها كذلك تفكر الإنسان منتهية في إدراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو كالغريزة التي تفارق غيره من الأجساد في حكمة التصوير والأشكال بصفة يختص بها

وهي الصقالة، وكذلك العين تفارق الجبهة في صفات وهيئات بها تستعد للرؤية. فنسبة هذه الغريزة إلى العلوم كنسبة العين إلى الرؤية، ونسبة القرآن والشرع إلى هذه الغريزة في سياقها إلى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس إلى البصر، فهكذا ينبغي أن تفهم هذه الغريزة.

الثاني: هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز نحو الجائزات واستحالة المستحيلات، كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد وأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد، وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل: إنه بعض العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات، وهو أيضًا صحيح في نفسه لأن هذه العلوم موجودة، وتسميتها عقلًا ظاهر، وإنما الفاسد أن ينكر تلك الغريزة ويقال: لا موجود إلا هذه العلوم.

الثالث: علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال، فإن من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال إنه عاقل في العادة، ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال إنه غبي عمّر جاهل، فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلًا.

الرابع: أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور، ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها، فإذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلًا، من حيث إن إقدامه وإحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة، وهذه أيضًا من خواص الإنسان التي بها يتميز عن سائر الحيوان، فالأول هو الأس والسنخ والمنبت، والثاني هو الفرع الأقرب إليه، والثالث فرع الأول، والثاني إذا نمت الغريزة، والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب، والرابع هو الثمرة الأخيرة وهي الغاية القصوى، فالأولان بالطبع والأخيران بالاكتساب، ولذلك قال علي كرم الله وجهه:

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع

ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع

كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

[illegible]

كأنها مصمتة في [illegible] العمودية [illegible] ولكن تظهر في [illegible]

تخرجها إلى [illegible] حتى [illegible] العمود [illegible] علت [illegible]

وكأنها مسبكة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] [... ١٧٢] فاعتبروا [illegible]

[illegible] الألسنة والأشخاص إلى

[illegible] [... ٨٧]

[illegible]

[illegible] [... ٣٠] أي كل [illegible] فطر على الإيمان [illegible] على [illegible]

[illegible] كالمضمضة [illegible]

[illegible] عرض [illegible] فتذكر [illegible]

[illegible] ٢٢٦

[illegible] ٢٩ [illegible] اذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به

[... ١٠] [illegible] لذكرتهن من مذكر [... ٢] [illegible]

[illegible]

[illegible] والأخر [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

كالفرس، وعمى الفارس أضر من عمى الفرس

ولمشابهة بصيرة الباطن ببصيرة الظاهر قال الله تعالى: «ما كذب الفؤاد ما رأى» [النجم: ١١] وقال تعالى: «وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض» [الأنعام: ٧٥] وسمى صدره عمى فقال تعالى: «فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور» [الحج: ٤٦] وقال تعالى: «ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا» [الإسراء: ٧٢] وهذه الأمور التي كشفت للأنبياء بعضها كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة وسمي الكل رؤية.

وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة، لم يعلق به من الدين إلا قشوره وأمثلته دون لبابه وحقائقه فهذه أقسام ما يطلق اسم العقل عليها.

بيان تفاوت النفوس فى العقل

قد اختلف الناس فى تفاوت العقول ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من فى تحصيله، بل الأولى والأهم المبادرة إلى التصريح بالحق

والحق الصريح فيه أن نقول إن التفاوت ينطرق إلى الأقسام الأربعة التى ذكرناها فى القسم الرابع وهو العلم الحاصل بحضور المدركات وستتضح بمستحيلات ثلاثة من عرف ان الاثنين اكثر من الواحد عرف أيضًا استحالة كون الجسم فى مكانين، وكون الشيء الواحد قديما حادثا، وكذا سائر النظائر، وكل ما ندركه إدراكا محققا من غير شك وهذه الاقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق إليها

اما القسم الرابع وهو استيلاء نكرة على قمع الشهوة فلا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت احوال الشخص الواحد فيه وقد اتفق ان يكون تارة تفاوت الشهوة او قدر تحكم العقل على بعض الشهوات دون بعض وكل غير مقصور عنه فى نفسه قد يعجز عن قهر الشهوة الكبرى ويقهر ما هو اصغر منها وشهوة الرياء والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون نفس العقل فى نفسه معرفة نفسه سبب الشهوة وبهذا يقدر الصبيب على الاحتراز عن بعض الاشياء مصرا وقد لا يقدر على مساواته فى العقل على بدل إذ لم يكن طبيب ولكن يعتقد على جملته قدرة ولكن ذاك يعلم جملة ولا يحيط بتفاصيله فيكون بعرف جملة وعجزه فى قمع شهوته وكسرها وكذلك يكون العلم اقوى من العلم الحاصل من الجاهل بقوة علمه بحضور جميع ما يعلم وعدم غيبة شيء حقيقي دون شيء بحيث لا يشذ عن علمه شيء فهذا فى كل واحد من جهة الشهوة لم يرجع إلى نقصان العقل وإن كان من جهة العلم قد يتصور من العلم عقلا يقال له قوة غريزة عقل فيكون العقل سببا لحقه تسميته عقلا وقد يكون بمجرد العقل فى غريزة العقل فيها ان قوتها لقمعها بشهوة لا محالة ما

وأما القسم الثانى وهو علوم البحر فالتفاوت الناس فيه لا ينكر فيهم متفاوتون بكثرة الاصابة وسرعة الادراك ويكون سببه ان التفاوت فى الغريزة،

وقد يعود في المدرسة ... أو وهو لأصبر على المرير وأشد مرارة قد لأسس أبي حامد كنه مثل نور يشرق على النفس ويطمع صبحه ويعدم اشراقه عند سر البصير ثم لا يزال ينمو ويزداد نحو حتى البداية إلى ... بلغ بغرب الأربعين سنة ومثاله نور الصبح، فإن أوله يخفى خفاء عند ابراك ثم يتدرج إلى الزيادة، إلى أن يكمل بصبوغ قرص الشمس

وبعد وجود نور البصيرة كمحدود من البصر وبقرة مدرك من الأعمى وبعد حد البصر من سنة الله عز وجل جارية في جميع خلقه ... لم يجر في الأبصار حتى في عز البصيرة سبيله لا تظهر في الصبي عند الطلوع بغتة وبعد أن يصير شيخا فسدت على البصيرة وكذلك جميع القوى والصفات وما أكثر تقلب البصر في هذه البصيرة وكثيرة منسحبة عن رتبة البصر

وهذا خاص بالبصيرة التي هي محل نظر الله من عباده وهي حقيقة الإنسان وبها يخاطب ويعاقب ويثاب وبفقدها يفقد الإنسان إنسانيته وكذلك سكر بعض البصيرة وغلبة الهوى حتى أن أكثر الخلق في هذا الزمان ليس لهم من الإنسانية إلا الاسم ولا يتميزون عن البهائم إلا بالصور والأشكال المختلفة التي هي أساس في فهم العلوم ولما انتسبوا إلى بلد لا يفهم فيه إلا اللغة العربية صاروا من المعلم، وإلى ذكي يفهم فيه إلا رمز واشارة وإلى كامل تبعث من نفسه جذبة الشوق بدون التعليم كما قال تعالى ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾ [سورة النور ٣٥] وذلك مثل الأنبياء عليهم السلام، إذ يفيض عليهم من العلوم والمعارف من غير تعلم وتعلم وبعض الأولياء وبعض الأتباع وبعض عند الله حيث قال ... روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فإنك مفارقه وعش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزي به ... وهذا من عرف الملائكة للأنبياء بخلاف الوحي الصريح الذي هو سماع بصوت يخلقه الله ومشاهدة الملك بالبصر ولذلك خبر عن هذا بالنفث في الروع ... وحي كثيره ويخوض فيه لا يليق بفهم جماعة من هو من عالم أسفل منه

ولا يخص ... بمعرفة ورد ... الوحي بمنصب النبوة ... يعرف بطيب نفس من نفس ... بحار الصحة وبعلم علم ... ورد ... به ... حاسب عليه ... بعلم شيء ... وجميع العلوم شيء ... حر علا كما ... عرف سموه وعلوه ... لا يعلم، ولا يعرف ... تكفي وأبو ... نفسه ...

... بقدر ... في حد ... ورد ... بعض ... يوم ... حديث ... ١٥٥ ... يوم ... وبعض ... وبعض ...

وينقسم الناس في من يسمى عاقلا وفهم والى من لا يفهم الا نسبة ونعلم، والى من لا ينفعه التعلم ابدا ولا لنسبة كانقسام الارض الى ما تحضه فنه الماء فيثوى فيفجر بنفسه عيونا، والى ما يحتاج إلى الحفر فيحفر الى ينبوب والى ما لا ينفع فيه الحفر وهذا الناس وذلك لاختلاف جوهر الارض في صفاتها، فكذلك اختلاف النفوس في غريزة العقل وفي نفوذ العقل من جهة العقل ما روى ان عبد الله بن سلام رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت: «يا رب هل خلقت شيئا أعظم من العرش؟ قال نعم العقل، قالوا ومما بلغ من قدره قال شيء لا يحيط بعظمته شيء من خلقي علم يعلم الناس؟ قالوا لا قال لله عز وجل فإني خلقت العقل فصاغ شيئا كعدد الرمل فمن الناس من أعطي حبة ومنهم من أعطي حبتين ومنهم من أعطي ثلاثا ولا يزيد ومنهم من أعطي قوة ومنهم من أعطي وسقا ومنهم من أعطي أكثر من ذلك

فإن قلت فما بال أقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول؟

فاعلم أن الناس فيه لما سمعوا اسم العقل والمعقول في المحاورة والمناظرة بالمناقضات والإلزامات وهو صفة الكلام فلم يقدروا على تقدير عظمهم لكم احتاجوا في التسمية، إذ كان ذلك لا يتحقق على التوحيد بعد الألسنة بل هو خاص في الشرع فهو العقل والمعقول، وهو عندهم كالبصر والبصيرة أيضا فإنهم لا يعرفون الله تعالى ويعرفون بعد فكيف يبصر وقد نفى الله تعالى عنه؟ وإن لم نفه على ما يعتقده المحدود هم يسرح فهم عند صحة الأسرار على علم بالعقل عند ورود التوقيف به فيكون البصر بصيرة ولا يستعمل في هذا المعنى بل يقولون عقل وبصر لأن العقل عندهم نور يدرك به المعقول بخلاف البصر والبصيرة، وهي بصيرة القلب التي بتصريف الله عز وجل هو يتم على أن يسمى الحق بالنور

وأكثر هذه المخاطرات من حيرة أقوام صنفوا بعض الأسماء فيختصون فيها بمحيط اصطلاحات الناس في الأخذ فيها فيقعون في الغلط والله أعلم

أبو الوليد ابن رشد
(٥٢٠ - ٥٩٥هـ = ١١٢٦ - ١١٩٨م)

[illegible] نعرض من هذا المنظور [illegible] نفحص على وجه الخصوص لنرى هل نظر في الفلسفة وعلوم الشرع - بشكل عام - محصور أو مقصور [illegible] على وجه الخصوص، وما على وجه الوجوب؟؟

فيقول [illegible] فعل الفلسفة ليس سوى النظر في الموجودات واعتبارها من حيث دلالتها على الصانع، من حيث هي مصنوعات، فإن الموجود إنما تدل على الصانع بمعرفة الصنعة، ومن كمل معرفة بالصنعة كمل معرفة بالصانع بقدر [illegible] معرفته بالصنعة ثم

وكل الشرائع قد حث على [illegible] الموجودات، وحض على [illegible] النظر [illegible] بالعقل، وهذا واضح بنفسه لمن تأمل الشرائع وما قصد منها

[illegible] النظر العقلي في الموجودات بالعقل وبحسب [illegible] يدل عليه [illegible] كتاب الله العزيز وينبغي من [illegible] الشرع في الشرع أن يعلم أن الشرع حث على [illegible] بالعقل والنظر الشرعي مما يدل عليه قوله تعالى ﴿أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء﴾ [الأعراف: ١٨٥] وهذا نص في الحث على النظر العقلي في جميع الموجودات

وأعلم أن الله تعالى بعض عباده بالعلم وشرفه به لأنه [illegible] العلم [illegible] وكذلك نوه بهم في كتابه العزيز [illegible] وقوله تعالى ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ١٧ وإلى السماء كيف رفعت﴾ [الغاشية: ١٧، ١٨] وقوله ﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض﴾ [آل عمران: ١٩١] إلى غير ذلك من الآيات التي لا تحصى كثرة

فهو حث أن نجعل النظر في الموجودات بالقياس العقلي

ومن المعلوم أن هذا النوع من النظر هو القياس العقلي، بل لعله أتم بكثير في الصراط [illegible] المستقيم من القياس العقلي، وهو على ما

استنبط بعد الصدر الأول وليس يرى أنه بدعة فكذلك يجب أن يعتقد في النظر في القياس العقلي.

وإذا كان هذا هكذا فقد يجب علينا أن نقدم من الأمم السالفة نظرا في الموجودات واعتبارا لها بحسب ما اقتضته شرائط البرهان أن ننظر في الذي قالوه من ذلك وما أثبتوه في كتبهم، فما كان منها موافقا للحق أقمناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم.

فقد تبين من هذا أن النظر في كتب القدماء واجب بالشرع إذا كان مغزاهم في كتبهم ومقصدهم هو المقصد الذي حثت الشرع عليه وأن من نهى عن النظر فيها من كان أهلا للنظر فيها وهو الذي جمع أمرين:

أحدهما ذكاء الفطرة.

والثاني العدالة الشرعية والفضيلة العلمية والخلقية. فقد صار الناس عن الباب الذي دعا الشرع منه الناس إلى معرفة الله وهو باب النظر المؤدي إلى معرفته حق المعرفة وباب غاية الجهل والبعد عن الله تعالى.

وإذا كانت هذه الشريعة حقا وداعية إلى النظر المؤدي إلى معرفة الحق فإن معشر المسلمين يعلم على القطع أنه لا يؤدي النظر البرهاني إلى مخالفة ما أدى به الشرع فإن الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له.

وإذا كان هذا هكذا فإن أدى النظر البرهاني إلى نحو من المعرفة بموجود ما فلا يخلو ذلك الموجود أن يكون قد سكت عنه الشرع أو عرف به.

فإن كان قد سكت عنه، فلا تعارض هنالك، وهو بمنزلة ما سكت عنه من الأحكام، فاستنبطها الفقيه بالقياس الشرعي.

وإن كانت الشريعة نطقت به فلا يخلو ظاهر النطق أن يكون موافقا لما أدى إليه البرهان فيه، أو مخالفا، فإن كان موافقا فلا قول هنالك وإن كان مخالفا طلب هنالك تأويله.

[illegible] ص ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٢٨، ٢٩

ومعنى التأويل هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية بقرينة لفظية من غير أن يمس ذلك بقاعدة من قواعد اللغة العربية في تجوز من تسمية الشيء بسببه أو بسببه أو لاحقه أو مقاربه، وغير ذلك من الأشياء التي عدت في تعريف أصناف الكلام المجازي

وإذا كان الفقيه يفعل هذا في كثير من الأحكام الشرعية، فكم بالحري أن يفعل ذلك صاحب علم البرهان؟ فإن الفقيه إنما عنده قياس ظني، والعارف عنده قياس يقيني

ونحن نقتصر قصد أن نكرر ما أدى إليه البرهان وهو أنه ظاهر الشرع من ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي وهذه القضية لا يشك فيها مسلم ولا يرتاب بها مؤمن، وقد عظم ارتياب القلبي بها عند من لم يفهم المعنى وحيرته، وقصد هذا الفصل من الجمع بين المعقول والمنقول

إن المقول به هو من متفق به في الشرع مختلف في ظاهره بحيث لو أدى البرهان إلى تأويله لم يصطدم بشيء آخر، وحد في القاعدة المشروعة عن تشهد بظاهره لذلك التأويل ويقر به أو يشهد ويشهد المعنى الجمع المستفاد على أنه من جنس ما تحتمله قواعد الشرع كالنص على ظاهره ولا يخرج كالنص عن ظاهره بالتأويل وجدوا في الصور منها من غير شهود قاطع كالاستواء مثلا بالمقول به الاستواء[1] وحديث النزول[2] والجهة بحمل ذلك على ظاهره

وسبب في ورود الشرع فيه الظاهر والباطن هو اختلاف نظر الناس وتباين قرائحهم في التصديق، والسبب في ورود الظواهر المتعارضة فيه هو تباين الراسخين في العلم على التأويل الجامع بينهم وإلى هذا المعنى أشار الله بقوله تعالى: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾[3]

في كل قضية في الشرع شيء قد أجمع المسلمون على حمله على ظاهره وشيء على تأويله واختلفوا فيه، فليس يخلو إما أن يكون البرهان على التأويل قد اشتهر واتضح عند الجمهور فيجب حمل الظاهر على التأويل وإما أن يكون البرهان قد اشتهر عند الجمهور على ظاهره

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible]

فلا اعتداد بمن لا يعتد الاجماع بخلافه كالمبتدع الذي يكفر ببدعته ويخرج من الملة، والمجاهر بالفسق ونحوهم من لا يبالي بالمعاصي ولا يتحرج منها، لأن هؤلاء لا يقيمون للدين وزنا ولا يخشون في الله لومة لائم.

وقد ذهب بعض الأصوليين إلى أن انقراض العصر شرط لانعقاد الإجماع، فلا ينعقد الإجماع في حياة المجتهدين في العصر، لأنه ليس بمكن أن ينقرض العصر عند محصورا وإلا يكون جميع العلماء المجتهدين في ذلك العصر معروفين عند، أعني معروفين بأشخاصهم، ومبلغ علمهم، وأن يتفق إثبات في مسألة من هذه الكلية وحكم منهم حكما بقول متواتر ويكون ذلك هو الذي يصح عندهم أن العلماء الموجودين في ذلك الزمان متفقون على ذلك، لأن الناس في الشرع ظاهر وباطن، وأن العلم بكل مسألة يجب ألا يكتم عن أحد، وأن الناس مطلعون على حكم في علم بشريعته.

وهذا وكثير من العصر الأول قد تفقد عنهم بموتهم كما يروى، والشرع ظاهر وباطنه، وليس يجب أن يعلم بالباطل من الناس من هو أعلم به ولا يقدر على معرفته، فكثير مما روى عن عمر رضي الله عنه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه قال حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟ ومثل ما روى من ذلك عن حذيفة من التسعة.

فكيف يمكن أن يتصور إجماع يتوقف على معرفة من انقرض من العصر ونحن نعلم قطعا أنه لا يخلو عصر من العصور من علماء يرون في كثير من المسائل ما لا يتسع أن يعلم بتخطئة بعضهم بعضا.

وذلك بخلاف ما عرض في العصر من قول بعض المجتهدين فإنه يجب على كل واحد، ويكتفي في حصول الإجماع فيه بأن ينتشر ذلك القول ولا ينكر، فإنه قول قد كشف عن حصول الإجماع في العصر بخلاف الأمر في العصر[3].

* * *

---

١ ذكره

٢ الجويني (٤١٩ هـ ١٠٢٨ - ٤٧٨ هـ ١٠٨٥ م)

٣ قصر العلم، ص ٣١ - ٣

■ مبادي الشرائع

أما الكلام في المعجزات، فليس فيها لفظة من الفلاسفة قول إلا أن هذه كانت عندهم من الأشياء التي لا يجب التعرض للفحص عنها، وتبعا لمسائل فإنها مبادي الشرائع والفحص عنها والمشكك فيها يحتاج إلى عقول عندهم منزه من الفحص عن سائر مبادي الشرائع العامة مثل: هل الله تعالى موجود وهل السعادة موجودة؟ وهل القصد موجود؟ وأنه لا يشك في وجودها، وإن كيفية وجودها هو أمر إلهي معجز عن إدراك العقول الإنسانية.

والعلة في ذلك أن هذه هي مبادي الأعمال التي يكون بها الإنسان فاضلا ولا سبيل إلى حصول العلم إلا بعد حصول الفضيلة فوجب ألا يتعرض للفحص عن المبادي التي توجب الفضيلة قبل حصول الفضيلة، وإذا كانت الصنائع العملية لا تتم إلا بأوضاع ومصادرات يتسلمها المعلم أولا فأحرى أن يكون ذلك في الأمور العلمية[1].

ولذلك يجب على كل إنسان أن يسلم مبادي الشريعة وأن يقلد فيها، ولا بد من هذا الوضع لها، فإن جحدها والمناظرة فيها مبطلان لوجود الإنسان، ولذلك وجب قتل الزنادقة.

فالذي يجب أن يقال فيها أن مبادئها هي أمور إلهية تفوق العقول الإنسانية فلا بد أن يعترف بها مع جهل أسبابها، ولذلك لا تجد أحدا من القدماء تكلم في المعجزات مع انتشارها وظهورها في العالم؛ لأنها مبادي تثبت الشرائع والشرائع مبادي القصد، ولا قيمة لها فيما بعد الموت.

فإذا نشأ الإنسان على الفضائل الشرعية كان فاضلا بإطلاق، فإن تمادى به الزمان والسعادة إلى أن يكون من العلماء الراسخين في العلم فعرض له تأويل في مبدأ من مبادئها، فيجب عليه ألا يصرح بذلك التأويل وإن يقول فيه كما قال تعالى: ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به﴾ [آل عمران: ٧].

هذه حدود الشرائع، وحدود العلماء[2].

---

(١) الهامش: التهافت، ص ١٢١، ١٢٣.

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٤، ١٢٥.

فالصواب

أن تعلم الفرقة من الجمهور التي ترى أن الشريعة مخالفة للحكمة أنها ليست مخالفة لها.

وكذلك الذين يرون أن الحكمة مخالفة لها، من الذين ينتسبون للحكمة أنها ليست مخالفة لها، وذلك لأن يعرف كل واحد من الفريقين أنه لم يقف على كنههما بالحقيقة، أعني لا على كنه الشريعة ولا على كنه الحكمة، وأن الرأي في الشريعة الذي يعتقد أنه مخالف للحكمة هو رأي ما مبتدع في الشريعة لا من أصلها، وما رأي خطأ في الحكمة أعني تأويل خطأ عليها.

إن أصول الشريعة إذا تؤمنت وجدت أشد مطابقة للحكمة مما أول فيها، وكذلك الرأي الذي ظن في الحكمة أنه مخالف للشريعة يعرف أنه ليس في ذلك أنه لم يحط علما بالحكمة ولا بالشريعة، وإنما اضطررنا إلى وضع قول في مناهج الأدلة يعرف أصول الشريعة وإلى وضع قول على قصر المقال في موافقة الحكمة للشريعة.

إن الحكمة هي صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة وهما مصطحبتان بالطبع متحابتان بالجوهر والغريزة.[2]

* * *

---

١ مناهج الأدلة في عقائد الملة ص ٩٠ - ٩٥ نجم الدين محمود قاسم الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢ م

٢ فصل المقال ص ٧

شيخ الإسلام ابن تيمية
(٦٦١ - ٧٢٨هـ = ١٢٦٣ - ١٣٢٨م)

■ العقل في لغة المسلمين مصدر عقل يعقل عقلا وهو أيضا غريزة في الإنسان فمسماه من باب الأعراض لا من باب الجواهر القائمة بأنفسها

وعند المتفلسفة مسماه من النوع الثاني

وإن ما يثبته المتفلسفة من «العقل» باطل عند المسلمين بل هو أعظم الكفر فإن العقل الأول عندهم مبدع كل ما سوى الله والعقل العاشر مبدع ما تحت فلك القمر وهذا من أعظم الكفر عند المسلمين واليهود والنصارى

■ ومن أخص صفات العقل التي فارق بها الحس، أن الحس لا يعلم إلا معينا والعقل يدركه كليا مطلقا، لكن بواسطة التمثيل، ثم العقل يدركه كليا مع غروب الأمثلة المعينة عنه، لكن هي في الأصل إنما صارت في ذهنه كلية عامة بعد تصوره لأمثال معينة من أفرادها، وإذا بعد عهد الذهن بالمفردات المعينة فقد يغلط كثيرًا بأن يجعل الحكم إما أعم وإما أخص، وهذا يعرض للناس كثيرا

■ وإنما مبنى العقل على صحة الفطرة وسلامتها ومبنى السمع على تصديق الأنبياء صلوات الله عليهم

والأنبياء صلوات الله عليهم أكملوا للناس الأمرين فدلوهم على الأدلة العقلية التي بها يعلم المطالب الإلهية التي يمكنهم علمهم بها النظر والاستدلال وأخبروهم مع ذلك من تفاصيل الغيب بما يعجزون عن معرفته بمجرد نظرهم واستدلالهم وليس تعليم الأنبياء صلوات الله عليهم مقصورا على مجرد الخبر كما يظنه كثير من النظار بل هم بينوا من البراهين العقلية التي بها يعلم العلوم الإلهية ما لا يوجد عند هؤلاء المتفلسفة [illegible] فتعليمهم صلوات الله عليهم [illegible] مع الأدلة العقلية والسمعية جميعا، بخلاف الذين خالفوهم فإن تعليمهم غير مفيد للأدلة العقلية والسمعية مع ما في نفوسهم من الكبر الذي ما هم به [illegible]

■ والقياس الصحيح هو الذي نزل به الله ولا يجوز أن يخالف الكتاب والميزان فلا يخالف نص كتاب ولا سنة ولا إجماع والقياس صحيح لا فاسد شرعي ولا عقلي ولا يجوز قياس لا يدل الأدلة الصحيحة العقلية ولا القياس الشرعي الذي وضعه الشارع وعين شروطه صحيح يخالف نصا من النصوص وليس في الشريعة شيء على خلاف القياس الصحيح بل على خلاف القياس الفاسد ومتى تعارض في ظن الناظر نص الكتاب والسنة وقياس شرعي أو عقلي فاعلم أن الأمر ليس كما ظن فإن الحجة في نفس الأمر لا تكون إلا في النص الذي لا يكون إلا معصوما ولا يكون لا على مراد الله ورسوله. وأما ما احتج به من القياس فهو إما قياس شرعي وإما قياس عقلي فإن كان قياسا شرعيا فمقدماته أو كلها لا بد أن يرجع في الأقيسة من الأحاد المحتملة المشتبهة

وأبو حامد الغزالي ذكر في القسطاس المستقيم ثلاثة موازين الخمسة وهي منطق اليونان بعينه وعبارته

ولا يجوز أن يكون الميزان العقلي الذي أنزله الله هو منطق اليونان وحده

أحدها أن الله لم ينزل في كتابه كتابا يحيل اليونان على معرفته ولم يبعث نبيا من أنبيائه كموسى وغيرهم وهذا المنطق اليوناني وضعه أرسطو ٣٨٤ ٣٢٢ ق م فهو أحدث من جميع الأنبياء بأزمنة متطاولة فكيف كان لهم أن يعرفوا ما لم يعرفه الأنبياء

الثاني أن الإسلام مملوء بالحث على العقل وعلى النظر الصحيح الذي يسميه المنطقي اليوناني وأنت ترى أئمة الإسلام لم يكن أحد منهم يعرف شيئا من هذا المنطق اليوناني حتى جاء حنين (١٧٠ ٢١٨هـ ٧٨٦ ٨٣٣م) وغيره فعربوا هذه الكتب

الثالث أنا نعلم أن المنطق لم يحتج إليه أحد من علماء المسلمين في شيء من علومهم بل كل من كان أعلم بالكتاب والسنة وأقوال السلف كان أغنى عن المنطق وأبعد عنه وأنفر عنه

■ وكثير من الناس يظن أن المنطق والفلسفة لا يعلم كمال العقل والعلم إلا بها وهؤلاء بالنسبة إلى من هو أعلم منهم بالكتاب والسنة هم أنقص عقلا وعلما ومن خالف الكتاب والسنة من المتكلمين والمتفلسفة والمتصوفة وغيرهم فإنهم يتبين لكثير منهم بعد الموت وقبله بقليل

مع هذا بإثبات الحسن والقبح العقليين وهذا قول الحنفية ونقوه بعض عن أبي حنيفة (٨٠ ١٥٠هـ - ٦٩٩ - ٧٦٧م) نفسه، وهو قول كثير من الحنابلة والشافعية والحنبلية كأبي الحسن البصري سنة ٣٧١هـ) وأبي الحسين، وغيرهما من أئمة أصحاب أحمد بن حنبل ١٦٤ ٢٤١هـ = ٧٨٠ ٨٥٥م) - وكأبي علي بن هبيرة ٤٢٥هـ) وأبي بكر القفال الشاشي (سنة ٣٦٥هـ) وغيرهم من الشافعية وكثير من أصحاب مالك ٩٣ ١٧٩هـ ٧١٢ ٧٩٥م وكثير من أهل الحديث كأبي نصر السجزي سنة ٤٤٤هـ وأبي القاسم سعد بن علي الزنجاني سنة ٤٧١هـ وغيرهم

من هؤلاء من ذهب إلى أن ذلك مما يدرك بالعقل كالحسن والقبح في الأفعال عند أبي الحسن الأشعري (٢٦٠ ٣٢٤هـ ٨٧٠ ٩٣٦م) ومن وافقه من المعتزلة في مقدار تحريق أجسامهم بالصواريخ ١٢٨هـ ٧٤٥م ونحو ذلك، ومنه الخبر الذي هو أبقى فعلوا ولا قبح الحسن والقبح بمعنى صفة الكمال والنقص من يقبح ذلك من سفه الأحلام ولا أصلاً، بل ما ورد من كلام الأئمة والسلف في تعليل الأحكام وإثبات حكمة الله في خلقه وأمره ونهيه من نحو قول الله تعالى من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ونحو ذلك مما يعلم بالعقل أن الله تعالى أمر به ونهى عنه لما في المأمور به من الحسن الذاتي والمنهي عنه من القبح الذاتي

والنفاة ليس لهم حجة في النفي أصلاً وقد استقصى أبو الحسين البصري (٥٥١ ٦٣١هـ) ما ذكروه من الحجج، وبين أنها عامتها فاسدة

وقد يتصور أن يكون الفعل صفة كمال أو صفة نقص أو ملائماً للغرض أو منافراً له فيقع بالقصد وهذه صفات للفعل وهي قائمة بالموصوف

ومن الناس من يظن أن الحسن والقبح صفة لازمة للموصوف بها في نفسه كالحسن صفة لازمة له فيستحيل عندهم أن يأمر الله بقبيح أو ينهى عن شيء حسن في حال فيجب أن يكون ما قد يصير واجباً وقبيحاً قد وجب وقبح في حال والحسن والقبح يرجع إلى هذا وكذلك يكون الحسن في حال وسيئاً في حال باعتبار تغير الصفات

والحسن والقبح من أفعال العباد يرجع إلى كون الأفعال نافعة لهم وضارة لهم وهذا مما لا ريب فيه أنه يُعرف بالعقل وقد اختار الرازي ٥٤٤ ٦٠٦هـ - ١١٥٠ ١٢١٠م في جمهور ما ذكره أن الحسن والقبح للعقيدة قد يقع في أفعال

العبد، أن تتوب في حق الله تعالى فيما بينه وبين محمد ﷺ ورضاه وغضبه وسخطه، وفرحه بتوبة تائب، ونحو ذلك.

«... وأما العقل فمن صفات العقل عند الإنسان أن يعلم أنفع الأشياء له ويفعله، وأضر الأشياء له ويتركه، وأن يؤثر الحسن على القبيح، والمرتبة الحسنة هو الإيثار فكيف يقال عن الإنسان لا تميز بين الحسن والقبيح؟ وهو عند تفاضل العقلاء لا يعرفه أحد من هذا من وصف الإنسان بأنه من أنصف الصفات بحسب وبغير عن بتصفه بالتقدم في الخير فيقال الإنسان ذي سمع كلامه ورؤيته وهو يبصر ويسمع كلامه

... أن العقل يحب الحق ويبغضه ويحب الخير ويبغض الشر ويحب الشكر والكرم هي من العقل ... ولا يلتبس قبح عصمة موسى بحسن عبادة عصا موسى بحسن ... وقبح عصيان فرعون بحسن ... ونحو هذا الكلام صدق

... فقد كان كثير من الناس يسرع إلى الكفر في الخبر الذي يتضمن وصف الله بما يختص به أو وصف غيره بما يختص به ويرى أن هذا يقتضي التشبيه والتجسيم ... وهذا كثير في الناس حتى من الناس من يكفر من يقول إن الله يتكلم بصوت أو يرى في الآخرة أو يقول إن القرآن غير مخلوق أو يقول إن الله فوق العرش ونحو ذلك من المسائل التي يقول فيها السلف والأئمة قولهم المعروف ...

■ ... وأما السمع فلا ريب أن العلم والإيمان بما جاء به الرسول من الأدلة العقلية التي يحتج بها في العلم لا يقدح فيها من هؤلاء المتفلسفة والمتفسقة – قدره ونهاية ما ذكروه جاء القرآن بخلافه على وجه ... وذلك كثير ... مضمونة التي ذكرها الله في كتابه التي ذكر فيها ...

... ٢٣ ... ٣٢٣ ٣١٧ ... ٣٠٢ ٣٢ ... ٣٠ ... ٢٢ ٢٢

٢٩، ٣ ٢٢ ... ١٠٥ ... ١٠٥ ...

٣٢ ابن تيمية ... ص ٣٢ ... ٣٢ ...

للناس في هذا القرآن من كل مثل ﴾ [الروم، ٥٨] على الأمثال المضروبة في الأنفس
المعقدة سواء كانت قياس شمول أو قياس تمثيل، ويندرج في ذلك ما يسمونه
برهان، وهو القياس الشمولي المؤلف من المقدمات اليقينية.

■ وإن قيل: تعارض الدليلان سواء كان سمعيين أو عقليين أو أحدهما سمعيًا
والآخر عقليًا، فالواجب أن يقال: لا يخلو إما أن يكون قطعيين أو يكون ظنيين
وإما أن يكون أحدهما قطعيًا والآخر ظنيًا، فأما القطعي فلا يتصور تعارضهما
سواء كانا عقليين أو سمعيين أو أحدهما عقليًا والآخر سمعيًا، وهذا متفق عليه
بين العقلاء لأن الدليل القطعي هو الذي يجب ثبوت مدلوله ولا يمكن أن تكون
دلالته باطلة، وحينئذ فلو تعارض دليلان قطعيان وأحدهما ينفي مدلول
الآخر لزم اجتماع النقيضين وهو محال من كل ما يتعقله العقلاء، وأما
الدلائل التي يعتقد أنها قطعية فلا يمكن أن يكون الدليلان اللذان أحدهما غير قطعي
أو لا يكون مدلولاهما متناقضين، فأما مع تناقض المدلولين المعلومين فيمتنع
تعارض الدليلين.

وإن كان أحد الدليلين المتعارضين قطعيًا دون الآخر فإنه يجب تقديمه
باتفاق العقلاء سواء كان هو السمعي أو العقلي، فالنص لا يرفع النص
وإن كان كل منهما ظنيًا فإنه يصار إلى ما ظن أنه راجح منهما، فإنه
ترجيح كل هو مقدم سواء كان سمعيًا أو عقليًا.

ولا عبرة بمن لا يقول بالنص السمعي لأنه يكون ضعيفًا وجنسه متفقًا
على كونه دليلًا وإنما لا يتبعه لأنه يعتقد أنه معارض بما هو أقوى منه، فيكون
ضعيفًا لا لكونه عقليًا ولا لكونه أصلًا للسمع.

■ وكذلك ما يقدم عليه من ظن غير قطعي سمعي يشتبه أن يعارضه قطعي عقلي

إن ادعى تعارض نص بين ظني العقلي والسمعي وجد ذلك في كلام
معلوم بالضرورة وهو خلاف ما اتفق عليه العقلاء وجنسه فيكون
أحق من وجوده.

وحيث ادعى تعارض النقل والعقل فإن أريد به القطعيان فلا نسلم
ذلك، وإن أريد به الظنيان فالمقدم هو الراجح منهما وهذا

ان يريد به ما احدهما قطعي، فيقطعي هو المقدم مطلقا، وان كان العقلي هو القطعي كان تقديمه لكونه قطعيًا لا لكونه عقليا، فعلم ان تقديم العقلي خطأ، كما أن جعل جهة الترجيح كونه عقليًا خطأ.

الوجه الثاني ان يقال لا نسلم انحصار القسمة فيما ذكرتموه من الاقسام الاربعة، بل هناك قسم خامس وهو تقديم العقلي مطلقا والسمعي اخرى فيهما كان متقدما، وان كان السمعي قطعيا فتقديم العقلي عليه لتعارضهما والراجح هو المقدم فدعوى المدعي انه لابد من تقديم العقلي مطلقا او السمعي مطلقا او الجمع بين المتناقضين او رفعهما المتناقضين دعوى باطلة، بل هذا قسم ليس من هذه الاقسام كما ذكرتموه، بل هو القول الذي لا ريب فيه.

الوجه الثالث قوله ان قدم السمعي كان طعنا في صحة ما هو به يعلم فيكون الطعن فيه غير مسموع وذلك لان قوله ان العقل اصل لمعرفة صدق الرسول وانه اصل في ثبوته في نفس الامر وصدقه في نفسه وصحته وانه لا يكون عاقلا كما هو ثابت في نفس الامر بنفسه ويعرف هو ذلك بنفسه وعلمه بنفسه وبغيره بعقله ثبوته او لم يعلم ثبوته لا يعقل ولا يعرف عدم ذلك من نفس عدمه وعدم علمه بالحقائق لا تبقى ثبوتها في نفسها فعلم بطلان قوله: هو ثابت في نفس الامر، سواء علمنا صدقه ولم نعلم ومن ارسله الله تعالى إلى الناس فهو رسوله، سواء علم الناس انه رسول او لم يعلموه وما اخبر به فهو حق وان لم نصدقه نحن وما امر به عن الله فالله امر به وان لم يطعه الناس، فخبر الرسول في نفسه وبعد صدق الرسول وثبوت ما اخبر به في نفس الامر ليس موقوفا على عقولنا او على الادلة التي نعلمها بعقولنا وهذا كما ان وجود الباري تعالى وما يستحقه من الاسماء والصفات ثابت في نفس الامر سواء علمناه او لم نعلمه فليس دليل العقل ليس اصلا لشيء يثبت في نفسه، ولا معلوما به صحته ثم نكل له ولا معلوما به صفة كمال يعلم بها مضمون المعلوم السمعي عن العلم ثابت به ليس هو من فعل العلم به على

احدهما العقلي وهو ما كان شرطا في حصول المعلوم، كحصول احد النقيضين بعينه، فالمعلوم هنا متوقف على علم به، محتاج إليه

والثاني الحسي الضروري وهو ما كل معلوم غير مفتقر في وجوده إلى العلم به، كعلمنا بوجودنا لله تعالى وسبحانه وصفاته وصدق رسله وملائكته وكتبه وغير ذلك فإن هذه المعلومات ثابتة سواء علمناها أو لم نعلمها فهي مستغنية عن علمنا بها والشرع مع العقل هو من هذا القبيل، فإن الشرع المنزل من عند الله ثابت في نفسه، سواء علمناه بعقولنا أو لم نعلمه وهو مستغن في نفسه عن علمنا وعقلنا ولكن نحن محتاجون إليه وإلى أن نعلمه بعقولنا، فإن العقل هو علم ما هو عليه شرع في نفسه صالح لأن يتصف به من الأمور التي يحتاج إليها في دنياه وآخرته وتتفاضل بعلمه وإعماله بل صفة لم تكن به قبل ذلك، ولو لم يعلمه لكان جاهلا ناقصا.

وأما إذا أراد أن العقل أمر غريزي طبيعي وليس بمكتسب على صحيح وهو هو الذي أراده فيقال له أتعني بالعقل هنا الغريزة التي فيه؟ أم العلوم التي استفدناها بتلك الغريزة؟

فإن الأول فلم ترده ولم يتنازع فيه لأن الغريزة ليست محل التكليف بالتعارض بينها وبين الشرع في كل علم عقلي إذ السمعي كالحدود وإن كان يتوقف في الشيء أحيانا لتوقفه على الغريزة شرعا في كل العلوم سمعيها وعقليها فالسمع إن لم يكن متوقفا عليها وهي بعض شرط في الأعم الحاصل بالاستدلال وإن لم يكن العقل متوقفا عليه ومعارضا له.

وإن أردت بالعقل الذي هو دليل السمع وأصله المعرفة الحاصلة بالغريزة فيقال لك: ليس كل ما يعرف بالعقل يكون أصلا للسمع ودليلا على صحته فإن معارف العقلية كثيرة جدا كالعلم بالصانع والعلم بصحة السمع وغيره إن توقف على ما لا يعلم صدق الرسول إلا به من العلم بما يعلم به الله تعالى أرسله، فمن إثبات الصانع وصحة الرسول وغيره لا يعلم إلا بالعقل وإن كان كذلك لم تكن جميع المعقولات أصلا للسمع لا بمعنى توقف العلم بالسمع عليها، ولا بمعنى دلالته على صحتها، ولا بغير ذلك لأن عدد المتكلمين في الأصول أو أكثرهم كالأشعري في جمهور كتبه وكثير من أصحابه بل وأكثرهم كالأستاذ أبي المعالي الجويني (٤١٩ هـ ٤٧٨ هـ = ١٠٢٨ م ١٠٨٥ م) ومن بعده ومن وافقهم الذين يقولون العلم بصدق الرسول على ضروب معجزات النبي يحرق

مجرى تصديق الرسول علم ضروري فحينئذ ما يتوقف عليه العلم بصدق الرسول من العلم بمعنى سيرد بسببه العلم بصدق الرسول به طرق كثيرة متنوعة وحينئذ فما كان يحتاج من السمع من المعقولات مما لا يتوقف العلم بصحة السمع عليه لم يكن القدح فيه قدحا في السمع وهذا بين واضح وبهذا تعلم أن القدح في بعض العقليات قدح في السمعيات كما أنه ليس كل قدح في بعض السمعيات قدحا في جميعها ولا يلزم من صحة بعض العقليات صحة جميعها كما لا يلزم من صحة بعض السمعيات صحة جميعها وحينئذ فلا يلزم من صحة المعقولات التي تتبين قبل معرفة السمع صحة غيرها من المعقولات ولا من فساد بعضها فساد الباقي فصلا عن صحة العقليات التي يتوقف السمع عليها فكشف بعض ما يلزم من صحة المعقولات التي هي مبادئ السمع صحة المعقولات التي يتوقف السمع عليها فإن السمع لا يعلم إلا به والعلم بالسمع لا يتوقف العلم به بل السمع لا يوجد إلا مع العلم به وهو ملزوم له والعلم به يستلزم العلم بالسمع والمعارض للسمع يمتنع أن يعارض ما يتوقف عليه العلم بأن السمع حق وما يلزم من ثبوت ملزوم شيء ثبوت لازمه

وبكل حال فالصحيح هو القول بأن المعقول الذي لا يتوقف العلم بصحة السمع عليه لا يقدح فيه بحال سواء كان صحيحا أو فاسدا ومعلوما أو مجهولا فإن السمع لا يستلزم صحة بعض اللوازم له لا صحة جميع ما يدعى أنه من لوازمه فالمعقول الذي لا يتوقف عليه السمع قد يكون لازما للسمع وقد يكون ملزوما له وقد يكون لا هذا ولا هذا وما كان شرطا في العلم بالسمع وموجبا له فهو لازم للعلم به، بخلاف ما يدعى أنه لازم له فإنه قد يكون هو نفسه شرطا في صحته فلازم الشيء قد لا يكون شرطا فيه فلا يلزم من فساد السمع على تقدير أن المعقول الذي ليس شرطا في السمع قادح فيه

وقد تبين بهذا أن جميع ما ذكره من الدلائل التي زعم أنها تقدح في كلام الله ورسوله

وأما قول من يقدم على السمع المعقولات التي ليست شرطا في صحة السمع

فمن أقبح الأمور وأشنعها وأسخفها فإنه ليس فيما يعارض السمع شيء من المعقولات التي يتوقف السمع عليها، فإذا كل ما عارض السمع مما يسمى معقولا ليس صالحا لمعارضة السمع الذي يتوقف العلم بصحة السمع عليه، فلا يكون القدح في شيء من المعقولات قادحا في صحة السمع

(الوجه الثاني) إن جمهور الخلق يعترفون بأن المعرفة بالصانع وصدق الرسول ليس متوقفاً على ما يدعيه بعضهم من العقليات المخالفة للسمع والواضعون لها [illegible] كأبي حامد (٤٥٠ - ٥٠٥هـ = ١٠٥٨ - ١١١١م) والرازي وغيرهما معترفون بأن العلم بصدق الرسول لا يتوقف على العقليات المعارضة له [illegible] كأبي حامد والشهرستاني (٤١٩ - ٥٤٨هـ = ١٠٨٦ - ١١٥٣م) وأبي القاسم الراغب (٥٠٢هـ = ١١٠٨م) وغيرهم يقولون العلم بالصانع فطري ضروري [illegible] وغيرهم من [illegible] العلم [illegible] بالاضطرار [illegible] معلوم بالاضطرار [illegible] بصدق الرسول [illegible] المعجزات [illegible] بمعارضتها [illegible] معلوم بالاضطرار [illegible] السمعيات [illegible] من [illegible] الصانع [illegible] وتصديق رسوله [illegible] هذه الأصول العقلية التي بها يعلم السمع [illegible] هذه الأصول [illegible] السمع [illegible] الأدلة العقلية على [illegible] الصانع [illegible] وقدرته [illegible] الرسول [illegible] يوجد في كلام النظار فليس فيه ولله الحمد ما يناقض الأدلة العقلية التي بها يعلم صدق الرسول [illegible] العلم بالصانع نظرياً يعرف كثيرهم [illegible] من الطرق النظرية التي بها يعلم صدق الرسول [illegible] السمعيات.

■ [illegible] الرسول [illegible] كما كان أولى بالمتقين [illegible] المتقين [illegible] المعقول [illegible] أولى [illegible] السمع [illegible] أصحاب [illegible] [١٠]

■ [illegible] الرسول [illegible] في معرفة الله [illegible]

■ [illegible] الأدلة العقلية الصحيحة [illegible] الضرورية [illegible] الرسول [illegible] الأدلة العقلية [illegible] موافقة للسمع [illegible] السمع [illegible] ولله الحمد [illegible] ذكره [illegible] الطوائف [illegible] طائفة من طوائف النظار [illegible] ذكر أحد منهم في مسألة دليلاً صحيحاً [illegible] الرسول [illegible] حتى الفلاسفة [illegible] ما يذكرونه [illegible]

صحيح عقلي فيه لا يخالف ما اخبرت به الرسل، بل يوافقه وكذلك سائر ما يذكره النظار من أهل الكلام والنسب لا يذكرون دليلا عقليا في مسألة إلا والصحيح منه موافق لما جاء به الرسول يعلم ذلك من تدبره ليس مخالفا لأخبار الأنبياء ومن خالف الأنبياء فليس بيده عقل ولا سمع كما أخبر الله عنهم بقوله تعالى ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير﴾ [الملك ٨ - ١١]

■ فإن قالوا لا يتصور أن يعلم المخبر بما ينافي العقل، فيه ميزة عن ذلك، وهو ممتنع عليه

قيل لهذا أقر لكم بامتناع معارضة الدليل العقلي السمعي

فإن قالوا إذا ورد ما يعارضه من الدليل السمعي دل على بطلان ذلك الدليل العقلي الذي عارضه السمعي

قيل هذا هو الذي نقوله في الأدلة السمعية التي تعارض العقلية كما نذكر ذلك في موضعه وكما نبين احتمال اللفظ للتفسير فنقول

قيل لهم السمع الذي تسمعونه ليس هو الدليل في نفس الأمر بل غايته أن يظن أو يعلم أنه دليل وليس بدليل في نفس الأمر، فإن دلالته على المعارض للشرع بما ليس بدليل في نفس الأمر إنما هو لظن أنه دليل وليس بدليل، وحينئذ فمتى قدر أنه ظهر عقلا أو قواطع عقلية وهو ليس بدليل في نفس الأمر، أو دلالته ضعيفة لم تعارض ما هو دليل سمعي يستحق أن يسمى دليلا لصحة مقدمته وكونها معلومة وإذا كان غاية الدليل السمعي عند الضرورة والقطع انعدلاء

فقد تبين أنهم بأي شيء قدروا الحس الدليل الذي رجحوه أمكن تقدير الحس الآخر بنظيره، وترجيحه كما رجحوه، وهذا لأنهم وضعوا وضعا فاسدا حيث قدموا ما لا يستحق التقديم لا عقلا ولا سمعا وبنوا ذلك على تقديم الحس على الخبر، وهذا مما يعلم بالاضطرار في غير موضع، فإن الحس قد يغلط والخبر قد يكون صدقا وهو المسموع، فإذا تعارضا وجب تقديم الخبر بتقديم العقل فضلا عن الحس وصدقا

■ فيدا عم الرحمن بالعقل أن هذا رسول الله، وعلم به أخبر بشيء، ووجد في عقله ما يدل عليه يوجب علمه بأن كل ما يعلم مواقع الشرع إن هو هو العلم به والإقرار به على قوله ويعلم بعقله قاصر بنفسه أنه وارد عن الله تعالى وعن صفته وصفته وبوم الآخر منه وإن لم يقع بنى يشهد في العلم بذلك أعظم من الشهود بنى بين العامة وهو يعلم بالضرورة أن عقله يوجب عليه ... يعتقد أصبح فيما أخبره به عن مقدار من الأعداد والأشربة والأصباغ وحسابات واستعمالات على وجه مخصوص، مما هو في بعض من تكلفه وأنه بصفة ... هذا علم ضروري وإن لم يصفه كل بشر على حصول استواء مع علمه بأن الصبر يحصى كثيرا، وأكثر من جنس لا يسقى به بصفة الصبر من يكون يستحيل أن يكون ستة في هلاكه ومع هذا يعلم قوته ويفسد بين كل طبه واحد بد يخالف وصفه فكيف لم يعلم الرسل عليهم الصلاة والسلام – والرسل صادقون، مصدقون، لا يجوز أن يكون خبرهم على خلاف ما أخبروا به قصدوا إلى أن يعارضوا فوليم بعقولهم عندهم من الجهل والضلال ما لا يحصيه إلا الله الحلال، فكيف يجوز أن يعارض ما لا يحصى قط بما لم يُصب في معارضة له قط؟

■ إن كون الشيء معلوما بالعقل وغير معلوم بالعقل ليس هو صفة لازمة لشيء من الأشياء، بل هو من الأمور النسبية الإضافية فما يعلم بعقله ما لا يعلمه بكر بعقله، وقد يعلم الإنسان في حال عقله ما يجهله في وقت آخر والمسائل التي يُقال قد تعارض فيها العقل والشرع جميعها مما اضطرب فيها العقلاء، ولم يتفق فيها على أن موجب العقل كذا، بل كل من العقلاء يقول ... العقل بيت وموجب أو شرع ما يقول الآخر ... العقل بقاؤه أو حدثه وسمع منه في الآخر بنهم أن يتسارع فيما يقوله أنه من معلوم الضرورية فيقول هذا يعلم بالضرورة العقلية ما يقول الآخر به غير معلوم ولا ضروري بل يعلم كما يقول كثير العقلاء يعلم بالضرورة بعقله امتناع وجود ما يعلم غير معقولة ووجود ما يقول طائفة من العقلاء ... ذلك ممكن ويقول كثير العقلاء ... يعلم بضرورة عقله أن هذا ليس بممكن ويقول طائفة من العقلاء ... ممكن، ويقول أكثر العقلاء أكثر ... موصوف عندهم بالا يعلم قدرة الله بالحسبة ممتنعة في ضرورة العقل والحق ... في ... ويقول أكثر العقلاء

ن كون لشيء واحد امرا يهب خيرا ممنع في ضرورة العقل واخرون يتنازعون
في ذلك ويقول كثير العقلاء ان كون العقل والعاقل والمعقول والعشق والعاشق
والمعشوق والوجود والموجود والواجب والواجب امرا واحدا هو ممتنع في ضرورة العقل
واخرون يتنازعون في ذلك ويقول جمهور العقلاء ان وجود ينقسم الى واجب
وممكن وقديم ومحدث وان لفظ الوجود يعنيه ويتناولهما فهذا معلوم بضرورة
العقل، ومن الناس من يتنازع في ذلك وجمهور العقلاء يقولون اثبات موجود لا
ليس بداخل العالم ولا خارجه ولا مباينا له ولا محايثا له امر ممتنع في صريح العقل
وهذا باب
واسع فلو قدر ان قديم العين على الشرع وليس يعلم بالعقل ان واجب بنفسه
ولا عليه دليل معلوم للناس بل غاية ما عندهم الاستدلال بالحدوث على ان
للعالم محدثا لا يستدل بالصفة على الموصوف ومعرفته ولا بالمعلول على العلة ومن تنازع
فيه في نفسه فهو في الصريح وهذه صفة لازمة له لا تختلف باختلاف احوال
الناس والعلم بذلك ممكن وقد ادعى الرازي ان هذا
مما تنازع فيه الكتاب والسنة كما قال تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول
الرسول وقوله فاحكم بما انزل الله اليك وقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول
واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا [النساء ٥٩] فأمر الله المؤمنين عند التنازع ان يردوا
الى الله والرسول وهذا يوجب تقديم السمع وهذا هو الحق ان الرد الى غير ذلك
من عقول الرجال وآرائهم ومقاييسهم وبراهينهم لم يزدهم هذا الا اختلافا
واضطرابا وشكا وريبا وبيانا ان الله تعالى لم يكن الله قد فعل ذلك
ضلوا وضلوا ربهم فكذب بعض الناس بعضا يحكم بين الناس فيما فيه اختلفوا
عاد الله كذب حاكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ولا يمكن الحكم بين الناس
في امور النزاع والاختلاف الا بكتاب منزل من السماء

ولا ريب ان بعض الناس قد يعلم بعقله ما لا يعلمه غيره وان لم يمكنه بيان
ذلك بغيره وكل ما علم بضرورة العقل لا يتصور بقرضه بشرط بثبته بل
العقول الصحيحة لا تعارضه بمعقول صريح قط وقد ذكرت ذلك في غامة ما
تنازع الناس فيه فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة الصريحة شبهات
فاسدة يعلم بالعقل بطلانها، بل يعلم بما يقتضيه العقل قطعا ان ما يتنازع فيه
في الشرع الاصول نوعان كتاب منزل وفطرة ومعقول والكتاب والميزان

والعقد وغير ذلك ووجب ان يعلم بصريح العقل ثم ما خالفه سمع فهو من السمع الذي يقال انه يخالفه اما حديث موضوع او دلالة ضعيفة فلا يصح ان يكون دليلا او خبرا عن معارضة العقل الصريح فكيف اذا خالفه صريح المعقول ولا يعلم حديث واحد يخالف عقلا ولا سمعا الصحيحا الا وهو عند الخبير بعلم ضعيف من موضوع وبحسب تتبع الناس لا يتعذر بعد الان العقول بل بمعذرة لعقل فلا يجوز ان يعلم المقدور على تحريره ثم يتعذر العلم على معرفته .

■ ولكن غاية ما يورد التعارض هو من الامور الخفية عند التي تحار فيها كثير من العقلاء، كمسائل سماء الله وصفاته وافعاله وما بعد الموت من الثواب والعقاب والجنة والنار والعرش والكرسي، وعامة ذلك من امور الغيب التي يقصر عقول اكثر العقلاء عن تحقيق معرفتها بمجرد رأيهم وهذا كل عامة الخائضين فيها بمجرد رأيهم إما متأولين مخطئين واما متهوكين متسرعين وغايتهم ان يروا ان الحق في نفي ذلك وهم يرون ان اثباته يستلزم التحقيق معاني لا يفهمون فيه يقولون من عقلت معقولة بصريح العقل ما هو موجود في نفسه بعلماء الامة شيوخ الحديث كابي حنيفة والشافعي ١٥٠ هـ/ ٧٦٧م ٢٠٤ هـ/ ٨٢٠م ومالك واحمد وغيرهم يجدهم دائما يجدون في كلامهم ما يراه هو باطلا، وهو يقف في رد ذلك لاعتقاده ان قائله اكمل منه عقلا وعلما، ولا يجد احد من هؤلاء يكون ما يعارض قول وقول متبوعه في مسألة قولي مضافا بكسر الباء الى جبل ابو في جبل قول متبوعه وان نقيضه أرجح منه قدمه لاعتقاده أن الخطأ جائز عليه فكذلك يجد في كلام الله وسنة رسوله الصحيحة الثابتة عنه ما يعلم بعقله وعقول العقلاء بطلانه ويكون كثير من اشتباه عليه شيء مما اخبر به النبي ﷺ فهم انه على خلاف ما ارسل به في هذا الباب التي هي فيها من يحسن فيها يجتهد له في الاستعاذة بالله والاستصاءة بنور الله الذي ارسل به رسله انزل به كتبه، مع علم كل احد بقصوره وتقصيره في هذا الباب ويقع هذا من اصحابه وغير اصحابه من الاصطراب

فهي الخصومة النصوص الثابتة في الكتاب والسنة لا تعارضها معقول قط ولا تعارضها الا شبهة فاسدة وصاحبها وان علم انه حق لا تعارضه فيه اضطراب واشتباه لم يعلم انه حق

س نقول قولا عاما كلنا إن النصوص الثابتة عن الرسول ﷺ لم تعارض قط صريح معقول فضلاً عن أن يكون مقدما عليه وما ادعي فيه رضها شبه وخيالات مبناها على مقدمات مشتبهة وألفاظ مجملة فتحتاج في الاستفسار والبيان حينئذ إلى عرضها على ما يوجد بها سواها لأن العقل

■ ونقول بتقديم الإنسان لمعقوله على المنصوص سيرة قد لا ينضبط وبذلك أهل الكلام والفلسفة الخائضين المتدرعين فيما يسمونه عقليات كما منهم يقول إنه يعلم بضرورة العقل وبمجرد تفيضه وهذا من أعظم المعلوم فالمعتزلة وغيرهم تسعة أعشار السبعة يعلمون بضرورة العقل أن الصفات والكلام ونحو ذلك مما يسمونه توحيدا وبقدر يعلمون بضرورة العقل أن الله، ومن أطلقهما ومن صدهما يقولون إن الكلام لمحض هو ما كان معلوما بمجرد سماع كلام الرسول والكلام في هذه الأمور مما يحتاج فيه إلى النظر والاستدلال ويتنازع الخائضون فيه، وكل من له نظر عقلي وبيان فيهم من الذكاء والعقل والمعرفة ما هم معترفون به على كثير مما يدعونه هم عقليا فإن بعض المتكلمين يقول إن بعض الصفات يعلم بالعقل بضرورة العقل وآخر يقول يعلم بضرورة العقل لا بضرورة العقل وهم متفقون في الأصل الذي يرجع عليه بالنقض في النصوص كلها وهو دعواهم أن العقل يعلم بالضرورة كذا وكذا مسألة كجوهر الفرد وتماثل الأجسام وبقاء الأعراض وغير ذلك فكثير من العقلاء ينازعهم في ذلك ويقول لا نسلم أن العقل يعلم بالضرورة ما ذكرتموه ثم كل من كان عن معرفته أبعد كان النزاع معه أكثر لاختلاف مقدماتهم التي يدعون أنها معلومة بالضرورة كما يختلفون في المقدمات النظرية وكل من تصور ما يقوله الرسول ﷺ وأصحابه من السنة والكتاب علم بالضرورة أنه كما يقول سبحانه وتعالى كونه حقا عليما قديرا، وتشهد له الأدلة ولا يعلم أحد أفصح في البيان ويبين خيرا أو حد وقياس ولا يؤثمون المجتهدين وغيرهم

ثم بين خطأ من خطأ وحسبنا الله ونعم الوكيل في الحسن البصري ت ٣٠ هـ ٩١٨م من البدع ما هو معروف

وأما السنة فالعلم بها وخلاف من خالفها بالضرورة كالعلم بسائر ما يعلم من أحوال الناس وسيرهم

واما الفلاسفة فلا يخلو جميع من هم عصم اختلاف من جميع صنوف المتكلمين و سيوف والمصدرين و فلسفة التي ذهب اليها الفارابي (٢١٠ ٣٣٩هـ /٨٧٤ ٩٥٠م) وابن سينا (٣٧٠ ٤٢٨هـ /٩٨٠ ١٠٣٧م) نجد في فلسفة بعضهم ابتداع رسوم صحة التعليم وبينه وبين سلفه من النزاع والاختلاف ما يطول وصفه

واما سائر طوائف الفلاسفة فمن حكى اختلافهم في علم الهيئة وجده يكاد يعظم من اختلاف كل طائفة من طوائف اهل ملتهم وانهيئة عظم رد صيني حسابي هو من اصح علومهم وما كان هذا اختلافهم فيه فكيف بما اختلافهم في الطبيعيات و سموه، فكيف بالالهيات وعتبر هذا بما ذكره ابن سينا عنهم في العلوم الرياضية و نصه كما نقله الأشعري في كتابه في مقالات غير الإسلاميين، وما ذكره القاضي ابو بكر (ابن العربي (٤٦٨ ٥٤٣هـ /١٠٧٦ ١١٤٨م) عنهم في كتابه في الدقائق، فإن في ذلك من اختلاف عنهم ضعف ضعف ما ذكره الشهرستاني وأمثاله ممن يحكي مقالاتهم فكلامهم في العلم الرياضي الذي هو اصح علومهم انفسه، قد اختلفوا فيه اختلافا لا يكاد يحصى، ونفس الكتاب الذي اتفق عليه جمهورهم، وهو كتاب المجسطي لبطليموس (٩٠ ١٦٨م) فيه قضايا كثيرة لا تقوم عليها دليل صحيح، وفيه قضايا ينازعه فيها فيه وفيه قضايا مبنية على رصاد منقولة عن غيره تقبل الغلط والكذب وكذلك كلامهم في الطبيعيات في الجسم وهل هو مركب من المادة والصورة أو الأجزاء التي لا تنقسم؟ أو ليس بمركب لا من هذا ولا من هذا؟ وكثير من حذاق النظار حار في هذه المسائل حتى ذكر ابن الهيثم البصري، وابي الشعشاني بطوس، وابي عبد الله محمد ٧١٠ ٧٨١هـ /١٣١٠ ١٣٧٩م، وهو في عداد المتأخرين ذكر قولين في ذلك وفي كل منهما يعارضه بما اخره في الوجه من هؤلاء ويعترض عليه بمثل ما اعترض في كل منهما وحكى ذلك عنه وتارة يذكر عنه مع بعدهم عن علوم الطبيعة فضلا عن علوم الدين لا يحسنه المتخصص

وهذا كثير في مسائل الهيئة وهي اجود ما عند الرياضيين في هذا الباب وغيره من العلوم، فما ظنك بالعلم الإلهي وما ضل فلسفة من عقل بما لا يحسون فيه من سفير وما سلكته فيه الأوهام والأذهان بكثير

الفضلاء العارفين بالكلام والفلسفة [illegible] وبالتصوف [illegible] لم يحققوا [illegible] الرسول تحدهم فيه حيارى كما [illegible] الشهرستاني في أول كتابه [illegible] أي من أشارته علم وصاعته [illegible] له من مشكلات الأصول [illegible] ذوي العقول [illegible] [illegible]

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائر ... على ذقن أو قارعا سن نادم

وأنشد أبو عبد الله الرازي (٥٨١هـ/ ١١٨٥م) في غير موضع من كتبه [illegible] من كتاب (أقسام اللذات) [illegible] ما ذكر أن هذا العلم أشرف العلوم وأنه ثلاث مقامات العلم بالذات، والصفات، والأفعال، وعلى كل مقام عقدة، فعلم الذات عليه عقدة هل الوجود هو الماهية أو زائد على الماهية؟ وعلم الصفات عليه عقدة هل الصفات زائدة على الذات؟ أم لا؟ وعلم الأفعال عليه عقدة هل الفعل مقارن للذات؟ أو متأخر عنها؟ ثم قال: ومن الذي وصل إلى هذا الباب، [illegible] هذا [illegible] ثم أنشد:

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قال وقالوا

[illegible] الفلسفة [illegible] عقلا [illegible] تروي عقلا [illegible] على [illegible]

[illegible] [illegible] ٦٥ [illegible]

وكان [illegible] (٥٨٦ - ٦٥٥هـ/ ١١٩٠ - ١٢٥٧م) من [illegible] المعتزلة المتفلسفة [illegible] في هذا الباب، كقوله

فيك يا أغلوطة الفكر ... حل أمري وانقضى عمري

سافرت فيك العقول فما ... ربحت إلا أذى السفر

فنجى الله الأبي زعموا ... أنا المعروف بالمطر

كذبوا إن الذي ذكروا ... خارج عن قوة البشر

هذا مع السادة

وحقك لو دخلت النار قلت ... للذي بها قد كنت ممن يحبه

وأفنيت عمري في علوم كثيرة ... وما يعنيني إلا رضاه وقربه

ما قلت من كان قلبا مجاهدا ... سيكرم مثواه ويعذب شربه

وله حب الصبا أن يعذب الأسى ... إذا كان من يهوى عليه يصبه

وبهذا تجد أبا حامد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥هـ / ١٠٥٨ - ١١١١م) مع فرط ذكائه وتأنيه ومعرفته بالكلام والفلسفة وسلوكه طريق الزهد والتصوف ينتهي في هذه المسائل إلى الوقف، ويحيل في آخر أمره على طريقة أهل الكشف، وإن كان بعد ذلك رجع إلى طريقة أهل الحديث ومات وهو يستعين في صحيح البخاري.

■ إن [illegible] يعرضون عن كتاب الله تعالى [illegible] ومعقولاتهم لم يكن [illegible] سلكوا هذه السبل كلهم [illegible] [illegible] هم شهداء الله في الأرض [illegible] [illegible] [illegible] هؤلاء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ن من تدبر ما تعارض فيه السمع والعقل وجد ذلك مما يعلم بالعقل الصريح بطلانه، والناس إذا تنازعوا في المعقول لم يكن قول طائفة لها مذهب حجة على الخارج عن مذهبها في ذلك، بل الواجب في النظر السليم أن يعتبر بما فطرها الله عليه، فامتنع حينئذ أن يُعتمد على ما يعارض الكتاب من الأقوال التي يسميها معقولاً وهي كذا لكن قد يعتقد طائفة كثيرة معتقداً صادقاً كثيرة لها، ولم يزل إلا أن يقال إن كل إنسان له عقل فمعتمد على عقل نفسه، وليس واحد معارض لأقوال الرسول من يجب متابعته وعلم رأيه على نصوص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ومعلوم أن هذا أكثر ضلالاً واضطراباً

وهذا كما يحكى أن أساطين الفلسفة الذين بلغوا في الذكاء والنظر إلى الغاية وهم سينا وابن رشد يتكلمون في معرفة هذه المعلومات لم يحصل فيها إلا معلومات ناقصة يتكلم بها على سبيل الحيرة والارتياب، وفي غاية الاختلاف بين الآخر، فكشف عن هؤلاء الذين لم يبلغ صريحهم في الظهور والبيان ومعرفته وسكوته عن المطلوب؟ فهو وغيره ممن يبين ما في أقوال من تعارض فيه عقل وسمع قصته ثم تعارضه إلا من هو جاهل بحقيقة ما يعارض

وإذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النظر لأن الجمع بين المتناقضين، ورفعهما رفع النقيضين، وتقديم العقل يستلزم أن لا يعلم شيء من على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول، فيلزم أن لا يعلم بكلام قد أبطلنا دلالته العقل، وإذا بطلت دلالته لم يصح أن يكون معارضاً للعقل لأن ما ليس بدليل لا يصح أن يعارض شيء من الأشياء فكان تقديم العقل واجباً عدم تقديمه، فلا يجوز تقديمه، وهذا بين واضح من تدبر ما ذكرناه في صدر المسألة وصحته وإن كان قد يحتاج في بعض الصور إلى تكميل هذه المقدمات بأجوبة لبطلان النقل لزم أن لا يكون العقل دليلاً صحيحاً وإذا لم يكن دليلاً صحيحاً لم يجز أن يتبع بحال، فضلاً عن أن يقدم، فتقديم العقل على السمع قدح في العقل بانتفاء لوازمه ومدلوله، وإذا كان تقديمه على النقل يستلزم القدح فيه والقدح فيه يمنع دلالته والقدح في دلالته يقدح في معارضته، كان تقديمه عند المعارضة مبطلاً للمعارضة فتقديمه يقدمه على النقل وهو المطلوب

وأما تقديم السمع عليه فلا يستلزم فساد العقل في نفسه وعدم توجه هذا السمع معارضة العقل لما دل العقل على أنه حق ودل على ما قبل لأنه دليل

يوجب فساد شهادته ولم تسمعه فلم يعلم فساد دلالته ولا تعارضت في نفسها لم يعلم صحتها ولا تعارض بدلالة حتى تعلم فساده والحكم بعلم فساده كان تقديم ما علم فساده قرب في نصاب على تقديم ما علم فساده كالشاهد الذي علم أنه عبد وذلك شاهد صحيح الظاهر لم يعلم كذبه على تقديم قول الفاسق المعلوم كذبه على قول المحترم الذي لم يعلم كذبه لا سيما فكيف إذا كان الشاهد هو الذي سمع المذكر في نفس الأمر

والفقهاء الذين يسمع في كل ما يخبر به ثم قد يخبر بخلاف الحق كما هو الشأن لسمع البينة فعدلت وشهدت بما لا يجب فيوجد ويشهد الأدلة السمعية حق وإن كان خبر به سمع فهو حق وشيء من خبر به سمعه فيسر بحق فكل قدح في شهادته مطلق وتركيبه فلا يحل فيما شهد به لا أولى ولا الثانية فلا يصلح أن يكون معارضا لسمعه بحال

وهذا تحت النظر بعينه فإن عامة العقلاء السمع في هذه الأشياء الخمسة ليس عندهم معقول صريح بل هو عن معارض معلوم كما تقدم أنه في نفس الأمر يتعذر أن يقع السمع على خلاف ذلك والعقل الصريح ما يمكن أن يكون معلوما على كل تقدير وهذا لا ريب فيه إن عني بالصريح ما يعلم بالعقل وحده لا بالحس ولا بالسمع فإن هذا لا يعرفون على هذا الوجه فإنهم يعلمون بالسمع عن الله من خبر الأنبياء لا يحتاجون أن يستدلوا في خبرهم على شيء من ذلك بل يعلمون بالسمع الذي جاءت به الرسل من الكتاب والسنة وإجماع الأمة أن الله صادق وأن الرسول صادق لا يجوز عليه الكذب في شيء مما يبلغه عن الله لا في خبر ولا أمر ولا يسمعون في ذلك شيئا يعارض العقل ولا السمع بل كل ما علم بالسمع عن الله من خبر فإنه يعلم بالعقل أيضا فإن العقل لا يعارض السمع بل يصدقه ويشهد له بالصحة وإنما يعارض السمع ما يظن أنه عقل وهو ليس بعقل أو ما يظن أنه سمع وليس بسمع

■ [illegible] يتعارض دليلا [illegible] ولا سمعي وعقلي

■ [illegible] وانه علم صحته بالعقل [illegible] بالعقل [illegible] هو الشاهد بصحة السمع [illegible] مرة اخرى [illegible] لا لاثبات السمع ولا [illegible]

■ [illegible] لا يكون [illegible] مؤمنا حتى يؤمن بالرسول [illegible] بعدم معارض، فمتى [illegible] لا [illegible] معارض [illegible] فان هذا الكلام هو [illegible]

■ إن العلوم ثلاثة اقسام منها ما لا نُعلم الا بالعقل، ومنها ما لا نعلم الا بالسمع، ومنها ما نُعلم بالسمع والعقل

وهذا التقسيم حق في الجملة [illegible] من الامور الغائبة عن حس الانسان [illegible] يمكن معرفته بالعقل، بل لا يعرف الا بالخبر وطرق العلم ثلاثة [illegible] والعقل [illegible] علم [illegible]

■ [illegible] الانبياء [illegible]

■ والادلة العقلية القطعية [illegible] العقلاء [illegible] فإذا جوز الانسان ان يكون ما علمه غيره من العلوم الضرورية [illegible] تكون العلوم الضرورية باطلة، وإذا بطلت بطلت النظرية [illegible] بطلان العلوم كلها، وهذا مع انه [illegible]

■ إن الدليل المشروط يعدم لمعارض لا يكون قطعيًا، لأن القطعي لا يعارضه ما يدل على نقيضه، فلا يكون العقل دالاً على صحة شيء مما جاء به السمع من عند الله مثلاً يعارض النصوص فيما أخبر به الرسول، وحينئذ فقولك إنه تعارض العقل والسمع فيه نظر، لأن العقل عندك قطعي، والشرع ظني، ومعلوم أنه لا تعارض بين قطعي وظني.

■ وبعد لا يكون دليلاً مستقلاً في تفسير الأمور الإلهية والأمور الغيبية، ولا أحد من بني آدم يحيط بما تحتاج إليه الشرع ويوقفه على جميع ما فيه، فالمحيط بذلك هو الله تعالى وحده لا شريك له، وخبر الصادق الذي لا يكذب ولا يخطئ فكثيره لا يحصى، وهو يدل على كل ما يقوم بالحق من الأمور الإلهية والأمور الغيبية، ولا يحتاج في هذا إلى النظر والعقل، فإن العقل قاصر لا يتوصل إلى هذه المطالب العالية الإلهية، ولا يخبر عنها، والمتفلسفون المتأخرون الذين يقولون بالعقل دون النقل يعلمون بالضرورة أن محمدًا لم يكن يعلم هؤلاء حتى لا يوافقوه، فإنه يعلم بالضرورة أن الذين كانوا على عهد الرسول كانوا مخالفين له، وأنه لم يكن يوافقهم على ما يقولونه من الباطل، فعلم بالضرورة أن هؤلاء لم يأخذوا عن الرسول، وأن ما يقولونه ليس من خبر الصادق المصدوق.

ومعلوم أن هذا الكلام أولى بالصواب وأليق بأولي الألباب من معارضة خبر الرسول الذي علم بالاضطرار أنه لا يقول إلا الحق، فإنه يعلم بالأدلة العقلية والمعقولات التي هي في أعلى مراتب البديهيات وصلالات قد أخبر عنكم بعلم يعلم أنهم كذبوا فيه، ويعلم كذب من يعارض خبره بما يعارضه، وهذه هي حجة الله على خلقه [ص ٢٥]، وقوله ولا يحتاج في الكتاب الذي هي حجة الله على خلقه

■ أنه لا يمكن أن يكون خبر الرسول قط خبرًا يعلم بطلانه ولا يوجد في شيء من الأخبار ما يعلم كذبه في كل ما أخبر به، فكذلك في أصل الدين أيضًا.

■ وهذا الخبر الصادق الذي لا ريب فيه يعلم بالعقل والعقل يدل على أن ما أخبر به الرسول عن الله فهو حق، وأن ما أخبر به عن اليوم الآخر فهو حق، وأن ما أخبر به عن الملائكة فهو حق، وأن ما أخبر به عن الأنبياء فهو حق، وأن ما أخبر به عن الجنة والنار فهو حق، وأن ما أخبر به عن الله من أسمائه وصفاته فهو حق، وأن ما أخبر به عن الله من أفعاله فهو حق، وأن ما أخبر به عن الله من أحكامه فهو حق، وأن ما أخبر به عن الله من أمره ونهيه فهو حق، وأن ما أخبر به عن الله من ثوابه وعقابه فهو حق، وأن ما أخبر به عن الله من قضائه وقدره فهو حق، وأن ما أخبر به عن الله من خلقه وأمره فهو حق، وأن ما أخبر به عن الله من ملكه وتدبيره فهو حق، وأن ما أخبر به عن الله من علمه وحكمته فهو حق، وأن ما أخبر به عن الله من رحمته ورأفته فهو حق، وأن ما أخبر به عن الله من عدله وإحسانه فهو حق، وأن ما أخبر به عن الله من غناه وجوده فهو حق، وأن ما أخبر به عن الله من عزته وكبريائه فهو حق، وأن ما أخبر به عن الله من قدرته ومشيئته فهو حق، وأن ما أخبر به عن الله من علمه وحكمته فهو حق، وأن ما أخبر به عن الله من رحمته ورأفته فهو حق، وأن ما أخبر به عن الله من عدله وإحسانه فهو حق، وأن ما أخبر به عن الله من غناه وجوده فهو حق، وأن ما أخبر به عن الله من عزته وكبريائه فهو حق، وأن ما أخبر به عن الله من قدرته ومشيئته فهو حق.

■ وكذلك يجوز في العقل أن يخصه الله بجوهر أعلى وأشرف من الجواهر التي في الحسية وغيرها من الأعراض، وهو أن يجعل فيه علماً ضرورياً أو مستفاداً، وغير ذلك من شتى صنوف المعارف التي أعطاها الله تعالى من شاء من عباده.

فأهل المعقولات من أهل النفي والإثبات كلهم يدعي أن العقل دل على قوله المختص بنفي الجسم وما يستلزمه، فإن كان كذلك في المحسوسات فالله معلوم منفي عنه العيب وما يقارب المعارض به من العقل ليس بدليل معلوم صحيح عند من له فهم، فإن الشرع لم يعارض بما يعلم بالعقل أنه معارض له، فلا يتناقض المعقول والمنقول.

وعلم الله تعالى لا يتصور في الحس لأنه ليس بمحسوس ولا قيام العلم بالعالم صحيح إلا بما يتصور قيامه على المعارض له، كالكتابة والصنعة ونحو ذلك، وأما العلم الذي هو صفة في نفس الأمر ولا دليل معلوم عند عامة العقلاء على وجوده فلا يتصور قيامه بالنفس.

■ وكون الشيء عقلاً وشرعاً ليس هو صفة نفسية له حتى لا يزول ولا يتغير، ولا فساد، بل ذلك يبين الطريق الذي به علم، وهذه الصفة إذا علمت كانت ثابتة لا تتغير من العقل، وكذلك كونه عقلياً ونقلياً، فإن كونه شرعاً لا يقتضي كونه عقلاً، وإنما يقتضي كونه شرعاً، إذ الشرعة هي الشريعة، وكونه شرعاً صفة لما وضعه الشارع فيوصف بأنه شرعي، فكون الشيء عقلياً وكون العقل عقله، كون العلم شرعياً يزاد به كون الشرع نبه وبين عليه، وبه يكون الشرع أخبر وبين فهو شرعي، فالشرع قد يكون مخبراً بالعقل ومبيناً ومنبهاً عليه، فيكون شرعاً عقلياً، وهذه الدلالة التي نبه الله تعالى عليها في كتابه العزيز هي الأصل المحصور، وغيرها يرد إلى هذه، وهو أن الله خلق الخلق وأرسل الرسل وأنزل الكتب، وجعل العقل يعلم صحيح النقل، وفي الفطر ما يشهد بأن الشرعة هي موافقة الشرعة.

وقد يكون الشيء شرعياً لا عقلياً لأنه خبر محض، والعقل لا يعلم الأخبار، فكل ما جاء به الشرع فإنه يكون عقلياً لأن الكلام في أنه الشرعة صحيح في نفسه، وأنه لا يأمر إلا بما هو

الوجه وبهذا يجعلون أصول الدين نوعين العقليات والسمعيات ويجعلون القسم الأول مما لا يعلم بالكتاب والسنة وهذا غلط منهم بل الحق أن على الأدلة العقلية وبينها وبينه عليها إذا كان من الأدلة العقلية ما يعلم بالعيان ويوازمه كما قال تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ [فصلت: ٥٣] وأما ما أثبته الشرع من إثبات الشرع وأن فيه فيدخل في ذلك ما أخبر به الصادق وما دل عليه وبينه عليه القرآن وما دل عليه وشهدت به الموجودات.

والدليل الشرعي لا يجوز أن يعارضه دليل عقلي شرعي ويكون مقدما عليه بل هذا بمنزلة من يقول إن الدعوة التي لم يشرعها الله تعالى تكون مقدمة على الشرعية التي أمر الله بها أو يقول الكذب مقدم على الصدق أو يقول الخبر غير النبي يكون مقدما على خبر النبي أو يقول ما نهى الله عنه يكون خبر الله أمر به أو نحو ذلك وهذا كله ممتنع.

■ والتأويل المقبول هو ما دل على مراد المتكلم

فالمتأول إن لم يكن مقصوده معرفة مراد المتكلم كان إنما يتبع مقصوده بحسب ما يحتمله الجملة في كلام من تكلم بلغة من العرب هو [illegible] ولا يتأول إلا من باب التفسير لبيان المراد.

■ وأما تأويل ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فهو يقول [illegible] التي أخبر عنها [illegible] في حق الله هو كنه ذاته وصفاته التي لا يعلمها غيره ولهذا قال مالك وربيعة (١٣٦هـ ١٥٣م) وغيرهما: الاستواء معلوم والكيف مجهول. وكذلك قال ابن الماجشون (٢١٢هـ ٨٢٧م) وأحمد بن حنبل وغيرهما من السلف يقولون إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه [illegible] وبعده.

وكذلك الصحابة والتابعون [illegible] وكانوا يقولون إن العلماء يعلمون [illegible] ولم يعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه، وكذلك لا يعلمون كيفيات [illegible] ما أخبر الله لا [illegible] يعلم [illegible]

واه ار ك ي لأنب في مقام ش عود بحدوده والبدي د ه في مقدد نصر
ايضا فعلمه بعضهم بحد ، كفر ، وسنه ، ندعو الي ذلك ،
دس وسير الحوا ي حدده برس د لأفسد العقله و لأمن بحسروبه ف ه
حقيقة كف و سب وسلة لأنه ف الله سبحانه وتعالى ضرب بعد م
كتبه وبير براهيم بعقله بوحد ه وصدق رسله ، مر جعه ، وغير ذلك
حسول دس وجد ، ع ف جبه استركبر ، كذ ف تعالى ولأنه مثل لا
حسب لحق و حس نفسه ، نقص ٣٢

■ وهو إذا ل بنظر مد حرة شرعية بتعذر بضربه فلا بد م بثبت ذلك
ولابد ف ربلا عنتاً ولا شرعت قبله بسبك طريق هن سب و حدبث و لأثه

■ وأما بحسرد لا بكفر حد من فر لقبله و بدس علبه ن بعد

بمسائل التي اختلف اهل العلم فيها من أ الله تعالى هو عالم بعدد
و بدان ، وانه به ي هو موجود لأعيان بعد م ، وبه هو بحضر وهو هو
في ملك وحده وهل هو مرئي ام لا لا بحتو ب تتوقف صحة بدين على
معرفة احد هذين او لا تتوقف و لأول بحصر ، كانت معرفة هذه لأصول ه
من بكن بواحد على لبين لم بصابهم بهذه بمسائل وبحث عن كثير
عنها وهذه فهم لم بطابهم بهذه المسائل بل هي من حدث من هذه
بمة بعد بي ردة عليه سلام ولأئمة بي الصحابة والتابعين رضي الله عنهم
عنهم أنه ، نتوقف صحة الإسلام على معرفة هذه لأصول إذا كان لم
بكن بحط في هذه بمسائل قدح في حقيقة الإسلام ولم بقتض الإنسان عن
بكفر اهل البدع

ان بكفر حكم شرعي مبني على ثبوت بشروط بانتفاء الموانع فقد بتخلف
الشروط وحصول واحد من الموانع بكون في بعض بكفار كفر في بعض
ليس كل من ، صوب في بعض بكفار بكون في بدرجة بكفر

وقد بعذر بعض بصحابة رضي الله عنهم في لا بعض بمسائل هو ، لأصول
الخطيرة كما بهم بعذرون عمر بكثير من بجتهدين رضي الله تعالى عنهم فقد

حكى الحاكم (٣٣٤هـ ٩٤٥م) صاحب المختصر في كتاب المنتقى عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه لم يكفر أحدا من أهل القبلة وحكى أبو بكر الرازي عن الكرخي (٢٦٠ - ٣٤٠هـ، ٨٧٤ - ٩٥٢م) وغيره مثل ذلك.

* * *

■ فالمعقول الصريح موافق للشرع متابع له كيفما أدير الأمر، وليس في صريح المعقول ما يناقض صحيح المنقول، وهو المطلوب.

ومن المعلوم أن أصل الإيمان تصديق الرسول فيما أخبر به وطاعته فيما أمر، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أنه لا يجوز أن يكون ثم دليل لا عقلي ولا غير عقلي يناقض ذلك، وهذا هو المطلوب.

ومن المعلوم أنه في كل مسألة دائرة بين النفي والإثبات من حق ثابت في نفس الأمر أو تفصيل، ومن المعلوم أن كلام الفلاسفة المخالف لدين الإسلام لا بد أن يناقضه حق معلوم من دين الإسلام موافق لصريح العقل، فإن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم يخبروا بمحالات العقول، وإنما يخبرون بما تحار العقول، وما يعرف بصريح العقل بتفاوته لا يجوز أن يخبر به الرسل إذ يخبرون بما لا يعلمه العقل وبما يعجز العقل عن معرفته.[2]

[illegible]

[illegible] ١١٦، ١١٩، ١٢٠، ١٣١، ١٣٦، ١٤٠، ١٤١، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٩، ١٦٧ طبعة القاهرة سنة ١٣٢١هـ

[illegible]

الشاطبي
أبو اسحاق إبراهيم بن موسى
(٧٩٠هـ ١٣٨٨م)

٥

الأدلة الشرعية ١، لا تنفي قصاب العقول والدليل على ذلك من وجوه

[illegible] التناقض و الاختلاف [illegible] بلهم سبب [illegible] الذي [illegible] بهم [illegible] ، وكل [illegible] ناشئ عن خطأ [illegible] بأن به البعض كما هو الواقع فيما ذكرناه [illegible] حادثة [illegible] عن المعقولات يعقول به [illegible] وقع في الاعتبار هذا الاختلاف، فيما وقع فيه من جهة ما له خروج عن المعقول وبوجوه ما

فالجواب عن الأول أن عوائق [illegible] لسور للناس في تفسيرها مقال [illegible] بناء على أنه مما يعلمه الله [illegible] قلنا إنه مما لا يعلمه العلماء ليت شعري ما [illegible] يعلمونه تكليف على حال، فإن خرج عن ذلك خرج عن كونه دليلا على شيء من الأشياء فليس مما نحن فيه وإن سلم فنقسم ذلك ولا يعلمه إلا الله تعالى في الشريعة نادر، و نادر لا حكم له، ولا تحترم به الكلية المستدل عليها أيضا، لأنه مما لا يهتدي البعض إلى فهمه، وليس كلامنا فيه، إنما الكلام على ما يؤدي مفهوم لكن على خلاف المعقول، وخروجه [illegible] عن ذلك لا يقتضي [illegible] بل يجب أن معانيها لم تكن إلا على مقتضى المعقول وهو المطلوب

وعن الثاني أن المتشابهات ليست مما تعارض مقتضى المعقول [illegible] يتوهم بعض الناس فيها ذلك لا [illegible] يتوهم منها ذلك فناء على اتباع هواه كما تقدم عنه لأنه قوبه الله تعالى [illegible] في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء [illegible] تأويله [illegible] لأنه بناء على غير صحيح فإنه [illegible] كل [illegible] فإنما هو راجع إلى معقول موافق لأم [illegible] فرض أنهم مما لا يعلمه حتى لا يكون معقولا فيتبعون عليه مفسودة لأمر ما حتى لا يمضغته ما وهذا كما يأتي في جملة واحدة فكذلك يأتي في الكلام المحمول على جمل كثيرة واحدة بعضها [illegible] يتوهم القاصر النظر فيها الاختلاف وكذلك الأعجمي يسمع من بعض الناس العلم بما ينظر فيه وهو جاهل به، ومن هذا كان حكم [illegible] بحرا على المبتدئ وبعض المتحذقين على القرآن ولسنة التي بعض والده بعقول وضعوها على ذلك فحملهم بحكم التشريع فخاضوا حيث لم يزل بهم في الخوض وقصر بهم بحرهم الخوض فيه فتاهوا فإن القرآن والسنة بما كان عربيين لم يكن ينصرف فيهما إلا عربي، كما [illegible] لم يعرفوا مقاصدهم لم يقدروا [illegible] تكلم فيهما ولا يصح له نظر حتى يكون عالما بهما فإذا كان كذلك لم يخف عليه شيء من الشريعة

الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده
(١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ = ١٨٤٩ - ١٩٠٥م)

■ [illegible] لأنس كل عقلي سليم [illegible] وجوده بعقل [illegible] صلة بينهما [illegible] وقد حكمه صلة [illegible] يكون [illegible] وبعقل [illegible] من [illegible] الأخرى من هذه القوى الإنسانية وعجائبها، والكون جميعه صحيفته التي ينظر فيها ويكتب الذي يتلوه وكل ما يقرأ فيه فهو هداية إلى الله وسبيل للوصول إليه (٢)

■ وفي تفسير قول الله سبحانه [illegible] يعرف [illegible] يقول الإمام محمد عبده: «إن الفرقان هو العقل الذي به تكون التفرقة بين الحق والباطل وآياته من قبيل إنزل الحديد لأن كل ما كان عن الحضرة العلية الإلهية يسمى عندهم نزالا(٣). والعقل الذي به كل شيء هو عقد الله الأكبر الذي حده على جميع البشر بمقتضى الفطرة وهو التدبر والتروي والنظر الصحيح [illegible] والحكمة [illegible] يعبر عنها في قوله تعالى «يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب» [البقرة ٢٦٩] هي العلم الصحيح يكون صفة محكمة في النفس، حاكمة على الإرادة توجيهها إلى العمل وعلى كل العمل الصادر عن العلم الصحيح هو هو العمل الصالح الدافع المؤدي إلى السعادة

والنظر بالحكمة من يشاء عصوم عنها العقل الحكمة مع توقفها بحسب الاستعداد هذا لا في تحصيل العلوم الصحيحة فالعقل هو المدبر المفكر في الأمور بما تحتوي وتدركات وتنظر من أنواع التصورات والتصديقات فمتى رجحت فيه كفة الحقائق على كفة الأوهام وسهل التدبر من وسوسة الشيطان

[illegible] ص ١٦٥

[illegible] ٣ ص ٢٧٧

[illegible] ص ٩

[illegible] ٢ ص

[illegible] ص ٥٣

■ ولقد كان من سنن الله في خلقه أن يجعل في عقائدهم وسيرتهم العنصر على أن العنصر والسر الذي لا يحتمل أن يعلمه غير الخاصة من أتباعه وهو ما يسمونه العنصر الذي يكتم عن غير أهله

ولذلك جاء القرآن يتحدث عن السحر بعض وعشرين آية، ويذكر أنواعه المختلفة، ويعرض عيوب كل نوع، ويحذر منه، ويبين حكم الله فيه، وخلاف [illegible] في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون [illegible] غير ذلك من الآيات الكثيرة

وكذلك القرآن من سبيل الدليل على تعظيم شأنه ووجوب الاهتمام به وعلى الرغم من هذا نجد أن العنصر في الخلقة يقف على أسرار هذا العنصر ويسخره لمنافعه المختلفة التي لا تحصى، ولكن هذا لا يمنع الإنسان الذي خلقه الله مفطورة على الفضائل الخلقية أن يكتسب هذه الأنواع من السحر ويتعلمها ويمارسها بإذن الله أو بغير إذن الله لأغراض شتى

■ وإن من يتتبع أنواع السحر التي كانت معروفة عند الأمم القديمة في كل طور من أطوار عمره يجد أن السحر على قدر عقله وخلقه وكان عنصر الشر في أنواع السحر التي تخاطب قوى الشر عند الأمم القديمة وخاصة عند العرب لا تحتاج في رأيهم وكل ارتقى الشر حتى الله عنه لهم إلى خلق أنواع جديدة من السحر [illegible] وكان الرسول الخاتم الذي بعثه الله في العرب لكي يتم صنعة الله في خلقه على يديه يحذر أمته أشد الحذر من السحر وأنواعه لأنه يقف عقبة في سبيل تقدم الإنسان في علمه وكشفه لأسرار الكون وقوانينه التي أودعها الله في خلقه لكي يستخدمها الإنسان في تعمير الأرض وتسخيرها لتعقله ويسر أحكامه، وعدالة شريعته [3]

---

١ تفسير [illegible] ج ٢ ص ٢٨

٢ تفسير [illegible] ج ٣ ص ٥٢٥

٣ تفسير [illegible] ج ٢ ص ٦١ ٦٢

[illegible] الإسلام على [illegible] وخص عنه خصمه بما [illegible] فيالفه المتعلقة على النفوس، وعلقت أصوله الراسخة في المدارك، وتسقر في كان له من دعائم وأركان في عقائد الأمم

على أصول الإسلام على وساوس تتحكم وحيرة [illegible] لأنه لم يحصل بعقد [illegible] ولكنه قطر على أن يهتدي [illegible] بالإعلام بكفر، وبالأدلة بحوادث وقف المتعلمون فيها، ويرتدون في طريق البحث هادون ص ٣ في وصف أهل الحق بأنهم ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر ١٨] فيستفيد [illegible] بين ما يقال من غير فرق بين الفاضل والمفضول، ويعرفون ما هم يتبعون صحته ونفعه ومن على أبوصاء فإنهم من مستوى كانوا فيه يأمرون وينهون، ووضعهم تحت أنظار مرءوسيهم، يحتبرونهم كما يشاءون، ويمتحنون مزاعمهم حسبما يحكمون، ويقضون فيها بما يقضون ويتبعثون لا بما يصون ويوهنون

صرف القلوب عن التعلق بما كان عليه الآباء، وما نشأ عليهم الأبناء وسحر الحمق والسفاهة على الأكثرين بأقوال السابقين وبناء على [illegible] السلوك في الدين ليس آية من آيات العرفان، ولا مُسَمِّيًا لعقول على عقول، ولا لأذهان على [illegible] وإنما السابق في الخير والفاضل في الفضيلة من [illegible] لأصول الحاصية واستعداده للنظر فيها والانتفاع بما وصل إليه من ثمرة في الكون فالم يكن لمن تقدمه من أسلافه وآبائه وإن يكون من شأن الآتي بعده أن يتبع [illegible] بل يختبر بخصائص طبور بعوالق النسبة لأعضاء من سبقهم وبعد النظر في وضع نفسه بين فطرته سلفهم في سحر في أرض به تصرف كيف كان وفيه مكلفين [illegible] وإن الله يحب الله ثم يعلم بأن عالم وحكمة بني وسعت كل شيء لن تضيق عن دائف

عاب الإسلام أرباب الأديان في قلبهم بما [illegible] وتوقيفهم عند حصر سر أسلافهم وقولهم [illegible] وجدنا عليه آباءنا ٢١ [illegible] وجدنا [illegible] على [illegible] وإنا على آثارهم مهتدون ﴾ [الزخرف ٢٢] وقد امتاز الإسلام بهذا [illegible] أبعد من كل ما كان قبله وحصر عن كل نفس ما [illegible] وما في حكمته تقضي فيه بحكمه وحكمته مع تحصيل مع ذلك لله وحده والوقوف عند شريعته، ولا [illegible] في مخالفه هدى ولا [illegible]

بهذا تم للإنسان بمقتضى دينه امران عظيمان صالحا حرم منهما وهما استقلال الإرادة واستقلال الرأي والفكر، وبهما كملت له إنسانيته، وسعد في بيئته من سعادة ما هيأ الله له بحكم الفطرة التي فطر عليها وقد عجز حكماء العربيين من معاصريهم وممن سبقهم في اوربة امم عاشت على هدى الأصليين، فلم ينهض النفوس للعمل، ولم تتحرك العقول للبحث وانصرف الناس عن التفكير بأنفسهم وان يهتم حقا في تصريف شئونهم وحياتهم بعقولهم، ولم يصل إليهم هذا النوع من التحرر الا في اواخر القرن السادس عشر من ميلاد المسيح وقرر ذلك الحكيم أنه شعاع سطع عليهم من نور الاسلام وهذا ما تحققت من امره في تلك الأرض.

■ وتضعف العقل سببان منه ما هو فطري كما هو حاله في الصغير والمجنون وهو الذي لا تكلف صاحبه ولا يُلام، ومنها ما يكون من فساد تدبير العقلية كما هو حال المعطلين الذين لا يستعملون عقولهم ولا يكلفونها النظر في امور الوجود والحياة ويرضون بما يكسبونه من التقليد ومن تكوين عقائدهم التقليدية ولا يتعبون انفسهم بالنظر في هذه الحياة ليقفوا على ما وراءها من مجاهل لتعرف وتتم قراءة شئونها، ولهذا حكى الله عنهم في قوله: ﴿وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ [الزخرف ٢٣]، حتى يجيء اليوم الذي يعتذر فيه القادة والكبراء فيقولون: ﴿ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾ [الأحزاب ٦٧].

■ ويعقل هو الذي في حق السموات والأرض وخلائق الله وفيما بينهما لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾ [آل عمران ١٩١]. وإنما خص أولي الألباب بالذكر مع أن كل الناس أولو ألباب لأن الفكرة عند كثير الحوز ونحوه إذا كانت عفنة، وكذا تفسد الباب بعض الناس ويعقل فهي لا تهتدي إلى الاستفادة من آيات الله في خلق السموات والأرض وغيرها.

وإنما سمي العقل لُبًّا لأن هو من خير ما يتنافس فيه وهو سببه وقوامه وبه حياة الإنسان الخاصة به وهي حياة العقل، كما عبر عنها في

---

١ [illegible]

٢ [illegible]

بمضمون كلامه ف يستفيد به في خلافه و عصيانه و ضلاله و يتسبب في اكتساب
بقوله بعضهم من عقوبته و نصوصها بمضلاته

و نشأت صرفة الخلق و هي شذوذ يطرأ على فوس الدين الاسلامي
وضعت على اساس العقل فلا يخرج شيء منها عن المعقول فقد خرق عقل
شيء و ورد في النقل خلافه، يكون حكم العقل القاطع قرينة على ان النقل
لا يراد به ظاهره، و لا بد له من معنى موافق يحمل عليه فيسمى صرفا و هو
نوعان صرفة السلف في وجوب التسليم و التفويض فيما يتعلق بالله تعالى
و صفاته و عالم الغيب

■ و ذ ف ربك سلائكة بي حص في لأرض حيفة يفرو ٣

يقول السلف في ملائكة الله جملة خبرهم الله تعالى بوجودهم و بعض
عملهم فنحن نؤمن بهم و لا نتوقف لد على معرفة حقيقتهم فنفوض
علمها إلى الله تعالى، فإذا ورد بهم حديث نؤمن به و نكتفي بقولنا به نفس
الحديث من غير بحث و نحوه كحديث نطفة لو كانت كما يريده الله تعالى
انهم موكلون بالعوالم الجسمانية كالبحار والبحر فإنما يستدل بذلك على أن
في الكون عالما خفيا لطيفا من هذا العالم المحسوس، وأن له علاقة بهذا العالم
واحكامه، والعقل لا يحكم باستحالة هذا، بل يحكم بامكانه بذاته ويتحكم بتصديق
الوحي الذي اخبر به

وقد يجد الناس في جوهر الملائكة وحدتهم وتعرفهم وتكثرهم وتقسيم الله
تعالى على هذا النمط تقسيما يدير الله تعالى للناس كافة فكل ما يصدر
الكشف بالنص عنه مما يعجز العقل عن البحث عن حقيقته لأن تكشف له سر هذا
البحث او العلم به بكان يكون من يكشف له لا يصدق وهي حصة الله تعالى يريده
في العلم ذلك فضله يؤتيه من يشاء ورد في الصحيح عن النبي صلى الله
عليه وسلم في هذا العلم انه سر من اسرار الله

هذا حصكم سوء الله به سرا من علمه

فقد لا يعلم كنهه وسره الا الله تعالى عند الله عند الله في
الفرائض

■ فسجدوا لآدم [illegible]

ى فسجدوا كلهم جميعا لآدم وهذا فرد من أفراد الملائكة كلهم
من [illegible] في القصة [illegible] يكفي هذا لنفي بعضية آدم من الملائكة وقد
قسم الملائكة بعدوا آدم فسجدوا لآدم كل من هذا [illegible] وليس هذا
دليل على أن بين الملائكة وآدم فصلا جوهريا يميز أحدهما عن الآخر وإنما هو
اختلاف أصناف عندما يختلف الوصاف، كما ترشد إليه الآيات

فالظاهر أن آدم صنف من الملائكة وقد صرحت في بعض الخطب على الملائكة
على أن جنسهم يغاير في قوته تعالى وجعل بينه وبين [illegible] ١٥٨
وعلى الخصوص في آخر سورة الناس وعلى كل حال فجميع هذه الأمور تستفاد
بهذه الأسماء من عالم الغيب، لا نعلم حقائقها ولا نحيط غيبها ولا نقدر نسبة
شيء إليها فلم يرد لنا فيه نص قطعي عن المعصوم ؟

■ ومن عقد بالكتاب بتحرير وقف فيه [illegible] الآية بعضه وغير عقد فيهم
الخبر بعض على ذهني في ظاهر القول، فهذا يعقد [illegible] ويسمى بعقد
يقوم له الدليل عليه مع الاعتقاد بحدوثه بعد حدوث ذواته وعقاب على
الأعمال وبعقاد بحجب [illegible] بنقص ويزيد بعد من كتب وقد [illegible]
بنقص بعد [illegible] شريعة في تكليف [illegible] بعضه
أحد [illegible] في [illegible] بعضه فيه في [illegible]
لعصمة، لا لي [illegible] بنسبته بعقول لخصة، والأصل في ذلك أن الإيمان هو
نفس في الاعتقاد بالله ورسله وجوده لآخر بلا قيد في [illegible] جاء على ألسنة الرسل؟ فعلى كل من يعتقد بدين لا ينفي شيئا مما دل
عليه ظاهر الآيات والأحاديث التي صح سندها ويتصور فيها [illegible] لا
لا يدلس عقلي يمنع من الظاهر غير مراد ؟

و [illegible] في تعلم [illegible] كل من [illegible] عن

[illegible] ٢ [illegible] ١٣٩ [illegible]
٣ [illegible]
٤ [illegible]

[illegible]

[illegible]

وهل سمعت دار النعيم حسنة وجمعت على سبيل حسنية وكذا [illegible] ترشحت له؟ ثم سميت بذلك لأنها مشتملة على [illegible] لكل باسم يخص الله أعلم بمراده

[illegible]

إن أطوار الجنة مختلفة لأطوار [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

■ [illegible]

وهي موضع عذاب الآخرة، نؤمن بها لأنها من عالم الغيب الذي أخبر الله تعالى به، ولا نبحث عن حقيقتها، ولا نقول إنها تشبه [illegible] شبيهة بها، وإنما نثبت لها جميع الأوصاف التي وصفها الله تعالى بها.

■ [illegible] اللوح المحفوظ الذي ذكروا أنه فوق السموات [illegible] وأنه كتب فيه كل ما علم الله تعالى، فلا ذكر له في القرآن [illegible] من عالم الغيب [illegible] بلا زيادة ولا نقص ولا نقصان، وليس عندنا في [illegible]

■ [illegible]

■ [illegible]

[illegible]

[illegible] الجمهور الأعظم من الناس، بل الكل [illegible] الا قليلا [illegible]
[illegible] فلا [illegible] ولا [illegible] أفكارهم [illegible] هم [illegible]
المعقولات إلى عقولهم عليهم بأوضح عبارة يمكن [illegible]
منها إلا خيالا لا أثر له في تقويم النفس ولا [illegible]
[illegible] في حالها التي لا تفارقها من [illegible]
واعظ [illegible] في تخفيف بلاء سامه النزاع إليه [illegible]
[illegible] شهواتهم [illegible] الاعتدال في [illegible]

[illegible] لا تجد الطريق الأقرب في بيان مضار الإسراف في الزعف
وفوائد القصد في [illegible]، مما يصل إليه أرباب العقول [illegible]
لا بطويل النص، وإنما تجد أقصر الطرق [illegible] أن تأتي [illegible]
[illegible]
[illegible] الغالب [illegible] في أدنى شئونه إليه، المحيط بما في نفسه، الآخذ [illegible]
وتسوق إليه من الأمثال ما يقرب إلى [illegible] له ما جاء في [illegible]
[illegible]
روحه بذكر رضا الله إذا استقام، [illegible]
القلب، وتدمع العين، وتستخدي العصب [illegible]
[illegible]
من حال البشر غابرهم وحاضرهم، ومنكره بسمع نفسه أنه ليس منهم

[illegible]
[illegible]

[illegible] طبقة من [illegible]
[illegible]
[illegible] في سير البشر، ولا يطبعوا على فطرهم، وإنما قوام [illegible]
[illegible] لا بأس بين، فعامل الدين هو [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] لا يستقل بالوصول إلى [illegible] سعادة الأمم [illegible] المحسوسات بحاسة [illegible] من السمع لإدراك المسموعات مثلاً، كذلك الدين هو [illegible]

[illegible]

[illegible]

اعتصد حكمت وسلامة فهم لأعماله وأقواله، فلم يخلطوا بين معرفة
وصحابته بتقليد غير بعض فيما يعتقدون على ظواهر كتابه لأنه نزل
بلغتهم التي كانوا يتكلمون بها، فكانت حجة الله على الخلق فيما
أخبروهم به وأمروهم.

■ لقد دعا رسول الله ﷺ من حضر من قومه وبلده، ومن وفد إليه
عرفوا نفسهم، فآمن من آمن منهم بالله وحده، وكفر بالكفر، وشرفه بهذه
وبحرفة لا يعرفها أحد من أهل بلده، وفكروا في الله عز وجل فيهم خاصة
وبين ظهرانيهم من الأكوان، وتعجبهم في قيامهم وقعودهم وسائر أحوالهم
لأنفسهم، ووقوفهم عند حدود الشريعة بعد الإقرار بها، فهم يدلون
على الله بحصول المعرفة لديهم بعقولهم وأفكارهم بدون واسطة من الناس
خصهم الله بوحيه وقد وكل إلى عقولهم معرفتهم بالدليل، كما كان الشأن في معرفتهم
لجميع ما يشاهدونه من خلقه.

ونحن لا نرى مصطفى من رسله هي في معرفة نصدق به إلى
الله أن نعلم منه، وليست في الاعتقاد بوجوده

وقد نرى لا يستطيع لأحد من البشر على اختلاف منه إلا ما سمّت به
عقولهم، ولا يستطيع أحد أن يذهب بإرادته إلى ما سخر له بمقتضى الفطرة

هي صفة الله وكل ما يتعلق بالألوهية لا يستطيع أحد
أن يخترعها بنفسه بغير ما علّم الله عباده
وخصّ بعلمه دون سائر خلقه، والصفات واحدة في جميع الكلام
وسنن البلاغة واضحة، غير أنها أحب وأبهج إلى الأذن إذا جاءت
على طريقة ولغة العرب التي خاطبهم بها[1]

■ وكان من حكمة الله أن جعل أنبياءه ورسله من بني آدم
ليتم صنعه على يديه، فهؤلاء هم الذين يتلقون عن الله أمره
وأحكامه وبهم يبلغ الناس ما شرعت به الشرائع، وهم سائر الناس قدوة لهم
وعبر عليهم[2]

---

١ [illegible]

٢ [illegible]

٣ [illegible]

■ فمكابرة بدهي [illegible] العقلاء ومحاربة لفطر [illegible] وجحود [illegible] لم يعد العقلاء فالعمر يستطيع أن يمنع نفسه من كثير [illegible] النفس ويكف [illegible] يستطيع [illegible] يمنع عقله العلم وردته بقيد [illegible] فمن [illegible] يسمعه فسد [illegible] لا يبصر فالبصر عمى [illegible] العلم عمى [illegible] لا تفهم فقل لا [illegible]

■ وكل من بلغته الدعوة على وجه يبعث على النظر فساق همته [illegible] وستفرغ جهده فيه ولكن لم يوفق إلى الاعتقاد [illegible] دفع إليه، ويتحير عنده هو في السبب [illegible] ذهب بعض الأشاعرة إلى أنه ممن ترجى له [illegible] ينقل صاحب هذا الرأي قوله عن أبي الحسن الأشعري، وعلى رأي الجمهور فلا ريب أنه [illegible] أخف من موجده لمن [illegible] استعصى على النظر وكفر بغضة الحق أو رضي بحظه من الجهل[2].

■ [illegible] أنكر هو جحود ما صرح به الكتاب من علم الله وجحود الكتاب نفسه، أو النهي الذي جاء به، وبالجملة ما علم من الدين بالضرورة بعد ما بلغت الجاحد رسالة النبي بلاغاً صحيحاً، وعرضت عليه الأدلة على صحتها لينظر فيها فأعرض عن شيء من ذلك وجحده عناداً أو تساهلاً أو استهزاء بمعنى بذلك أنه لم يستقر في النظر حتى يؤمن

[illegible] لم يسمع من [illegible] الصحابة رضي الله عنهم كفر أحد [illegible] هذه من الأمور [illegible] لبعض [illegible] بعض [illegible] بعضهم [illegible] بعض [illegible] أنه لم يكفر [illegible] لفعل [illegible] ولا يعد منكره كافراً إذ قصارى [illegible] أن يكذب النبي [illegible] في كل [illegible] يستقر [illegible] فلا يكفر [illegible] بعض شيعة [illegible] الأسدية [illegible] بعد [illegible] لم يستقر شيء [illegible] بتكفيره ورده [illegible]

ولقد [illegible] المتأخرين في تكفير [illegible] بعض [illegible] شيء من [illegible] الأحوال [illegible] ينكر بعض [illegible] مخالفة قطعية [illegible] هذا الأمر يعظم حتى [illegible] ينكرون [illegible] المتعمد في بعض [illegible]

---

(1) [illegible] سابق [illegible]

(2) [illegible] السابق [illegible]

من البدع المحظورات، ثم هم على عدد الكفر والخلاف بعد فقد وبعملو بعض بمشركين ويصفون بعضهم بعضا بالمشركين بعضا فقد[1]

■ حدود العقل:

حدث حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم [النساء ١٣].

طاعة الرسول هي طاعة الله يعني لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه الله ذو القوة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى فبعد الإسلام إلى يوم القيامة لا يستطيع أحد أن يستغني بعقله وعلمه عن الوحي، يقول أحدهم إنني أعتقد أن العلم الصحيح عندما يحكم ويعمم يقضي على الدين لأن العلم يحدد الشر وهو خصائص الأشياء ويوضح كيف نتحكم في هذه الأشياء لا يستطيع أن يوجه الإنسان نحو الخير ولا يستطيع أن يوجه الإنسان نحو الله وفي الجهة الأخرى يقول الله لا يستطيع العقل أن يدرك الله ولا يستطيع أن يحيط به لأنه أكبر من كل شيء فالعقل في عصر من العصور كعقل بدائي لا يستطيع أن يدرك ما وراء الطبيعة[2].

وشيء آخر يحصر العقل على أن يفكر في عدد من الأمور وهذا يحدث عندما يكون التفكير بعيدا عن الواقع[3].

وإذا قارنا بين العقل والوحي نجد أن العقل لا يستطيع أن يدرك كنه الله هو الموصل إلى معرفة الله عن طريق الكون لأن الله لا يدرك بالحس ولا بالخيال ولا بالوهم ولا بالعقل لأن التوصل إلى معرفة الله يتم بالحس والخيال والوهم والعقل، ولا يستطيع العقل أن يعرف الله بالتوصل إلى كنه حقيقة فهو لا يتبلغ قوته لأن الكيان المركب من هيولى وصورة تركبت منه، وذلك ينتهي إلى البسيط الصرف، وهو لا يتحقق إلى كنه هو حقيقته وغاية ما يمكن عرفانه منه هو عوارضه وآثاره

---

١ [illegible]

٢ محمد السيد [illegible] ٨٢

٣ محمد السيد [illegible] ٩١

[illegible] الأشياء وأحلاها، كالضوء قرر الناظرون [illegible] كثيرة فصلوها في علم خاص به، ولكن لم [illegible] معنى الإضاءة نفسه، وإنما يعرف من ذلك ما يعرفه كل بصير [illegible]

[illegible] الإنسان [illegible] من [illegible] الى [illegible] الخواص [illegible] الحقيقة [illegible] القواعد التي قامت عليها [illegible] الاستعمال [illegible] الوقت [illegible] بالقوة إلى غير ما سبقت إليه

[illegible] الإنسان [illegible] بعض عوارضها، وهل هي عرض [illegible] هل هي [illegible] أو مجردة عنه؟ كل هذه [illegible] الاتفاق عليه، وإنما مبلغ جهده [illegible] ما أحاط به بعد ذلك من الحقائق الثابتة [illegible]

[illegible] الوجود [illegible]

[illegible] الوجود [illegible]

[illegible] الوجود [illegible]

[illegible]

[illegible] إلى ما لا تبلغه القوة البشرية من جهة [illegible]

[illegible]

[illegible] هو بعينه، ولا يمكن للعقول أن تصل إليه، ولهذا لم يأت الكتاب العزيز [illegible] وصفاته الكمالية، أما كيفية الاتصاف بها فليس من شأنه أن يبحث فيه

[illegible] نعلم أنه موجود لا يشبه [illegible] وأنه متكلم سميع بصير، وما شابه ذلك من الصفات [illegible] أسمائها عنه

[illegible] الصفات زائدة على الذات وكون الكلام صفة [illegible] والتصورات [illegible]

[illegible]

[illegible]

عوام من البشر، ثم انتقل من خطأ في خطأ وفي ضلال نفسه بل إن هذا الخطأ في الإنسان يبقى بعد موته، كما وقع لقوم آخرين، ثم انتقل من هذا الخطأ والضلال إلى أن بقاء النفس البشرية بعد الموت يستدعي سعادتها بما فيه من سعادة، ثم خلص إلى أن سعادتها إنما تكون بمعرفة الله وبالفضائل، وأنها إنما تسقط في الشقاء بالجهل بالله وبارتكاب الرذائل وبنى على ذلك أن من الأعمال ما هو نافع للنفس بعد الموت بتحصيل السعادة ومنها ما هو ضار لها بعده بإيقاعها في الشقاء في صنع عقلي وشرعي يحصر عمل الإنسان بعد ذلك بحكم عقله إلى معرفة الله وحبه وفي جميع الفضائل وما يتبعها من الأعمال مفروضة وأن الرسالة ما يكون عملها محصورة، وأن يصنع لذلك ما يشاء من القوانين لندعو بقية البشر إلى الاعتقاد بمثل ما يعتقده وإلى أن يعمل من الأعمال بمثل ما عمل به بعد شرح تعاريفه

إن أن يكون ذلك حالا لعامة الناس، يعلمون بعقولهم أن معرفة الله وحبه وفي الفضائل هو السعادة في الحياة الأخرى، والرذائل مدار الشقاء فيها، فهذا لا يستطيع عاقل أن يقول به، والمشهود من حال الأمم كافة بضلال القائل به في ذلك

■ ... قد تغلب كثير من البشر من متوحشين وبدائيين صغير وفلاسفة، لا عليلا لا تقوم بهم ويرد على أن النفس الإنسانية بقاء تحتاج به بعد مفارقة البدن وأنها لا تموت موت فناء مطلق وبعد بموت المجموع هو صيرورة من بقوى وحدة وإن اختلفت صورهم في تصوير ذلك البقاء

كذلك قد توهم العقل وشعرت النفوس أن هذا العمر القصير الذي هو منتهى ما للإنسان في الوجود من الأنس بمرتع هذا الجسد كما يترع بقية البدن لم يكن حتى قد فات في طور آخر وإن لم تدرك كنهه

شعور يهيج بالأرواح في تحسس هذا البقاء الأبدي وقد عسى أن يكون عند من وصلت إليه وكيف الأشياء وبين النفس وقد غاب المحبوب وغور النفس شعور بالحاجة إلى استعمال عقولنا في تقويم هذه المعيشة القصيرة لأمم يكفيه في الاستقامة على الصبر لأقوم، بل لرمتب الحاجة إلى التعليم والإرشاد

---

١ تفسير المنار جـ ٣ ص ٣٩٠

وعصاء الأرضة والأعصار في تقويم الأنظار وتعديل الأفكار وإصلاح وجدان وتهذيب الأذهان، ولا يزال إلى الآن من هم هذه بحياة الدنيا في صخرات لا يدري متى يخلص منه وفي شوق إلى مصنعيه لا يعلم متى ينتهي إليها

هذه شأنك في فهم عالم الشهادة فما تؤمل من عقولك وفكرك في تعلم بما في عالم الغيب؟

هل فطرتك التي ابتدئت من استشعار معالم تهتدي بها إلى الغيب وهو في طرق الفكر ما يوصل كل أحد إلى معرفة ما غاب عنه مما يشعر بها، وإن لا تستوحشه من القدوم عليه ولكن لم يوهمك من القوة ما يعقد بقصيص ما اعتقدته فيه ولشوق التي لابد أن تكون عليه بعد معرفة ما هو فيه وإلى معرفة متى من يكون تصريف هذا الشئون؟ هل في استعداد الفطرة ما تحدث إلى اليقين بمنطوقه من الاعتقاد والاعتصام وتجد لكون مجهول تريد وتملك لحدة في عداة المعروض بنفسه إليك؟

كلا فإن الصلة بين تعاشيب نكاد تكون منقطعة في نظر العقل ومرامي الشعور ولا استرابة بينهما الا فيما تتصرف في المعلومات حاضرة لا يوصل إلى النفس بحقائق بل بعلوم مستفيدة فليس من حكمة الصانع الحكيم الذي قدم من الإنسان على قاعدة الإرشاد والتعليم، مدى حياة الإنسان وعلمه الإنسان علمه الكلام بتفاهم والكتاب لتترسل أن يجعل من مراتب الإنس البشرية مرتبة يعد لها تخصص فصله بعض من تصنيفه من خلقه وهو علم حيث يخص رسالته بتمرهم بقطر البسيطة، ويبيح ما وجههم من الكتب في تصفح منه والاستشراق بسوار علمه، والأمانة على مكنون سره، فما هو انكشف بغيرهم انكشافه بهم فخصت له نفسه وهيئت بعقله خلاله وعصمته يشرفون على الغيب بإذنه، ويعلمون ما سيكون من شأن الناس فيه ويكونون في مراتبهم لعبوة على نسمة من الغيب بهيب الشهادة وبداية الخبر فهم في ابتداء كتابهم يبدو من هيئة وهم وقد الآخرة في نفس من نفس من بعد؟ بل ثم تتفاوت من مرتبة إلى مرتبة أعز خلالا وأجل حقا على تعاقب من شهور خصوصة الرتبة بما شاء أن يعقد العناية عليه وقدر أن يكون له مدخر في سعة رحيم الأحوال وفي يبدو لنفس من أحوال الآخرة ما لا يليم من علمه معبرا عنه بما تحتمله طاقة عقولهم ولا يتعدى من منتهى قصدهم، وفي سعة عن سريع غدة تحدد بعد سرهم في تقويم نحوسهم وكنح نهوضهم وتعميمهم من الاعتقاد في هو فوق

سعادتهم وشقائهم في ذلك الكون الفسيح عن مشاعرهم بتفصيله، بلاحق علمه بأعماق ضمائرهم في إجماله ويدخل في ذلك جميع الأحكام المتعلقة بكليات الأعمال، ظاهره وباطنه، ثم يؤيدهم بما لا تبلغه قوى البشر من الآيات، حتى تقوم بهم الحجة ويتم الانتفاع بصدق المرسلة فيكونون بذلك رسلا من الله إلى خلقه مبشرين ومنذرين

لا ريب أن الذي أحسن كل شيء خلقه وابدع في كل كائن صنعه وجاد على كل حي بما إليه حاجته، ولم يحرم من رحمته حقيرا ولا جليلا من خلقه، يكون من رفقه بالنوع الذي أحاط صنعه، وأقدم به من فنون العلم ما يقوم مقام المواهب التي اختص بها غيره، أن يفيده من خبرته، ويخصه من التحفظ في أهم حياته، والصلاح في أفضل حالته..»(1)

■ «إن عقول الناس ليست سواء في معرفة الله تعالى، ولا في معرفة حكمة بعض هذه الأحياء فيهم وإن تفاوتوا في الخضوع لقوة أسمى من قواهم وشعر مجتمعهم يومئذ بعض هذه الأحياء وبكى أفضت الوثنية عقولهم وانحرفت بها عن مسلك السعادة، فليس في سعة العقل الإنساني في الأقطار كافة أن تعرف من الله ما يجب أن تعرف ولا أن تفهم من الحكمة الأخرة ما يسعى أن يفهم ولا أن تقدر لكل نوع من الأعمال جزاءه في تلك الدار الآخرة وإنما قد تتيسر لنا بقليل ممن اختصه الله بكمال العقل ونور البصيرة، وإن لم ينل شرف الاقتداء بهدي النبوي ولو بلغه لكان أسرع الناس إلى اتباعه وهؤلاء إنما يصلون بفكرهم إلى العرفان عن وجه غير مايليق في الحقيقة أن ينظر منه إلى الجلال الإلهي

ثم من أحوال الحياة الأخرى ما لا يمكن للعقل البشري أن يصل إليه وحده، وهو تفصيل الثواب والعقاب وصرف الجزاء على الأعمال وبيان وجه ما بين الأعمال مما لا يمكن أن تعرف وجه الفائدة فيه إلا في هذه الحياة ولا فيما يعرف، كصوم شهر في السنة كما يرى في عدد الركعات وبعض الأعمال في الحج في الديانة الإسلامية، وكبعض الاختلاف في الديانة الموسوية وصوم التوبة والرهبانية في الديانة العيسوية، كل ذلك مما لا يمكن للعقل البشري أن يستقل بمعرفة وجه الفائدة فيه، ويعلم الله أن فيه سعادته

---

1 العصر الجديد ج 3 ص 6 ...

يهدف كل نظام تربوي إلى تنمية قدرات الإنسان وتزكيته وتوجيهه إلى ما هو خير له في الحياتين، ولكل نظام معايير يستعين به في تحديد أحكام الأعمال وتعيين الوجهة في الاعتقاد، فمصدر الأوامر الإلهية ومعرفة ما ينبغي أن يعرف من أحوال الآخرة وبواعثه في وسائل السعادة في الدنيا والآخرة، ولا يكون لهذا المعين سلطان على نفسه حتى يكون من جنسه يفهم عنه ما عنه يعبر، وحتى يكون مختبرا عن سائر الأقوال بما هو أعلى مما عرف في البشر وهو ما عرف في سنة الخليفة ويكون بذلك مذهب علي به يتكلم عن الله الذي يعتقد مصدر العلم فيكون الفهم عنه والثقة به يتكلم عن العلم بحيث يعتبر المعين للعقل على ضبط ما يشتبه عليه أو يدركه من ضعف عن إدراكه وهذا المعين هو النبي [1].

■ «هذه عبادات الإسلام» تتفق على ما يتفق بجلال الله وتلتقي مع المعروف عند العقول السليمة، فالصلاة ركوع وسجود، وحركة وسكون، ودعاء وتضرع وتسبيح وتعظيم، وكلها تصدر عن ذلك الشعور بالسلطان الإلهي الذي يحس بقوة البشرية، ويستغرق الجزء، فتخشع له القلوب، وتستحي له النفوس وتستصغر شيء يعلو على متناول العقل إلا بحق تحديد عند الركعات، ورمي الجمرات، على أنه مما يسهل التسليم فيه لحكمة العليم الخبير، وليس فيه من ضرر العقل واستخذاله المعنى ما يخل بالأصول التي وضعها الله للعقل في تفهم وتفكر

أما الصوم فحرمان يقصد به أمر الله في النفس وتعرف به مقدار النعم عند فقدها، وحكمة الإحساس الإلهي في التعبد به ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ البقرة ١٨٣

أما أعمال الحج فهي أكبر للإنسان والبشر جميعا وتعبد به المتقدمين المساواة بين أفراده، ولو في العمر مرة يرتفع فيها الأمير بين العبيد والفقير والصعلوك والأمير، ويصهر الجميع في معرض واحد عراة أذلاء متجردين من آثار الصنعة وحدت بينهم للعبودية لله رب العالمين، كل ذلك مع استشعارهم في الطواف والسعي والوقوف ولمس الحجر ذكرى مواقف عليه السلام وهو أبو البشر وهو أبو سلالتهم المسلمين واستقرار بعضهم على ما لا شيء من شأنه أن يكتب الشريعة يصبر ويتبع وشعارهم الدائم الكريم في كل عمل الله أكبر

---

[1] محمد السيد ج ٣ ص ٣٩٦ ٣٩٧

ان هذا كله قد بعد في عقائد قوم آخرين نقص فيه العقل وتتعثر معها خواص البشر البشرية والوجدانية

■ «كذلك يبين الله لكم آياته» البقرة ٢١٩ معناه «في شأن حكمة الله تبارك وتعالى في الأحكام المتعلقة بمصالحكم ومنافعكم وبالنظر في وجوه عفوكم عن الزائد في الأشياء من المقدار والمنافع «لعلكم تتفكرون» فتظهر لكم المصالح والمفاسد والراجح والمرجوح فتعلمون أنه قد شرع فيكم ما شرع لكم على بصيرة واقتناع بأنكم فهمتم ما فيه المصلحة، كما يبين لكم آياته التشريعية فتعرفون رحمته بكم ثم يرشدكم ويعلمكم ما لا تعلمون له قصد برعايتها لأرواحكم وعقولكم ونفوسكم بتيسير فهمكم حكم الأحكام وأسرارها وهذا كله إلى استعمال عقولكم فيما تتوقف عليه هدايته عقولا وروحا لا يتفقوه سببه أو تدفعوا عنه الضرر فربه على عليم بنفسه حكيم بأدلته عزيز بقدرته»

الإسلام هادٍ وموجه إلى توسيع دائرة الفكر وتشغيل العقل في مجالات أخرى[٢]

«ونحن لا نحتج على ما ورد في تركيب الجنين وتطوره الذي جاء به نبينا عليه السلام، وإنما نقف عند الوحي لا نزيد ولا ننقص[٣] والتصديق بذلك لا يتوقف على معرفة كيفيته فإن كثيرا من المصدقين بالنبي لا يعرف حقيقته وكنهه، ولا كيفية تكوينه وإيجاده»[٤]

■ «إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما» ولقد تبين بالكتاب والسنة لكل ذي لب أن ما ذهبوا إليه من هذا هو الذي سلكه أسلافهم فمن ذلك قول المعتزلة إنه يجوز أن يظلم على الله تعالى لأنه لو لم يكن جائزا لما تمدح بنفيه، ورد عليهم الآخرون بأنه تعالى نفى عن نفسه السنة والنوم وأنهم متفقون معنا على استحالة ذلك عليه، فردوا عليهم بأن نفي الصمم كلام في الفعل ونفي النوم كلام في صفته وهيهات بينهما

---

(١) تفسير المنار ج ٢ ص ٢٠٢

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٩٦

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٩٦

(٤) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٩٦

وهذا كله من الجدل الباطل والهذيان وإدخال الفلسفة في الدين بغير عقل ولا بيان، ومثله قول بعض المنتمين إلى السنة بجواز تخلف الوعيد، ولا يعد ذلك ظلما لأن الظلم لا يتصور منه تعالى، وبلغ بهم الجهل من تأييد هذا الرأي إلى تجويز الكذب على الله تعالى، وجعلوا هذا نصرًا للسنة والذي قذف بهؤلاء في هذه المهاوي هو الجدل والمراء لتأييد المذاهب التي تقلدوها والتزام كل فريق تقليد الآخر وإظهار خطئه لا طلب الحق أينما ظهر، ولهم مثل هذه الجهالات الكثير البعيد عن كتاب الله ودينه كقول المعتزلة إن بعض الأشياء حسن لذاته وبعضها قبيح لذاته ويجب على الله تعالى أن يفعل الأصلح من الأمرين ثم الزبر وكقول بعض من لم يفهم مسألة أفعال العباد بما يدل على جواز العبث على الله تعالى وكل هذا جهل

والذي نفهم من الآية أن هناك حقيقة ثابتة في نفسها وهي الظلم وأن هذا لا يقع من الله تعالى لأنه من النقص الذي يتنزه عنه، وهو ذو الكمال المطلق والفضل العظيم وقد خلق للناس مشاعر يدركون بها وعقولا يهتدون بها إلى ما لا يدركه الحس وشرع لهم من أحكام الدين وآدابه ما لا يستقل عقولهم بالوصول إلى مثله في هدايتهم وحفظ مصالحهم وجعل فوائد الدين وآدابه سابقة إلى الخير صارفة عن الشر لتأييدها بالوعد والوعيد فمن وقع بعد ذلك فيما يضره ويؤذيه وترتبت عليه عقوبته كان هو الظالم لنفسه لأن الله لا يظلم أحدا »[1]

* * *

[1] المصدر السابق ج٥ ص ٢٢٣، ٢٢٤

وأخيرًا..
شهد شاهد من أهلها

وإذا كنا قد قدمنا في هذا الكتاب

١ - الدراسة التي أوجزت الحديث عن ماهية العقل في الرؤية الإسلامية وجذور العقلانية عندما ظهر الإسلام، وشيوع النزعة العقلية المؤمنة بين مذاهب الإسلام، على امتداد تاريخ الحضارة الإسلامية - باستثناء حقبة التراجع الحضاري، التي أعقبتها مرحلة الإحياء والتجديد - في عصرنا الحديث - تلك التي شهدت ظهور النزعة العقلية الإسلامية من جديد.

٢ - والنصوص التراثية التي تمثل «ديوان العقلانية الإسلامية» كما تجلت لدى مختلف تيارات الفكر الإسلامي عبر تاريخنا الحضاري.

فإننا نختم هذا الكتاب بشهادات غربية على عقلانية الدين الإسلامي تلك التي ميزت هذا الدين عن سواه، حتى لقد كانت أمضى الأسلحة التي انتشر بها الإسلام، وحقق عالميته في وقت قياسي غير معهود ولا مسبوق في تاريخ انتشار الشرائع والديانات.

وهذه الشهادات الغربية قدمها وأعلنها خمسة من أعلام الفكر والفلسفة واللاهوت في الحضارة الغربية، وهم:

١ - العلامة «سير توماس ارنولد» (١٨٦٤ - ١٩٣٠م) أستاذ أساتذة الاستشراق، وصاحب الكتاب العمدة «الدي كان ولايزال أوثق المصادر التي رصدت انتشار الإسلام في العالم» (كتاب الدعوة إلى الإسلام).

٢ - والبروفسور «إدوارد مونتيه» (١٨٥٦ - ١٩٢٧م) المستشرق الفرنسي الذي ترجم القرآن الكريم إلى الفرنسية، وألف في (حاضر الإسلام ومستقبله).

٣ - والأب «مرتسي» (١٦١٢ - ١٧٠٠م) اللاهوتي الكاثوليكي الأيوبي الذي نشر

قرر الكرنك ... وترجمه ... للانجليزية ... في ترجمة العهد القديم ... وتحدث فكر خير بادعاءات السماوية لليهود ... وفي مقارنة بين

٤ والأمير الايطالي المستشرق «لوي كايتاني» ١٨٦٩ - ١٩٢٦م ... في الدراسات الإسلامية، وفي تحقيق نصوص التراث الإسلامي

٥ والعلامة الأمريكي «جون ... بلوز» (١٧٥٣ - ١٨٢٤م) المبرز في الفلسفة السياسية، ومن أبرز الذين درسوا نظرية الحقوق والواجبات

نقدم سطورًا من شهادات هؤلاء العلماء الأعلام عن عقلانية الإسلام وذلك ليتكامل - في هذا الكتاب - الدراسة والنصوص الشاهدة على عقلانية الإسلام، وعلى تأثير هذه العقلانية الإسلامية عن تصدره على الأسس الفكرية والفلسفية والدينية الأخرى، وتمثلت بالوسطية الجامعة والعالمية والحوارية في هذا الميدان الذي حارت فيه العقول على امتداد تاريخ الفكر الإنساني والحضارات الإنسانية

* * *

■ لقد قال العلامة سير توماس أرنولد (١٨٦٤ - ١٩٣٠م)

ولا يستطيع أي قارئ ... يتصف العقل للعقيدة الإسلامية وهي جزء من هذا الصنع من العقيدة في بساطة دعوة توصف بأنها على الأعلى، كما وصفه البروفسور ... وارد موبيه[1] (١٨٥٦ - ١٩٢٧م) ... في الجزء الثاني

«الإسلام في جوهره ... هو عقلي ... ووسع معاني هذه الكلمة ... بالتحديد الاشتقاقية والتاريخية، في تعريف الأسلوب العقلي ... [illegible] ... تقدم العقيدة ... مبنية على أساس من ... تستمد من العقل ... ينصح على الإسلام بعدم الاعتماد ... على ... محتوى كل العقائد التي ... على ... مجموعة من العقائد قائمة على أساس عقلية والبعض ... الأخر ... بالله ... لأجزاء في الإسلام ... تستمر في نفس الأساس ... ثبت من العقل ويتصور ويلخص كل العالم بعقيدة ... حتى ... بها ... ما ... فإن ... تتم ... وتوضيحها لهي على وجه التحقيق من صور الحوار ... في الدين وفي بساطة دعوة إلى الإسلام

---

١ موبيه مستشرق فرنسي ترجم القرآن إلى الفرنسية [illegible]

لقد حفظ القرآن منزلته من غير أن يطرأ عليه تغيير أو تبديل بعشرة نقطة الأساسية التي بدأت منذ تعاليم هذه العقيدة وقد جهر بقوة بهذه الوحدانية في عظمة وجلال وصفاء لا نظيره لتحدي ومن المستشرقين من يرى في الإسلام ما يفوق تلك المزايا وهي هذه تكثر الأسباب لكثيرة التي تفسر نجاح جهود الدعاة المسلمين

وكان من المتوقع بعقيدة محدده كل البعد عن كل أنواع من هذه المعتقدات الخلقية ثم هي بعد ذلك في متناول إدراك شخص بعادي ا تمسك، وسهل للعمل فعلا، فهو عجيب، لا يكتسب عريقها إلى صعوبة الدرس

■ وغير شهادة هذا العالم الفرنسي المولنية المتخبر بالغرب والإسلام والمتخبر بالكنه بكثير بورد بعلامة سير توماس ارنولد شهادة اللاهوتي الإنجليزي الأستاذ مرتسي Marrasi ١٦١٢ ١٧٠٠م وهو الذي نشر القرآن مترجمة إلى اللاتينية كما أسهم في ترجمة لعهدين القديم والجديد بورد ارنولد شهادة عرتشي» على عقلانية الإسلام، والتي يقول فيها

«لو قارن إنسان بين أسرار الحالة الطبيعية البسيطة التي وقفت طاقة الذكاء البشري والتي هي على الأقل من الصعوبة بمكان إن لم تكن مستحيلة العقيدة المسيحية) – وبين عقيدة القرآن لانصرف عن الأولى في بساطة وسرع إلى بتأنية في ترحيب وقبول..

■ وغير هاتين الشهادتين عربيتين على تميز الإسلام وامتيازه في العقلانية بل وتفرده بها وخاصة إذا ما قورن بالنصرانية يورد بعلامه سير توماس ارنولد شهادة عربيه على هذه بعقلانية الإسلامية في سر قوة هذا الدين الذي شهدته هذه العقيدة الإسلامية

يورد شهادة الأمير والمستشرق الروسي كاتدانس نيوبر ١٨٦٩م / ١٩٣٦م) وهو المتعمق في الإسلام ودراسة الإسلامية وصفحة الأخيرة المتعمقة في تحقيق التراث الإسلامي التي يعزو فيها انتشار الإسلام غير بصري لكونه شرقية بحتة تتسجم شعور واستيعاب مع نفسية هذه الشعوب التي حسبت الروح الجنسية مع اللاهوت المسيحي

أما الشرق، الذي عرف بحبه للأفكار الواضحة البسيطة، فقد كان يتقزز من الفلسفة اليهلسة ولا عجب من توجيه الأنبياء لأنهم حاولوا تعليم المسيح البسيطة السامية إلى عقيدة محفوفة بمذاهب غوغائية مبنية بالسكوت والشبهات فأدى ذلك إلى خلق شعور من اليأس بل وعزوف أصول العقيدة الدينية ذاتها.

فلما أهل خير الأمر بناء الوحي الجديد فجأة من الصحراء ثم بعد المسيحية الشرقية التي اختلطت بالغش والتزييف وغرقت بعض الاضطرابات الداخلية وبرعت قوى الأباطرة واستولى على رجالها اليأس والقنوط من مثل هذه الترب ثم بعد المسيحية بعد ذلك قدرة على مقاومة عزم هذا الدين الجديد الذي لا تعصره من صريته كل الشكوك بتفهه وقدم مرة أخرى حياته إلى جانب صدقه الواضحة البسيطة التي لا تقبل الجدل، وحينئذ ترك السرو المسيحية وارتمى في أحضان نبي بلاد العرب».

«وعلى هذه الشهادة الوثيقة يكتب على أن عقلانية الإسلام هي السر في انتشاره السريع وانتصاره على اللاعقلانية المسيحية قدم أرنولد شهادة الفيلسوف الأمريكي «جون تيلور» (١٧٥٣ - ١٨٣٤م) والتي يقول فيها:

«إنه من العسير أن ندرك لماذا استسلم هذا الدين الجديد بهذه السرعة في الشرق واستمر».

كان أئمة اللاهوت في الفرقة واسمه قد استغلوا عقيدة المسيح عقيدة مضطربة غوغائية ذلك أنهم حاولوا أن يحاربوا من هذا العنصر من قصة التوضيح فصل الغربيون في العصور الوسطى وسمو الكنيسة إلى مرتبة الملائكة فكان عترف العالم هو الطريق إلى القداسة والقداسة صفة لصيقة الرهبنة، وكان الناس في الواقع مشركين يعبدون رموزه من شهداء والقديسين والملائكة كما كانت الطبقات العليا محنطة تشيع فيها الفساد، والطبقات الوسطى مرهقة بالضرائب، ولم يكن للعبد أمل في خلاصهم ولا مستقبلهم فقرر الإسلام، بعون من الله هذه المجموعة من الفساد والخرافات بعد كل ثورة على المجادلة جوفاء في العقيدة وجعله قوة صلبة تحترم بهيبته دعائم رأس الغوى، وقد نبه أصول الدين التي تقوم بوحدانية الله وعظمته كما بين أن الله رحيم عادل يدعو

الناس إلى الامتثال لأمره، والإيمان به وتفويض الأمر إليه وأعلن أن المرء مسئول، وأن هناك حياة أخرى ويومًا للحساب، وأعد للأشرار عقابًا أليمًا، وفرض الصلاة والزكاة والصوم وفعل الخير، ونبذ الفضائل الكاذبة والدخل الديني والترهات والنزعات الأخلاقية الضالة وسفسطة المنازعين في الدين، وأحل الشجاعة محل الرهبنة ومنح العبيد رجاء، والإنسانية إخاء، ووهب الناس إدراكًا للحقائق الأساسية التي تقوم عليها الطبيعة البشرية»[1]

* * *

(١) أرنولد (الدعوة إلى الإسلام) ص ٨٩ [illegible] ترجمة د. حسن [illegible] إبراهيم حسن [illegible] عبد المجيد عابدين إسماعيل البحراوي [illegible] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م وانظر كتاب الإسلام في عيون غربية ص ٨٧، ٨٨، ٩٩ [illegible] ١٠

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- كتب السنة

١ صحيح البخاري – طبعة دار الشعب القاهرة

٢ – صحيح مسلم طبعه القاهرة سنة ١٩٥٥م

٣ سنن الترمذي – طبعة القاهرة سنه ١٩٣٧م

٤ - سنن النسائي طبعة القاهرة سنة ١٩٧٤م

٥ سنن ابن ماجه طبعة القاهرة سنة ١٩٥٢م

٦ سنن ابن ماجه طبعة القاهرة سنه ١٩٧٢م

٧ سنن الدارمي طبعه القاهرة سنة ١٩٦٦م

٨ مسند الامام احمد طبعة القاهرة سنه ١٣١٣هـ

٩ موطأ الامام مالك طبعة دار الشعب القاهرة

- معاجم القرآن والسنة

١ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم وضعه محمد فؤاد عبد الباقي طبعة دار الشعب القاهرة

٢ معجم الفاظ القرآن الكريم وضعه مجمع اللغة العربية طبعه القاهرة سنه ١٩٧٠م

٣ المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي الشريف وضع ونسنك أو وحرس طبعه ليد سنه ١٩٣٦ سنة ١٩٦٩م

٤ مفتاح كنوز السنة وضع ونسنك الى ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي طبعة لاهور سنه ١٣٩١هـ سنه ١٩٧١م

ابن تيمية [illegible] موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول طبعة القاهرة سنة ١٣٢١هـ

(منهاج السنة النبوية) طبعة القاهرة سنة ١٣٢١هـ

(كتاب الرد على المنطقيين) طبعة دار المعرفة [illegible]

(الفتاوى) طبعة الرياض – سنة ١٣٨١هـ

ابن رشد (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) دراسة وتحقيق د. محمد عمارة، طبعة القاهرة سنة ١٩٨٣م

(تهافت التهافت) طبعة القاهرة سنة ١٩٠٣م

(مناهج الأدلة في عقائد الملة) دراسة وتحقيق د. محمود قاسم طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م

ابن منظور [illegible] (لسان العرب) طبعة دار المعارف القاهرة سنة ١٩٨١م

د. أحمد شلبي (مقارنة الأديان) طبعة القاهرة

أرنولد [illegible] (الدعوة إلى الإسلام) ترجمة. د. حسن إبراهيم حسن، د. عبد [illegible] إسماعيل النحراوي طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م

الإسفرايني (التبصير في الدين)

الأفغاني – جمال الدين (الأعمال الكاملة) دراسة وتحقيق د. محمد عمارة طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م

(الآثار الكاملة) إعداد سيد هادي خسرو [illegible] د. محمد عمارة [illegible] طبعة القاهرة سنة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م

البلخي، القاضي عبد الجبار [illegible] الحاكم الجشمي [illegible] الاعتزال وطبقات المعتزلة تحقيق فؤاد سيد – طبعة تونس سنة ١٩٧٢م

الجاحظ (كتاب الحيوان) تحقيق عبد السلام هارون [illegible] القاهرة الطبعة الثانية

(رسائل الجاحظ) تحقيق عبد السلام هارون طبعة القاهره

حب (دراسات في حضارة الإسلام) طبعة بيروت سنة ١٩٦٤م

الحبرتي (مظهر التقديس بزوال دوله الفرنسيس) تحقيق حسن محمد جوهر، عمر الدسوقي طبعة القاهرة سنة ١٩٦٩م

الجرجاني الشريف (التعريفات) طبعه القاهرة سنه ١٩٣٨م

جنوم - أنفريد (الفلسفه وعلم الكلام) ضمن كتاب (تراث الإسلام) ترجمة جرجيس فتح الله - طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م

الراغب الأصفهاني (كتاب الذريعة في مكارم الشريعة) تحقيق د أبو اليزيد العجمي - طبعة القاهرة سنة ١٤٠٨هـ سنة ١٩٨٧م

روبرت أغروس، جورج ستانسيو (العلم في منظوره الجديد) ترجمة كمال خلايلي طبعة الكويت سنة ١٩٨٩م

الشاطبي (الموافقات) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - طبعة القاهره

د. صبري أبو الخير سليم تاريخ مصر في العصر البريطاني طبعة القاهره سنة ٢٠٠٠م

الطهطاوي (الأعمال الكاملة) دراسة وتحقيق د. محمد عماره طبعه بيروت سنة ١٩٧٣م

د. علي فهمي خشيم (الحسابيان أبو علي وأبو هاشم) طبعه منشورات الجامعة سنة ١٩٦٨م

الغزالي - أبو حامد (الاقتصاد في الاعتقاد) طبعة القاهرة مكتبة صبيح بدون تاريخ

(مشكاة الأنوار) طبعة القاهرة سنة ١٩٠٧م

(رساله الغزالي إلى ملك شاة في العقائد) طبعة القاهرة سنة ١٩٠٧م

(المضنون به على غير أهله) طبعة مكتبة الجندي ضمن مجموعة (الجوهر الغوالي من رسائل الإمام الغزالي) القاهرة بدون تاريخ

فسيف فرج، يوسف كرباج (المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي) ترجمة بشير السباعي – طبعة القاهرة سنة ١٩٩٤م

الكفوي أبو البقاء (الكليات) تحقيق د. عدنان درويش محمد المصري طبعة دمشق سنة ١٩٨١م

الماوردي. (أدب القاضي) – طبعة بغداد سنة ١٩٧١م

(أدب الدنيا والدين) طبعة القاهرة سنة ١٩٧٣م

المحاسبي الحارث بن أسد (مهية العقل وحقيقة معناه) دراسة وتحقيق حسين القوتلي طبعة بيروت سنة ١٣٩٨هـ سنة ١٩٧٨م

(فهم القرآن) دراسة وتحقيق حسين القوتلي – طبعة بيروت سنة ١٣٩٨هـ سنة ١٩٧٨م

محمد عبده الأستاذ الإمام (الأعمال الكاملة) دراسة وتحقيق د. محمد عمارة طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م وطبعة القاهرة ٢٠٠٥م

وطبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م. وطبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦م

د. محمد عمارة (الإسلام في عيون غربية) طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٥م

المسعودي. (التنبيه والإشراف) طبعة بيروت

يوحنا نقيوسي (تاريخ مصر ليوحنا نقيوسي) ترجمة ودراسة د. عمر صابر عبد الجليل – طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م

المؤلف

■ الدكتور محمد عمارة ■

١ - سيرة ذاتية في نقاط

• مفكر إسلامي ومؤلف ومحقق وعضو «مجمع البحوث الإسلامية» بالأزهر الشريف.

• ولد بريف مصر ببلدة «صروه»، مركز «قلين» محافظة كفر الشيخ في ٢٧ من رجب سنة ١٣٥٠ هـ - ٨ من ديسمبر سنة ١٩٣١م - في أسرة ميسورة الحال، مادياً، تحترف الزراعة، وملتزمة دينياً.

• قبل مولده، كان والده قد نذر لله إذا جاء المولود ذكراً أن يسميه محمداً وأن يهبه للعلم الديني أي يطلب العلم في الأزهر الشريف.

• حفظ القرآن وجوده بـ «كتاب القرية» مع تلقي العلوم المدنية الأولية بمدرسة القرية - مرحلة التعليم الإلزامي.

• في سنة ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥م التحق بـ «معهد دسوق الديني الابتدائي» التابع للجامع الأزهر الشريف -، ومنه حصل على شهادة الابتدائية سنة ١٣٦٨ هـ ١٩٤٩م.

• وفي المرحلة الابتدائية - النصف الثاني من أربعينيات القرن العشرين - بدأت تتفتح وتنمو اهتماماته الوطنية والعربية والإسلامية، والأدبية والثقافية، فشارك في العمل الوطني - قضية استقلال مصر، والقضية الفلسطينية - بالخطابة في المساجد والكتابة - نثراً وشعراً - وكان أول مقال نشرته له صحيفة «مصر الفتاة» بعنوان «جهاد» - عن فلسطين - في أبريل سنة ١٩٤٨م - وتطوع للتدريب على حمل السلاح ضمن حركة مناصرة القضية الفلسطينية، لكن لم يكن له شرف الذهاب إلى فلسطين.

• في سنة ١٩٤٩، التحق بمعهد طنطا الأحمدي الديني الثانوي [illegible] للجامع الأزهر الشريف، ومنه حصل على الثانوية الأزهرية سنة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤م

• وواصل في مرحلة الدراسة الثانوية اهتماماته السياسية والأدبية والثقافية، ونشر شعرًا ونثرًا في صحف ومجلات مصر الفتاة، و[illegible] و«المصري»، و«الكاتب» وتطوع للتدرب على السلاح بعد العمل بمعاهدة ١٩٣٦م في سنة ١٩٥١م

• في سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤م التحق بكلية دار العلوم جامعة القاهرة وفيها تخرج، ونال درجة «الليسانس» في اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وبعد تأخر تخرجه - بسبب نشاطه السياسي - إلى سنة ١٩٦٥ بدلا من سنة ١٩٥٨م

• وواصل في مرحلة الدراسة الجامعية نشاطه الوطني والأدبي والثقافي فشارك في المقاومة الشعبية بمنطقة قناة السويس إبان مقاومة الغزو الثلاثي لمصر سنة ١٣٧٥ هـ ١٩٥٦م

• ونشر المقالات في صحيفة «المساء» - المصرية ومجلة «الآداب» البترولية، وألف ونشر أول كتبه عن «القومية العربية» سنة ١٩٥٨م

• وبعد التخرج من الجامعة، أعطى كل وقته تقريبا وجميع جهده للمشروع الفكري، فجمع وحقق ودرس الأعمال الكاملة لأبرز أعلام النهضة الإسلامية الحديثة: رفاعة رافع الطهطاوي، وجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وعبد الرحمن الكواكبي، وعلي مبارك، وقاسم أمين، وكتب الكتب والدراسات عن أعلام التجديد الإسلامي، مثل الدكتور عبد الرزاق السنهوري باشا، والشيخ محمد الغزالي، وعمر مكرم، ومصطفى كامل، وخير الدين التونسي، و[illegible] وعبد الحميد بن باديس، ومحمد الخضر حسين، وأبي الأعلى المودودي، وحسن البنا، وسيد قطب، والشيخ محمود شلتوت، والبشير الإبراهيمي، إلخ

• ومن أعلام الصحابة الذين كتب عنهم عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأبو ذر الغفاري، وأسماء بنت أبي بكر، كما كتب عن تيارات الفكر الإسلامي - القديمة والحديثة - وعن أعلام التراث الإسلامي، مثل غيلان الدمشقي، والحسن البصري، وعمرو بن عبيد، والنفس الزكية محمد بن الحسن، وعلي بن محمد، والماوردي، وابن رشد (الحفيد)، والعز بن عبد السلام، إلخ

• وتناولت كتبه التي تحاورت المدنيين أسسه المميزة لحضارة الإسلامية والمشروع الحضاري الإسلامي ومواجهته مع الحضارات المعاصرة والمعاصرة وتيارات العلمانية والغربية وصفحات العدل الاجتماعي الإسلامي والعقلانية الإسلامية

• وحاور وناصر العديد من أصحاب المشاريع الفكرية الوافدة

• وحقق عدداً من نصوص التراث الإسلامي القديم منه والحديث

• وكجزء من عمله العلمي ومشروعه الفكري، حصل - من كلية دار العلوم في العلوم الإسلامية تخصص الفلسفة الإسلامية على الماجستير سنة ١٣٩٠هـ / سنة ١٩٧٠م بأطروحته عن «المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية» وعلى الدكتوراه سنة ١٣٩٥هـ / سنة ١٩٧٥م بأطروحة عن «الإسلام وفلسفة الحكم»

• أسهم في تحرير العديد من الدوريات الفكرية المتخصصة وشارك في العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية في وطنه العربي وعالم الإسلام وخارجه كما أسهم في تحرير العديد من الموسوعات السياسية والحضارية والعامة، مثل «موسوعة السياسة» و«موسوعة الحضارة العربية» و«موسوعة الشروق» و«موسوعة المفاهيم الإسلامية» و«الموسوعة الإسلامية العامة» و«موسوعة الأعلام» إلخ

• نال عضوية عدد من المؤسسات العلمية والفكرية وانتخب منها: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر والمعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، و«مركز الدراسات الحضارية» بمصر والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية «مؤسسة آل البيت» بالأردن و«مجمع البحوث الإسلامية» بالأزهر الشريف

• حصل على عدد من الجوائز والأوسمة والشهادات التقديرية والدروع منها: جائزة جمعية أصدقاء الكتاب ببيروت سنة ١٩٧٢م وجائزة الدولة التشجيعية بمصر - سنة ١٩٧٦م ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى بمصر سنه ١٩٧٦م وجائزة على وعثمان حافظ للفكر العام سنه ١٩٩٣م وجائزة المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية سنه ١٩٩٧م ووسام الاستحقاق القومي الإسلامي لقائد مؤسس سنه ١٩٩٨م وجائزة مؤسسة أحمد كانو للدراسات الإسلامية بالبحرين سنة ٢٠٠٥م

• جاوزت أعماله الفكريه تأليفًا وتحقيقًا – مائتى كتاب، وذلك غير ما نشر له فى الصحف والمجلات

• ترجم العديد من كتبه إلى العديد من اللغات الشرقيه واللغربية مثل التركية، والصلاوية، والفارسيه، والأورديه، والإنجليزية، والفرنسية، والروسية، والإسبانية، والألمانية، والألبانية، والبوسنية

• الاسم رباعيًا محمد عمارة مصطفى عمارة

• والعنوان جمهوريه مصر العربية – ١٣ ب شارع كورنيش النيل امتداد – القاهرة – هاتف ٢٢٠٥٥٦٦١ فاكس ٢٢٠٥٥٦٦٢

• • •

٢ - ثبت بأعماله الفكرية

تأليف

١ معالم المنهج الإسلامى دار الشروق القاهرة سنة ٢٠٠٨م

٢ الإسلام والمستقبل – دار الشروق – القاهرة سنه ٢٠٠٨م

٣ – العلمانية ونهضتنا الحديثه دار الشروق – القاهرة سنة ٢٠٠٨م

٤ – معارك العرب ضد العراة – دار الرشاد القاهرة سنة ١٩٩٨م

٥ العوده الجديده على الإسلام – دار نهضة مصر القاهره سنه ٢٠٠٨م

٦ جمال الدين الأفغانى بين حقائق التاريخ وأكاذيب لويس عوض دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧م

٧ - الشيخ محمد الغزالى الموقع الفكرى والمعارك الفكريه دار الرشاد - القاهرة سنه ١٩٩٨م

٨ الوعى بالتاريخ وصنعه التاريخ دار الرشاد القاهره سنه ١٩٩٧م

٩ - التراث والمستقبل – دار الرشاد القاهرة سنة ١٩٩٧م

١٠ الإسلام والتعدديه التنوع والاختلاف فى عصر الوحده مكتبه الشروق الدولية – القاهرة سنه ٢٠٠٧م

١١ - الإبداع الفكرى والخصوصية الحضارية - دار نهضة مصر - القاهرة سنة ٢٠٠٧م

١٢ - الدكتور عبد الرزاق السنهورى باشا إسلامية الدولة والمدنية والقانون - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٩م

١٣ - الإسلام وسياسة الرد على شبهات العلمانيين - مكتبة الشروق الدولية - القاهرة سنة ٢٠٠٧م وطبعة مركز الراية - جدة - سنة ٢٠٠٤م

١٤ - الإسلام وفلسفة الحكم - دار الشروق - سنة ٢٠٠٦م

١٥ - معركة الإسلام وأصول الحكم - دار الشروق - سنة ٢٠٠٥م

١٦ - الإسلام والفنون الجميلة - دار الشروق - سنة ٢٠٠٥م

١٧ - الإسلام وحقوق الإنسان - دار الشروق - سنة ٢٠٠٦م وطبعة مركز الراية - جدة - سنة ٢٠٠٤م

١٨ - الإسلام والثورة - دار الشروق - سنة ٢٠٠٦م

١٩ - الإسلام والعروبة - دار الشروق - سنة ١٩٨٨م

٢٠ - الدولة الإسلامية بين العلمانية والنهضة الدينية - دار الشروق - سنة ٢٠٠٧م

٢١ - هل الإسلام هو الحل؟ لماذا؟ وكيف؟ - دار الشروق - سنة ٢٠٠٧م

٢٢ - سقوط الغزو العلمانى - دار الشروق - سنة ٢٠٠٢م

٢٣ - الغزو الفكرى وهم أم حقيقة؟ - دار الشروق - سنة ٢٠٠٦م

٢٤ - الطريق إلى اليقظة الإسلامية - دار الشروق - سنة ١٩٩٠م

٢٥ - تيارات الفكر الإسلامى - دار الشروق - سنة ٢٠٠٧م

٢٦ - الصحوة الإسلامية والتحدى الحضارى - دار الشروق - سنة ٢٠٠٥م

٢٧ - المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية - دار الشروق - سنة ١٩٨٨م

٢٨ - عندما أصبحت مصر عربية إسلامية - دار الشروق - سنة ٢٠٠٥م

٢٩ - العرب والتحدى - دار الشروق - سنة ١٩٩١م

٣٠ - مسلمون ثوار - دار الشروق - سنة ٢٠٠٦م

٣١ - التفسير الماركسى للإسلام - دار الشروق - سنة ٢٠٠٥م

٣٢ الإسلام بين التنوير والتزوير - دار الشروق - سنة ٢٠٠٢م
٣٣ التيار القومي الإسلامي - دار الشروق - سنة ١٩٩٦م
٣٤ الإسلام والأمن الاجتماعي - دار الشروق - سنة ٢٠٠٧م
٣٥ الأصولية بين العرب والإسلام - دار الشروق - سنة ٢٠٠٦م
٣٦ الجامعة الإسلامية والفكرة القومية - دار الشروق - سنة ١٩٩٤م
٣٧ قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية - دار الشروق - سنة ١٩٩٣م
٣٨ عمر بن عبد العزيز - دار الشروق - سنة ٢٠٠٧م
٣٩ جمال الدين الأفغاني: موقظ الشرق - دار الشروق - سنة ٢٠٠٧م
٤٠ محمد عبده: تجديد الدنيا بتجديد الدين - دار الشروق - سنة ٢٠٠٧م
٤١ عبد الرحمن الكواكبي - دار الشروق - سنة ٢٠٠٧م
٤٢ أبو الأعلى المودودي - دار الشروق - سنة ١٩٨٧م
٤٣ رفاعة الطهطاوي - دار الشروق - سنة ٢٠٠٧م
٤٤ علي مبارك - دار الشروق - سنة ٢٠٠٧م
٤٥ قاسم أمين - دار الشروق - سنة ١٩٨٨م
٤٦ التحرير الإسلامي للمرأة - دار الشروق - سنة ٢٠٠٢م
٤٧ الإسلام في عيون غربية - دار الشروق - سنة ٢٠٠٦م
٤٨ الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية - دار الشروق - سنة ٢٠٠٢م
٤٩ في فقه الصراع على القدس وفلسطين - دار الشروق - سنة ٢٠٠٧م
٥٠ معركة المصطلحات بين العرب والإسلام - نهضة مصر - القاهرة - سنة ٢٠٠٦م
٥١ الإسلام وتحديات العصر - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٤م
٥٢ الإسلام في مواجهة التحديات - نهضة مصر ٢٠٠٦م
٥٣ القدس الشريف رمز الصراع ونوبة الانتصار - نهضة مصر - القاهرة - سنة ٢٠٠٦م
٥٤ هذا الإسلام خلاصات الأفكار - دار الوفاء - سنة ٢٠٠٠م

٥٥ - الصحوة الإسلامية فى عيون غربية – نهضة مصر – سنة ١٩٩٧م

٥٦ – الغرب والإسلام – نهضة مصر – سنة ١٩٩٧م

٥٧ – أبو حيان التوحيدى – نهضة مصر – سنة ١٩٩٧م

٥٨ – ابن رشد بين الغرب والإسلام – نهضة مصر – سنة ١٩٩٧م

٥٩ – الانتماء الثقافى – نهضة مصر – سنة ١٩٩٧م

٦٠ – التعددية، الرؤية الإسلامية والتحديات الغربيّة – نهضة مصر – سنة ١٩٩٧م

٦١ – صراع القيم بين الغرب والإسلام – نهضة مصر – سنة ١٩٩٧م

٦٢ – الدكتور يوسف القرضاوى المدرسة الفكريّة والمشروع الفكرى – نهضة مصر – سنة ١٩٩٧م

٦٣ – عندما دخلت مصر فى دين الله – نهضة مصر – سنة ١٩٩٧م

٦٤ – الحركات الإسلامية رؤية نقدية – نهضة مصر – سنة ١٩٩٨م

٦٥ – المنهج العقلى فى دراسات العربية – نهضة مصر – سنة ١٩٩٧م

٦٦ – النموذج الثقافى – نهضة مصر – سنة ١٩٩٨م

٦٧ – تحديد الدنيا بتجديد الدين – نهضة مصر – سنة ١٩٩٨م

٦٨ – الثوابت والمتغيرات فى فكر اليقظة الإسلاميّة الحديثة – نهضة مصر – سنة ١٩٩٧م

٦٩ – نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم – نهضة مصر – سنة ١٩٩٨م

٧٠ – التقدم والإصلاح بالتنوير الغربى أم بالتجديد الإسلامى؟ – نهضة مصر – سنة ١٩٩٨م

٧١ – الحملة الفرنسية فى الميزان – نهضة مصر – سنة ١٩٩٨م

٧٢ – الحضارات العالمية تدافع أم صراع؟ – نهضة مصر – سنة ١٩٩٨م

٧٣ – إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين – نهضة مصر – سنة ١٩٩٨م

٧٤ – القدس بين اليهودية والإسلام – نهضة مصر – سنة ١٩٩٩م

٧٥ – الأقليات الدينية والقومية تنوع ووحدة أم تقييد واختراق – نهضة مصر – سنة ١٩٩٨م

٧٦ – السنة النبوية والمعرفة الإنسانية – نهضة مصر – سنة ٢٠٠٠م

٧٧ – خطر العولمة على الهوية الثقافية – نهضة مصر – سنة ١٩٩٩م

٧٨ – مستقبل بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية – نهضة مصر – سنة ٢٠٠٠م

٧٩ – في التحرير الإسلامي للمرأة – نهضة مصر – سنة ٢٠٠٣م

٨٠ – المستقبل الاجتماعي للأمة الإسلامية – نهضة مصر – ٢٠٠٣م

٨١ – العرب والإسلام افتراءات لها تاريخ – نهضة مصر – سنة ٢٠٠٦م

٨٢ – السماحة الإسلامية – نهضة مصر – سنة ٢٠٠٦م

٨٣ – الشيخ عبد الرحمن الكواكبي هل كان علمانيًا؟ – نهضة مصر – ٢٠٠٦م

٨٤ – أزمة الفكر الإسلامي الحديث – نهضة مصر – ٢٠٠٦م

٨٥ – هل المسلمون أمة واحدة؟ – نهضة مصر – سنة ١٩٩٩م

٨٦ – الغناء والموسيقى حلال أم حرام؟ – نهضة مصر – سنة ١٩٩٩م

٨٧ – شبهات حول القرآن الكريم – نهضة مصر – سنة ٢٠٠٣م

٨٨ – تحليل الواقع بمنهاج العاهات المزمنة – نهضة مصر – سنة ١٩٩٩م

٨٩ – الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين – نهضة مصر – سنة ٢٠٠٠م

٩٠ – الظاهرة الإسلامية – المختار الإسلامي – سنة ١٩٨٨م

٩١ – الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية – نهضة مصر – سنة ٢٠٠٦م

٩٢ – إسلاميات السنهوري باشا – دار الوفاء – سنة ٢٠٠٦م

٩٣ – النص الإسلامي بين الاجتهاد والجمود والتاريخية – نهضة مصر – سنة ٢٠٠٧م

٩٤ – أزمة الفكر الإسلامي الحديث – نهضة مصر – سنة ٢٠٠٧م

٩٥ – المادية والمدنية في فلسفة ابن رشد – دار المعارف – سنة ١٩٨٣م

٩٦ – العطاء الحضاري للإسلام – مكتبة الشروق الدولية – سنة ٢٠٠٤م

٩٧ – إسلامية المعرفة ماذا تعني؟ – نهضة مصر – سنة ٢٠٠٧م

٩٨ – الإسلام وضرورة التغيير – نهضة مصر – سنة ٢٠٠٧م

٩٩ – الإسلام والحرب الدينية – مكتبة الشروق الدولية – سنة ٢٠٠٤م
١٠٠ – ثورة الزنج – دار الوحدة – سنة ١٩٨٠م
١٠١ – دراسات في الوعي بالتاريخ – دار الوحدة – سنة ١٩٨٠م
١٠٢ – الإسلام والوحدة القومية – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت – سنة ١٩٧٩م
١٠٣ – الإسلام والسياسة الدينية – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – سنة ١٩٨٠م
١٠٤ – الإسلام بين العلمانية والسياسة الدينية – دار الثقافة – القاهرة – سنة ١٩٨٢م
١٠٥ – فكر التنوير بين العلمانيين والإسلاميين – نهضة مصر – سنة ٢٠٠٧م
١٠٦ – سلامة موسى – جانب خاص من أعماله الحضارية – دار الوفاء – سنة ١٩٩٥م
١٠٧ – العالم الإسلامي والمتغيرات الدولية – دار الوفاء – سنة ١٩٩١م
١٠٨ – أمتنا حضارة أم حضارات؟ – دار الوفاء – سنة ١٩٩٧م
١٠٩ – الجديد في المخطط الغربي لتجزئة العالم الإسلامي – دار الوفاء – سنة ١٩٩١م
١١٠ – العلمانية بين العرب والإسلام – دار الوفاء – سنة ١٩٩٦م
١١١ – محمد عبده، سيرته وأعماله – دار القدس – بيروت – سنة ١٩٧٨م
١١٢ – نظرة جديدة إلى التراث – دار قتيبة – دمشق – سنة ١٩٨٨م
١١٣ – القومية العربية ومؤامرات أمريكا ضد وحدة العرب – دار الفكر – القاهرة – سنة ١٩٥٨م
١١٤ – الفكر القائد للثورة الإيرانية – دار الثقافة – القاهرة – سنة ١٩٨٢م
١١٥ – ظاهرة القومية في الحضارة العربية – الكويت – سنة ١٩٨٣م
١١٦ – رحلة في عالم الدكتور محمد عمارة – حوار – دار الفكر اللبناني – بيروت – سنة ١٩٨٩م
١١٧ – نظرية الخلافة الإسلامية – دار الثقافة الجديدة – القاهرة – سنة ١٩٨٠م
١١٨ – العدل الاجتماعي لعمر بن الخطاب – دار النهضة الحديثة – سنة ١٩٧٨م

١١٩ - الفكر الاجتماعي عند علي بن أبي طالب – دار الثقافة الجديدة – سنة ١٩٧٨م
١٢٠ - إسرائيل هل هي مسمار في نعش الغرب – مكتب العربي – القاهرة – سنة ١٩٦٨م
١٢١ - الإسلام وأصول الحكم – دراسات ووثائق – مؤسسة الحلبي للدراسات والنشر – بيروت – سنة ١٩٨٥م
١٢٢ – الدين والدولة – الهيئة العامة للكتاب – سنة ١٩٩٧م
١٢٣ – الاستقلال الحضاري – نهضة مصر – سنة ٢٠٠٧م
١٢٤ – الإسلام وقضايا العصر – دار الوحدة – بيروت – سنة ١٩٨٤م
١٢٥ – الإسلام والعروبة والعلمانية – دار الوحدة – سنة ١٩٨١م
١٢٦ – الفرصة الغائبة، عرض وحوار وتقييم – دار الوحدة – سنة ١٩٨٣م
١٢٧ - التراث في ضوء العقل – دار الوحدة – سنة ١٩٨٤م
١٢٨ - فجر الصحوة بقومية – دار الوحدة – سنة ١٩٨٤م
١٢٩ - العروبة في العصر الحديث – دار الوحدة – سنة ١٩٨٤م
١٣٠ - الأمة العربية وقضية الوحدة – دار الوحدة – سنة ١٩٨٤م
١٣١ - الكذبة الاصطهاد الديني في مصر – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة – سنة ٢٠٠٠م
١٣٢ – في المسألة القبطية حقائق وأوهام – مكتبة الشروق الدولية – القاهرة سنة ٢٠٠٤م
١٣٣ – الإسلام والآخر من يعرف من ويكره من – مكتبة الشروق الدولية القاهرة – سنة ٢٠٠٥م
١٣٤ – في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام – مكتبة الشروق الدولية القاهرة – سنة ٢٠٠٣م
١٣٥ - الإسلام والأقليات الماضي والحاضر والمستقبل – مكتبة الشروق الدولية – القاهرة – سنة ٢٠٠٤م
١٣٦ - مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية – مكتبة الشروق الدولية – القاهرة – سنة ٢٠٠٤م
١٣٧ - الغرب والإسلام بين الحضارة والصراع – مكتبة الشروق الدولية سنة ٢٠٠٤م

١٣٨ مقالات العلو الديني واللاديني مكتبة الشروق الدولية سنة ٢٠٠٤م

١٣٩ – في فقه الحضارة الإسلامية – مكتبة الشروق الدولية سنة ٢٠٠٣م

١٤٠ الدراما التاريخية وتحديات الواقع المعاصر مكتبة الشروق الدولية سنة ٢٠٠٥م

١٤١ – في المشروع الحضاري الإسلامي مركز الراية جدة سنة ٢٠٠٤م

١٤٢ – شخصيات لها تاريخ – مركز الراية جدة سنة ٢٠٠٤م

١٤٣ شبهات وإجابات حول القرآن الكريم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ٢٠٠١م

١٤٤ – الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ٢٠٠١م

١٤٥ فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ٢٠٠٦م

١٤٦ شبهات وإجابات حول مكانة المرأة في الإسلام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ج١، ج٢، ج٣ – سنة ٢٠٠١م. ونهضة مصر سنة ٢٠٠٨م

١٤٧ – الشيعة والسنة جوهر الخلاف وسبل التقريب دار الشروق سنة ٢٠٠٧م

ب - دراسة وتحقيق:

١٤٨ الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت – سنة ١٩٧٣م

١٤٩ الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت سنة ١٩٧٩م

١٥٠ الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده دار الشروق القاهرة سنة ٢٠٠٦م

١٥١ – الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي دار الشروق سنة ٢٠٠٧م

١٥٢ – الأعمال الكاملة لقاسم أمين دار الشروق القاهرة سنة ٢٠٠٦م

١٥٣ – رسائل العدل والتوحيد – دار الشروق القاهرة سنة ١٩٨٧م

١٥٤ – كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام دار الشروق القاهرة سنة ١٩٨٩م

١٥٥ - رسالة التوحيد - للإمام محمد عبده - دار الشروق - القاهرة - سنة ١٩٩٣م

١٥٦ - الإسلام والمرأة في رأي الإمام محمد عبده - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٧م

١٥٧ - فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال - لابن رشد - دار المعارف - سنة ١٩٩٩م

١٥٨ - التوقيفات الإلهامية في مقارنة التواريخ - لمحمد مختار باشا المصري - المؤسسة العربية - بيروت - سنة ١٩٨٠م

١٥٩ - الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان - للشيخ محمد الخضر حسين - نهضة مصر - سنة ١٩٩٩م

١٦٠ - السنة والبدعة - للشيخ محمد الخضر حسين - نهضة مصر - سنة ١٩٩٩م

١٦١ - روح الحضارة الإسلامية - للشيخ الفاضل بن عاشور - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٣م

١٦٢ - صلة الإسلام بإصلاح المسيحية - للشيخ أمين الخولي - نهضة مصر - ٢٠٠٦م

١٦٣ - اجتهاد الرسول - للشيخ جاد الحق علي جاد الحق - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٨م

جـ - مناظرات:

١٦٤ - أزمة العقل العربي - دار نهضة مصر - القاهرة - سنة ٢٠٠٣م

١٦٥ - المواجهة بين الإسلام والعلمانية - دار الآفاق الدولية - القاهرة - سنة ١٤١٣هـ

١٦٦ - تهافت العلمانية - دار الآفاق الدولية - القاهرة - سنة ١٤١٣هـ

د - بالاشتراك مع آخرين:

١٦٧ - الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية - الكويت - سنة ١٩٨٩م

١٦٨ - القرآن - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - سنة ١٩٧٢م

١٦٩ - محمد ﷺ - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - سنة ١٩٧٢م

١٧٠ عمر بن الخطاب – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت – سنة ١٩٧٣م

١٧١ علي بن ابي طالب – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت – سنة ١٩٧٤م

١٧٢ السنة والشيعة وحدة الأمس وخلاف السياسة والتاريخ – مكتبة الدعوة سنة ٢٠٠٨م

١٧٣ فارعة سبتمبر – مكتبة الشروق الدولية – القاهرة سنة ٢٠٠٢م

١٧٤– دليل الإمام إلى تحديد الخصاب الديني – وزارة الأوقاف سنة ٢٠٠٧م

■ **صدر حديثا:**

١٧٥ إحياء الخلافة الإسلامية حقيقة أم خيال – مكتبة الشروق الدولية – سنة ٢٠٠٥م

١٧٦ حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – سنة ٢٠٠٢م

١٧٧ الشيخ الشهيد أحمد ياسين وقفة الجهاد على أرض فلسطين – مركز الإعلام العربي – القاهرة – سنة ٢٠٠٤م

١٧٨ الإصلاح بالإسلام – نهضة مصر – سنة ٢٠٠٥م

١٧٩ الإمام محمد عبده مشروع حضاري للإصلاح بالإسلام – مكتبة الإسكندرية – سنة ٢٠٠٥م

١٨٠ مقام العقل في الإسلام – نهضة مصر – سنة ٢٠٠٨م

١٨١ - البنوك الإسلامية تحرير أم تدمير؟ – تحت الطبع

١٨٢ فوائد البنوك حلال أم حرام؟ – تحت الطبع

١٨٣ حوار مع ثقافة العنف – تحت الطبع

١٨٤ القرآن يتحدى – تحت الطبع

١٨٥- الانتماء الحضاري للغرب أم الإسلام؟ – تحت الطبع

١٨٦ – من أعلام الإحياء الإسلامي – مكتبة الشروق الدولية ٢٠٠٦م

١٨٧ معالم المشروع الحضاري للإمام الشهيد حسن البنا – دار التوزيع سنة ٢٠٠٦م

١٨٨ الفكر والإسلام مكتبة الشروق الدولية سنة ٢٠٠٧م

١٨٩- من أعلام الإحياء الإسلامي - مكتبة الشروق الدولية سنة ٢٠٠٦م

١٩٠- الإصلاح الديني في القرن العشرين نهضة مصر سنة ٢٠٠٧م

■ سلسلة (هذا هو الإسلام) مكتبة الشروق الدولية

١٩١ الدين والتحرر عوامل متغيرة للإسلام - طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦م

١٩٢ السماحة الإسلامية حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦م

١٩٣ الحرام المقدس حيرة الأمة عوامل تفوق الإسلام طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦م

١٩٤ الموقف من الحضارات الأخرى الدين والدولة - طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦م

١٩٥ الموقف من الحضارات الأخرى أسباب انتشار الإسلام طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦م

١٩٦ قراءة النص الديني بين التأويل العربي والتدوين الإسلامي طبعة القاهرة ٢٠٠٦م

■ سلسلة (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت) مكتبة الأسرة

١٩٧- رفع الملام عن شيخ الإسلام ابن تيمية سنة ٢٠٠٧م

١٩٨- الفارق بين الدعوة والتنصير سنة ٢٠٠٧م

١٩٩ عصمانية المدفع والبخور سنة ٢٠٠٧م

٢٠٠ صيحة تحذير من فتنة التكفير سنة ٢٠٠٧م

٢٠١- مقومات الأمن الاجتماعي في الإسلام سنة ٢٠٠٨م

٢٠٢ في النظام السياسي الإسلامي الخلافة والدولة المدنية سنة ٢٠٠٨م

٢٠٣ بين العلمانية الإسلامية والعولمة الغربية سنة ٢٠٠٨م

٢٠٤- الوسطية في العلاقة بين الحضارات سنة ٢٠٠٨م

٢٠٥ تهذيب التراث الإسلامي سنة ٢٠٠٨م

٢٠٦- مقام العقل عند شيخ الإسلام ابن تيمية سنة ٢٠٠٨م

٢٠٧ مقام العقل عند الإمام محمد عبده سنة ٢٠٠٨م

الفهرس

تقديم ٣

القسم الأول

١- العقل.. ماذا يعني؟ ٧
٢- حال العقل والعقلانية عند ظهور الإسلام ١٤
٣- التبلور المبكر للعقلانية الإسلامية ٢٠
٤- مكانة العقل والعقلانية في تراث الإسلام ٢٧
٥- تراجع العقلانية الإسلامية ٤٣
٦- عقلانية الإحياء الإسلامي الحديث ٤٦

القسم الثاني

نصوص تراثية في العقلانية الإسلامية

تمهيد ٥٥
١- الحارث بن أسد المحاسبي ٦٧
٢- حجة الإسلام أبو حامد الغزالي ٨٨
٣- أبو الوليد ابن رشد ١٠٨
٤- شيخ الإسلام ابن تيمية ١١٤
٥- الإمام الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى ١٤٠
٦- الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ١٤٤
■ وأخيرًا شهد شاهد من أهلها ١٦٧
المصادر والمراجع ١٧٢

أحدث إصـــدارات

للأستاذ الدكتور

محمد عمـارة

ضمن سلسلة (فى التنوير الإسلامى)

١ - الصحوة الإسلامية فى عيون غربية.
٢ - الغرب والإسلام.
٣ - أبو حيان التوحيدى.
٤ - ابن رشد بين الغرب والإسلام.
٥ - الانتماء الثقافى.
٦ - التعددية.. الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية.
٧ - صراع القيم بين الغرب والإسلام.
٨ - د. يوسف القرضاوى: المدرسة الفكرية والمشروع الفكرى.
٩ - عندما دخلت مصر فى دين الله.
١٠ - الحركات الإسلامية رؤية نقدية.
١١ - المنهاج العقلى.
١٢ - النموذج الثقافى.
١٣ - تجديد الدنيا بتجديد الدين.
١٤ - الثوابت والمتغيرات فى اليقظة الإسلامية الحديثة.
١٥ - نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم.
١٦ - التقدم والإصلاح بالتنوير الغربى أم بالتجديد الإسلامى ؟
١٧ - إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين.
١٨ - الحضارات العالمية تدافع؟.. أم صراع؟
١٩ - الحملة الفرنسية فى الميزان.
٢٠ - الأقليات الدينية والقومية تنوع ووحدة، أم تفتيت واختراق؟
٢١ - مخاطر العولمة على الهوية الثقافية.
٢٢ - الغناء والموسيقى حلال أم حرام ؟
٢٣ - هل المسلمون أمة واحدة ؟
٢٤ - السنة والبدعة.
٢٥ - الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان.
٢٦ - تحليل الواقع بمنهاج العاهات المزمنة.
٢٧ - القدس بين اليهودية والإسلام.
٢٨ - مأزق المسيحية والعلمانية فى أوربا (شهادة ألمانية)
٢٩ - السنة النبوية والمعرفة الإنسانية.
٣٠ - الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين.
٣١ - مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية.
٣٢ - السنة التشريعية وغير التشريعية.
٣٣ - شبهات حول الإسلام.
٣٤ - المستقبل الاجتماعى للأمة الإسلامية.
٣٥ - شبهات حول القرآن الكريم.
٣٦ - أزمة العقل العربى.
٣٧ - فى التحرير الإسلامى للمرأة.
٣٨ - روح الحضارة الإسلامية.
٣٩ - الغرب والإسلام افتراءات لها تاريخ.
٤٠ - السماحة الإسلامية.
٤١ - الشيخ عبد الرحمن الكواكبى هل كان علمانيًا؟!
٤٢ - أزمة الفكر الإسلامى المعاصر
٤٣ - إسلامية المعرفة ماذا تعنى؟
٤٤ - الإسلام وضرورة التغيير.
٤٥ - النص الإسلامى بين التاريخية والاجتهاد.. والجمود.
٤٦ - الإبداع الفكرى والخصوصية الحضارية.

إصـــــدارات أخـــــرى

للأستاذ الدكتور
محمد عمـارة

- معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام.
- القدس الشريف رمز الصراع وبوابة الانتصار.
- الوسيط فى المذاهب والمصطلحات الإسلامية.
- الإصلاح بالإسلام.
- الإسلام والتحديات المعاصرة.
- الإسلام فى مواجهة التحديات.
- الاستقلال الحضارى.
- الغارة الجديدة على الإسلام.
- مقام العقل فى الإسلام.

مقام العقل في الإسلام

قبل الإسلام ـ إبان طفولة العقل البشرى ـ كانت المعجزات مادية، تدهش العقل، فتشله عن التفكير..

وعندما بلغت الإنسانية سن الرشد، جاء القرآن الكريم معجزة عقلية، تستحث العقل على التفكر فى الكون والتاريخ والمصير.. وشئون الدنيا والدين..

فمن القرآن الكريم نبعت العقلانية الإسلامية .. وللدفاع عن الإيمان كانت رسالة العقل فى حضارة الإسلام..

وإذا كانت الحداثة الغربية قد ألّهت العقل.. وجعلته ثورة على اللاهوت..

وإذا كانت المذاهب الباطنية قد تنكرت للعقل والنقل جميعًا..

فلقد أبدع الإسلام عقلانية مؤمنة، مؤسسة على الوحى والشرع معًا.. وبعبارة حجة الإسلام الغزالى: «.. فالعقل مع الشرع نور على نور».

وفى هذا الكتاب، سيدهش الكثيرون عندما يرون اجتماع كل المذاهب الإسلامية المعتبرة ـ من الصوفية .. إلى السلفية.. إلى الفقهاء والفلاسفة ـ على إعلاء مقام العقل.. والمؤاخاة بين صريح المعقول وصحيح المنقول.

إنه «ديوان العقلانية الإسلامية» .. نقدمه للعلماء والقراء.

الناشر

6 221133 336215